شموع وطن..

محمد الريفي

الفصل الأول صالون عبدالقادر بك فهمي

في تلك الفيلا الواسعة الكائنة بحي الروضة بمدينة القاهرة كانت تقيم عائلة عبدالقادر بك فهمي,وهو رجل في منتصف الخمسينيات من عمره متوسط الطول قمحي البشرة له شارب ينم عن وقار وهيبة.

كان عبدالقادر فهمي صاحب مصنع كبير يدر عليه دخلًا شهريًا كبيرًا ويملك مزرعة كبيرة تصل إلى مئتي فدان..عائلة عبدالقادر عائلة تعيش رغد العيش فزوجته سُعاد والتي تصغره بثلاثة عشر عامًا تنحدر من أسرة غنية وهي سيدة متوسطة القامة بيضاء البشرة قصيرة الشعر مازالت تحتفظ بشيء من جمالها...لها ثلاثة أبناء وهم بالترتيب مدحت,منير وهدى..

مدحت مهندس اتصالات حديث التخرج في الثانية والعشرين من عمره يتمتع بذكاء له أفكار تقدمية على قدرٍ من الوسامة متوسط القامة يرتدي منظارًا طبيًا, أما شقيقة منير فهو طالب في كلية تجارة في العشرين من عمره رياضي البنية متوسط الطول له اهتمامات ثقافية وسياسية..

وأخيرًا هدى آخر العنقود طالبة بكلية الآداب في الصف الأول في الثامنة عشر من عمرها.

تتكون الفيلا من طابقين ودور أرضي حيث يقطن السائقين والبواب والطباخ والسفرجي في الطابق الأرضي بينما تقطن مديرة المنزل وكذلك منظفة المنزل في حجرتي السطح..

يتركز الطابق الأول للفيلا على مقابلات الضيوف فيضم ثلاثة صالونات بالإضافة إلى مكتب كبير لعبدالقادر وله مُلحق صغير يضم مطبخًا لإعداد الطعام بينما تتركز غرف النوم و الحمامات في الطابق الثاني..

لعبدالقادر فهمي خمسة أشقاء يتبادل معهم اللقاءات والزيارات في الأعياد والمناسبات الهامة.

لدي عبدالقادر بك أصدقاء يجتمع بهم باستمرار في صالونه الخاص كل خميس حيث السمر والعشاء ولعب الكوتشينة والطاولة والاستماع إلى أغاني موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب(وكوكب الشرق)أم كلثوم.

وعادة ما تكون لقاءات الخميس لقاءات عامرة بالأحاديث في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وحتى الرياضية!!

تمتلأ الفيلا بالفواكة والأشجار النضرة حيث تعتني سُعاد بها إلى أقصى درجة وتوصي عم رأفت الجناييني بها باستمرار في تلك الليلة من شهر ديسمبر عام1950 المليئة بالسمر اجتمع عبدالقادر بأصدقائه وبدأوا الحديث.

قال مُراد يعقوب أحد أصدقاء عبدالقادر

-لست متفائلًا فالأوضاع تغيرت كثيرًا بعد حرب1948 بين العرب وإسرائيل فرغم إننا كيهود مصر لا نعتبر أنفسنا إسرائيليين ولكن الكثير ينظر إلينا على هذا النحو..وهذا سيجعل جزء كبير منا يصفي أعماله ويهجر إلى بلد آخر وكأن التاريخ يعيد نفسه.

وهنا تدخل مكرم موريس ليقول بابتسامة خبيثة بها دُعابة

-يا سادة لم تنكرون الحقيقة..نحن أصحاب البلد الحقيقيين وأحفاد الفراعنة وما دوننا ضيوف على هذا البلد وبالتالي فنحن الأولى بالقيادة وإدارة البلد.

قال سليم المعروف بميوله اليسارية

-يا أخي دعنا من ماضي التاريخ ولننظر للحاضر.. فنحن جميعًا مصريون وأين نحن الآن من زمن الفراعنة إنني أرى أن الاشتراكية هي الحل..النظام الشيوعي قائم على مبادىء العدالة الاجتماعية والمساواة والحرية الفردية والمجتمعية..

عارضه صبحي بضيق

-لا يوجد أفضل من النظم الملكية في العالم..انظر إلى بريطانيا العظمى..نظام ملكي برلماني..هذا هو الذي يُناسبنا..وبالرغم من عدم حبي للوفد إلا إنني أؤيد السرايا في أي قرار تتخذه.

داعب عبدالقادر صديقه المقرب سمير سائلًا

-لماذا لا تشترك في هذا النقاش الحامي؟

أجابه سمير برزانة حكيم

-أحب أن أتكلم في نهاية الحوار بعد الاستماع إلى الجميع وأنا في انتظار رأيك أنت يا عبدالقادر.

قال عبدالقادر بهدوء

-كما تعلم رغم حُبي لحزب الوفد وتعاطفي في بعض الأحيان مع حركة الإخوان المسلمين لكني كمصري وطني أنظر إلى مصلحة الوطن أولًا وأخيرًا, بغض النظر مع من كانت,ولا أنتمي لأحد حيث إنني مشغول

بأعمالي وقد تكلموا في أشياء ليست هي أولويات المرحلة التي تتلخص في ضرورة جلاء الإنجليز واستعادة حرية البلاد.

رد صديقه الوفدي بعد أن قيّم جميع الآراء

-كيف سيتحرر الوطن والداخل منقسم على نفسه..يزداد انقسامًا وغير مقتنع بأسلوب الملك في إسناد الوزارات لأحزاب الأقلية لكرهه الشديد لزعيم الأمة مصطفى باشا النحاس ولا يرد للسفارة الإنجليزية أمر.

ثم استدرك

-البلد في مفترق طرق خاصة مع ظهور قوى جديدة بعد الحرب العالمية الثانية كروسيا وأمريكا..يتصارع على بلادنا قوى خارجية كثيرة والمستقبل مجهول غير واضح والداخل متصارع مع بعضه بعضًا.

قال عبدالقادر بأسف

-الله يرحم أيام ثورة19 كانت البلد كُلها يدًا واحدة.. مسلمين ومسيحيين تحت زعامة سعد زغلول.

ساد الصمت قليلًا ثم قال صاحب الصالون داعيًا إياهم

-هيا إلى لعب الكوتشينة والاستماع إلى أحدث الأسطوانات ودعكم والسياسة.

****

الفصل الثاني صالون سُعاد هانم

في صالون سُعاد هانم كانت تجتمع الزوجات وتدور الأحاديث ولكن في موضوعات أخرى مثل الحفلات القادمة والأنشطة الخيرية والأفلام الجديدة والموضة والملابس وظهور خياطة يهودية ليس لها مثيل والزواج والطلاق في جو مرح لا يخلُ أحيانًا من بعض المنغصات التي تحاول دائمًا سُعاد حلُها بأسرع ما يمكن حتى لا يُفسد جو الصالون وإذا كان الرجال يتناولون الشاي والقهوة والسحلب والزنجبيل فإن النساء يتناولن أنواع مختلفة من المشروبات والعصائر وإذا كان الرجال يقومون بالتدخين السيجار والغليون)البايب(والسجائر فإن النساء يتناولن جميع أنواع المكسرات وجوز الهند ولوز البندق وعين الجمل والفُستق وأفخر أنواع الشيكولاتة السويسرية ويرتدن أفضل ما عندهن من حُلي ومُجوهرات.

كان المجلس عادة يبدأ في الساعة السابعة مساءًا خميس كل أسبوع وينتهي الساعة الحادية عشر والنصف حيث يبدأ الضيوف في الانسحاب فُرادى أو جماعات حسب الحالة والسيارات الموجودة ومن ليس لديه سيارة تقوم سيارات عبدالقادر بتوصيله.

وكان عبدالقادر وزوجته سُعاد يقومان بإخبار كل منهما الاخر بما تم في مجلسيهما قبل ذهاب كل منهما إلى غرفته.

****

الفصل الثالث مدحت عبدالقادر

كان مدحت عبدالقادر يهوي الهندسة وقد تخرج من كلية الهندسة جامعة القاهرة مؤخرًا وكان والده يُريده أن يكون مهندسًا مدنيًا أو معماريًا ووالدته كانت تريده أن يكون طبيبًا ولكنه رفض هذا وذاك وقرر أن يتخصص في الهندسة الكهربائية التي قال إنها المستقبل لاسيما إنه يحب الرياضة والفيزياء.

وكان له مجموعة من الأصدقاء ولم يكن مشتركًا في أي نشاط سياسي مثل والده و عندما أنهى دراسته عرض عليه أبوه أن يعمل معه في المصنع أو المزرعة التي يمتلكها ولكنه رفض أيضًا وطلب من أبيه أن يُكمل دراسته إذا استطاع أو أن يعمل في مكان آخر حتى يعتمد على نفسه في بناء مستقبله وكان معجب جدًا بابنة جارهم سلوى وهي فتاة شامية الأصل كان يراها في النادي أو في مصيف رأس البر ولكن الكلام بينهما كان قليلًا ولا يستطيع أن يعرف مشاعرها تجاهه ومدحت كانت علاقاته بالآخرين علاقة طيبة, فهو على خلق ,يُحافظ على الصلاة يتعامل مع أهل بيته معاملة راقية ويحب أمه سُعاد كثيرًا وكانت هواياته القراءة والاستماع للموسيقى حيث يجيد العزف على البيانو وكان يستقبل أصدقاءه في غرفة نومه الواسعة المجهزة بصالون صغير ومنضدة كبيرة ومكتبة وراديو.

كانت الجامعة تقوم بكثير من المظاهرات ولكنه لا يشترك فيها وحاولت الكثير من الجماعات والأسر الطلابية ضمه إليها ولكنه كان يرفض في أدب محتفظًا بعلاقة طيبة مع الجميع ويعتذر بعدم وجود وقت فراغ لديه ولكنه في قراره نفسه كان لا يريد أن يكون منفتحًا لأحد وهو بعد مقتنع بأن العمل هو أفضل وسيلة للنهوض بالبلاد وأن الآراء السياسية تحقق في آخر الأمر مصالح مجموعة أو فئة ولا تؤدي حقيقة للنهوض بالبلاد والذي لا

يعلمه أقرانه إنه قرأ كثيرًا في مجالات مختلفة وكوّن رأيًا بأن السياسة تُخفي دائمًا أطماع من يقودونها وقد كوّن رأيه هذا أيضًا من استماعه لما يدور في صالون والده من أحاديث.

ولعل خُلقه الحسن وعدم مشاركته في السياسة هي الصفات القليلة التي اتفق فيها مع أبيه ورغم أن هناك اختلاف كبير في الآراء و لكنه لا يُفسد للود والإقدام والحب قضية.

كان مدحت يحب قراءة المجلات العلمية الأجنبية في أوقات فراغه ويوم الخميس يخرج مع أصدقائه إلى وسط البلد والبرنامج عبارة عن سينما وعشاء خفيف وآيس كريم كوشون في الأمريكين أو جروبي.

كانت وسط البلد مليئة بالسينمات التي تضارع أفضل سينمات العالم على سبيل المثال سينما مترو وكايرو وراديو ريفولي وقصر النيل وأديون وتُعرض أحدث الأفلام الأجنبية والأمريكية على وجه الخصوص وصناعة السينما كانت رائجة عالميًا وأيضًا مصريًا وقد استطاعت هوليوود تقديم وجه أمريكا الجميل مثلما استطاعت السينما المصرية تقديم وجه ولغة مصر إلى العالم العربي برمته سواء بالأفلام الكوميدية أو الرومانسية أو الغنائية الاستعراضية ولا شك أن السينما أثرت على المسرح الذي كان يحتل المرتبة الأولى في السابق بدون منافس.

وفي بعض الأحيان كان يجلس مدحت ليعزف على البيانو وينصت له شقيقاه ووالدته والعاملين بالمنزل.

****

الفصل الرابع منير عبدالقادر

منير عبدالقادر..يحب اللعب والهزل والخروج الكثير ويجيد جميع ألعاب الكوتشينة والدومينو والطاولة وحتى الشطرنج, وفي الرياضة يهوى السباحة والبينج بونج وكرة القدم وليس له شلة أصدقاء واحدة بل شلل أصدقاء وليس له نظام معين في التنزه بل يذهب إلى النادي ويتناول الطعام بالخارج وإلى السينما والمسرح ويتكلم في جميع الموضوعات من السياسة إلى الرياضة إلى العلاقات ولكنه لم يتعد حدوده إلى الشراب أو العلاقات المُحرمة ففي داخله حب للأخلاق وخوف من الله وعلى عكس أخيه مدحت وطد نفسه على العمل مع أبيه في المصنع والمزرعة وكان يقول عند التخرج سوف أدير حسابات أبي وكان بالفعل في الأجازة يذهب إلى المصنع وينطلق هناك فيتعامل مع الجميع من المهندس إلى العمال ومن الساعي إلى البوفيه إلى السكرتارية ولا يترك أحد إلا تداول معه الكلام وكان محبوبًا لتواضعه ولأخلاقه الدمثة.

ولكنه كان لا يُحب المذاكرة وينجح كل عام بملحق أو أكثر وفي أحد الأعوام رسب في خمسة ملاحق وفقد الجميع الأمل أن ينجح فليس من المعقول أنه سوف يذاكر خمس مواد في شهر واحد وينجح فيهم جميعًا وبالتأكيد سوف يعيد العام.

ولكن إحدى صديقاته في النادي تحدته أمام الجميع أن ينجح هذا العام وقد أمن الحاضرين على قولها فما كان منه إلا أن انقطع عن جميع الأنشطة التي يزاولها وكرّس نفسه للمُذاكرة فقط فلا ينام في اليوم إلا أربع ساعات

ويُكثر من شرب القهوة والتدخين ولا يخرج من غرفته إلا لتناول الطعام وفاجأ الجميع بنجاحه في المواد الخمس في فترة شديدة القصر وكان يقول ضاحكًا عند الشدائد يظهر معدن الرجال

كان يُحدث الكثير من الفتيات ولكنه لم يتعلق بواحدة بعينها وكن يعجبن به ويطلبن حضوره في أي مناسبة حتى كان له صديقات إنجليزيات ويونانيات وإيطاليات فكان يصلح لأن يكون سفيرًا أو دبلوماسيًا لأنه حلو اللسان سريع البديهة ورده مهذب لطيف.

كان في بعض الأحيان يحضر الصالون مع أبيه فيتحول إلى شخص آخر كإنه واحد من رواده وكان لا يطيق الجلوس أكثر من ساعة ويستأذن للانصراف.

سأله أحد أصدقائه عن رأيه في الفتيات اللاتي يتعامل معهن فأجابه أن كل واحدة لها مميزات وعيوب فلا يفضل إحداهما على الأخرى ويتعامل معهن جميعًا ويقضي بعض الأوقات السعيدة كصديقات محترمات يتعلم منهن اللغة والعادات والأفكار والاحتكاك بالآخر دائمًا يُفيد إذا جرى في جو من الثقة والمودة وهو ينفق ببذخٍ في مثل هذه الحالات مُعتمدًا على مصروفه من أبيه وكذلك مصروفه من أمه.

كان يحب قيادة السيارة بنفسه ولا يحب اصطحاب سائق معه حتى لا يشي بخط سيره وأين يذهب ثم إن السيارات تجعل الفتيات يعجبن به وتسهل له الخروج والتنزه.

وفي إحدى الرحلات إلى القناطر الخيرية دار حديث بينه وبين صديقته الذي تحدته أن ينجح من قبل وكان حديثًا منفردًا.

فقالت له

-لست أدري كيف استطعت النجاح..تذاكر طوال العام ثم ترسب في خمس مواد من سبعة ثم تذاكر شهر فتنجح في خمس مواد!!

فقال لها ضاحكًا

-أنتِ صاحبة الفضل ثم الإرادة ثم التوفيق والحظ.

فقالت له

-وماذا تنوي أن تفعل؟

فأجابها

-لست ممن يخططون للمستقبل, أخي مدحت هو الذي يفعل ذلك أما أنا فأعيش اليوم بيومه والساعة بساعتها واللحظة بلحظتها.

وكانت عندما تأتي هدى– شقيقته الصغرى-مع بعض صديقاتها كان مدحت يتوارى ويتعمد عدم الكلام أما منير فكان يتعمد الكلام معهم ومداعبتهم بلطف كلما أمكن ذلك ويعرف أخبارهم من هدى بانتظام.

****

الفصل الخامس هدى عبدالقادر

على الرغم من ثقافتها العالية وإتقانها اللغتين الإنجليزية والفرنسية وحرصها الدائم على دراسة أحدث ما وصلت إليه الموضة لم تكن هدى عبدالقادر تهتم كثيرًا بالتعليم النظامي فهي بالتأكيد لن تعمل وسوف تكون ربة منزل وزوجة وتفضل أن يكون زوجها دبلوماسيًا في وزارة الخارجية وتسافر إلى إحدى الدول الأوروبية أو يكون زوجها طبيبًا مشهورًا على الأقل ولها مجموعة صديقات في نفس مستواها الاجتماعي ولكن خروجها من المنزل كان قليلًا وكان لا بد أن تصحبها والدتها أو أحد شقيقيها وكانت غالبًا ما تفضل منير أما إذا خرجت مع مدحت أو أبيه فكانت تتحفظ في كل تصرفاتها وكان خروجها للخياطة أو الكوافير مع والدتها وبالرغم من عدم عملها بتجهيز الطعام لكنها كانت مُلمة جيدًا بأعمال المنزل والطبخ وذلك عن طريق دراستها وكانت تعزف البيانو كإنها عازفة محترفة وبالنوتة الموسيقية, وهي تختار حقيبتها وأحذيتها وملابسها من أرقى الأنواع وفي المناسبات الخاصة مثل الحفلات وأعياد الميلاد والاقتران كانت تُكلف الخياطة اليهودية المشهورة بإعدادها حسب الكاتالوج وكانت تشتغل بالإبرة وتابلوهات الكنافاه وتهوي الديكور فهي فتاة راقية بمعنى الكلمة ولها معجبون من أشقاء صديقاتها ولكن مشاعرها لم تعرف الارتباط بأحدهم حيث كانت تعاملهم معاملة الصداقة والأخوه فعلاقتها بأهل المنزل كانت رائعة فهي حبيبة أبيها ومدللة أمها وصدىقةشقيقيها وكانت لها ابنة خالتها سهير في مثل عمرها تقريبًا وكوّنتا معًا فريقًا شبه دائم حتى إنها كانت تبيت عندها بالأيام وإذا أرادت شراء أو مشاهدة شيئًا بوسط البلد تأخذها هي وصديقاتها بالسيارة وتنتظرها أو تأتي لها في موعد معين حيث تجلس هي وصديقاتها– بعد انتهاء جولة المشتريات-ليتناولن الآيس كريم والحلوى أما في الصيف فالخروج يكون "للتمشية "على الكورنيش ولكن في وجود أحد من أخويها وكذلك في حالة الذهاب إلى السينمات الصيفية المُنتشرة بالحي وكانت تعرض فيلمًا عربيًا وآخر أجنبيًا أمريكيًا في الغالب جديدين وقديمين والسينما كالحديقة بها شاشة والعرض ينتهي بعد الساعة العاشرة حسب طول الأفلام.

لم تخل هدى من مكر ودهاء البنات فهي لماحة تفهمها وهي طايرة كما يقولون ونشيطة وتُحب الظهور في أي اجتماع ولها أسلوب رشيق في الكلام أما إذا قامت بالتحقيق مع أحد فهي تصل إلى قرار الموضوع ولذلك كان العاملين بالفيلا يعملون لها ألف حساب فلا يستطيع أحد خداعُها.

كانت تقضي في العزبة الصغيرة أسبوعين مع العائلة كل صيف كانت تعتبرها أسوأ أيام السنة فالنوم مبكرًا ولا توجد خروجات أو فُسح أو مقابلة الصديقات ولكنها كانت تستغلها في تعلم الطبخ وأعمال المنزل فكانت أمها سُعاد تطلق لها حرية التصرف وتقول لها لا مُذاكرة هنا فتولي الأمور حتى إذا تزوجت استطعتِ إدارة المنزل ورغم ذلك فكان هناك بعض الصديقات والأصدقاء من أصحاب الأرض المجاورين الذين يجتمعون كل عام في مثل هذا الوقت.

****

الفصل السادس الزوجان

كان عبدالقادر يعمل مع أبيه في البداية ولكن كانت لديه أفكار يريد تطبيقها وطرق في إدارة العمل لم تُعجب والده فقال له ما دمت تعمل معي فالتزم بما أريده

أشارت عليه زوجته سُعاد بأن لها تصريف في تدبير المال اللازم له لعمل مشروع مستقل وقامت ببيع جميع مجوهراتها حتى الشبكة وإعطاء المال لعبدالقادر الذي رفض في أول الأمر ولكن قبل بعد إلحاح من سُعاد وقالت له أنا واثقة من نجاحك وسوف ترد لي هذا المبلغ أضعاف مضاعفة فسمعتك طيبة والجميع يريدون العمل معك ويحبونك

وما أن بدأ مشروعه حتى فتحت أبواب الرزق فهو أستاذ إدارة بطبيعته وهو كريم مع العاملين ويفهم كيف يضع كل من معه في المهمة التي تُناسبه ويشرحها له جيدًا ويجعله يُعيد شرحها حتى يطمئن على فهمه لها ويعاملهم جميعًا مُعاملة رائعة وإذا أراد أن يُثني على أحد أو يُعنف أحد يأخذه إلى مكتبه على انفراد ولا يهين أحدًا أمام أحد ويعرف ظروفهم الاجتماعية ويُبادر بالمشاركة فيها بالمال والحضور وكان يُطالبهم بالتعامل مع بعضهم البعض بالود وكان يضع في مكتبه ما يحثُهم على ذلك.

"إن الله يحب المُحسنين""إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أن يُتقنه"الواحد للكل والكل للواحد"

وكان إذا أخطأ أحد خطئًا بسيطًا فالتوجيه ثم العفو أسلوبه, أما إذا كرر الخطأ فالعقاب والشدة,وإذا اشتكى أحدًا ينصت للشكوى جيدًا ويُحاول حلها في أسرع وقت, يدقق في اختيار معاونيه فالالتزام والكفاءة أما تعاملاته مع العملاء فالزبون دائمًا على حق وتقديم افضل ما لديه وكان يختبرهم فقد يُعطيهم بعض البضاعة فإذا التزموا بتسديد ثمنها زادهم وهكذا أصبح كثير ممن تعاملوا معه..أثرياء.

وفي الأسعار يكتفي بالربح البسيط مع وفرة في الإنتاج والتوزيع..ويختار أفضل الخامات مهما كلفته فهو يحترم صناعته وإنتاجه.

وكان يقوم بتطوير الماكينات باستمرار فهو يأتي بأحدثها من ألمانيا وإنجلترا ويُسافر أو يُرسل أحد مهندسيه لهذا الغرض سنويًا.

وطبق هذا الأسلوب أيضًا عند شراء العزبة أو المزرعة فأتى بمهندس زراعة ومجموعة مُحاسبين وأفضل الفلاحين ووفر لهم الإقامة المناسبة وعمل لهم نظامًا للرواتب والمُخصصات وكذلك مكآفات في حالة تحقيق الأهداق وكان يذهب للمزرعة مرة كل أسبوع ويوجد اتصال يومي مع المهندس ليعرف ما تم.

كان يُريد من ابنه مدحت أن يعمل معه ولكن عندما رفض تقبل الأمر فهو يعرف تصرفات الشباب في هذا السن وقد احترم رغبته في حبه للاعتماد على نفسه.

في سنوات قليلة أصبح من رجال الصناعة المرموقين بفضل الإدارة ولكنه كان يقول دائمًا"هذا من فضل الله"و"ما شاء الله لا قوة إلا بالله."فيستيقظ مبكرًا ليصلي الفجر ويقرأ القرآن وإفطاره كوب قهوة باللبن ويتحرك من منزله الساعة السادسة والنصف إلى عمله ويعود في السابعة مساءًا يسأل عن الجميع ثم يتناول عشاءه مع سُعاد والموجودين بالمنزل من أولاد وضيوف وهذه هي وجبته الوحيدة والرئيسة طوال اليوم وكان يُدخن جميع أنواع الدُخان الفاخر ولا يقرب الحشيش أو الخمر.

ولكن يوم الجمعة كان له نظام مختلف فهو اليوم المُخصص للعائلة ويقضيه عادةً بالمنزل ويُصلي الجمعة في جامع الروضة.

****

الفصل السابع اجتماع يوم الجُمعة

كان الإفطار يوم الجمعة من التاسعة صباحًا ولا بد من تواجد الجميع سُعاد ومدحت ومنير وهدى وغالبًا سُهير وكان الإفطار يحتوي على جميع الأصناف والعصائر والشاي والقهوة وتقف مُدبرة المنزل والسفرجي للتقديم وتلبية الطلبات ويستمر لمدة ساعة ونصف على الأقل ويتم فيه مناقشة ما جرى خلال الأسبوع للعائلة والأقارب وأحوال البلد عمومًا وقد بادرت هدى شقيقها مدحت

-لماذا لا تُريد العمل مع بابا؟

فأجابها مدحت مبتسمًا

-توجد عدة أسباب بعضها خاص بي وبعضها خاص بأبي وعمله وبعضها خاص بالعائلة.

صمت الجميع في انتظار أن يُكمل حديثه..

واستطرد

-الأسباب الخاصة بي هو إنني أميل إلى العلم والقراءة وأحب مجال تخصصي جدًا وهو ليس مجال عمل أبي ولا أُجيد التعامل مع الناس مثل أبي وبصراحة أكبر أي قرار سأتخذه سيكون هناك مقارنة بيني وبين أبي وإذا فشلت أكون ضيعت ما عمله أبي طوال السنوات السابقة والحقيقة أن لي أهداف أخرى غير ذلك.

قالت سُعاد

-أمن المعقول أن يراعي مصالح العائلة شخص غريب؟!

أجابها مدحت

-إن الإدارة علم كبير ولا تعتمد على شخصي مهما كانت كفاءته وفي الخارج يختارون المدير الناجح ويُراقبون أداءه من بعيد.

رد منير

-دعونا نتناول طعامنا في مرح..ما الحكاية؟

عقّب الأب

-أنا سعيد بما قلته يا مدحت وأرجو لك التوفيق في أي مجال تختاره ولكن إذا غيرت رأيك في أي وقت فمكانك محفوظ لك من أعمال أبيك.

قالت هدى سائلة

-وأنت يا مُنير؟

أجابها مُنير

-ألا تعرفيني يا هُدى..لست متحمسًا لهذه الأعمال.

قالت الأم مُعترضة

-هذا لا يكون..إلا إذا أردتم إنهاء أعمال أبيكم.

ضحك الجميع واستأنفوا إفطارهم وتحدثوا في موضوعات أخرى..

فسألت هدى والدها

-لماذا لم تنضم يا بابا إلى أي حزب حتى يكون لك وضعًا سياسيًا وشهرة وتخدم البلد؟

أجابها عبدالقادر وقد تعجب من سؤالها

-هذا سؤال جيد..هناك فرق كبير بين الوطنية والحزبية...فأنا أعتبر نفسي وطنيًا فيعمل عندي مئتان وخمسون عاملًا وموظف مستقرين في أماكنهم وكل منهم يعول في المتوسط أربع أفراد..بمعنى إنني أعول ألف شخص تقريبًا..هذا غير الموزعين والموردين..الأحزاب كلام وشعارات وخطب واجتماعات ومصالح خاصة يتم تغطيتها ووضعها داخل مصالح عامة..أرى أن الحب أفعال وليس أقوال ومن يحب وطنه يعمل.

ثم عاد يردف

-تستطيعين أن تقولي أن طبيعتي لا تصلح للعمل الحزبي ولكن لي أصدقاء مُقربين ومعارف في الأحزاب الرئيسة.. هل تدرين من من الممكن أن تنضم إلى حزب..شقيقك منير.

ضحك منير وقال

-أنا فعلًا انضممت مؤخرًا لحزب الوفد.. حزب الأمة.

قالت سُعاد

-أتتخذ قرارات دون إخبارنا يا منير؟

قال مدحت ببساطة

-لقد علمتمونا الحرية في اتخاذ القرار.

قالت سُعاد

-فقد نُريد أن نعرف.

ببساطة قال مدحت

-سهل الله له أموره وأفلح إن صدق.

قالت هدى بإصرار

-الموضوع به شيء يجب أن أعلمه..ألست تُساند الاشتراكية دائمًا؟!

تدخل مدحت ليقول

-أي اشتراكية..هذا نظام مصطنع ولا يمكن أن يُكتب له الدوام.

بينما قال منير

-النظام الرأسمالي جيد يجعل مجموعة قليلة من الناس تحتكر ثروة البلد باستمرار بينما يزداد الأغلبية فقرًا ويملك الأغنياء آلآف الأفدنة..هذا ما تُريده.

قالت الأم مُعارضة

-إذا كان الناس تعمل فما المانع أن يكون ذلك.

قال عبدالقادر برصانة

-يا منير أعلم أنك دخلت حزب الوفد.

نظر إليه الجميع مُندهشين صامتين..

فاسترسل عبدالقادر

-السياسيون سواء يعلمون أو لا يعلمون و يتغاضون أن النظام لن يُحقق أهدافه إلا بالإدارة الجيدة..الإدارة هي الأهم في أي نظام والإدارة علم وكذلك يجب وجود موهبة اختيار القائمين على النظام بالكفاءة والإخلاص وهو الذي يؤدي إلى النجاح.

نظر إلى ساعته وقال

-هيا..انهضوا..صلاة الجمعة..

مالت هدى على منير وقالت بصوت خافت لم يسمعه غيره

-هذا الموضوع متعلق بفتاة.

****

الفصل الثامن رحيل

انتهز مدحت فرصة وجوده مع والدته وأخبرها برغبته في التقدم للارتباط بجارتهم سلوى ولم تكن سُعاد تعرف سلوى جيدًا فاستعانت بهدى التي أثنت على سلوى التي تعرفها جيدًا وأفادت بأن والدها يعمل موظفًا في وزارة المالية فاقترح مدحت أن تقوم هدى بالاتصال بها لمعرفة رأيها قبل التقدم رسميًا لها استطاعت هدى وسهير بمعونة صديقة مشتركة لهما ولسلوى دعوتها إلى شاى بحديقة الفيلا ودار الحديث في موضوعات شتى ثم ظهر مدحت وجاء وسلّم عليهم وتمنى لهم وقتًا سعيدًا ولم ترد هدى مُخاطبة سلوى مباشرة فتبادلت معها رقم التيلفون وفي اليوم التالي طلبتها وتحدثت معها قليلًا ثم بعد أن استأذنتها أعطت التيلفون الى مدحت الذي استجمع شجاعته بصعوبة وأخبارها بأنه معجب بها ويريد أن يتقدم لخطبتها وطلب يدها وطلبت سلوى منه مُهلة للتفكير وطال الانتظار ولم يأت جواب وتجنبت سلوى هدى خلال هذه الفترة وفي يوم مر أمام منزلها فوجدها تركب السيارة مع شاب لم يره من قبل وسأل وعرف أنها خطبت لشخص آخر وقامت هدى بالاتصال بسلوى وسألتها مباشرة فردت سلوى بأن مدحت لا يمكن أن ترفضه أي فتاة ولكنها كانت شبه مرتبطة وتقدم لها هذا الشاب في نفس الوقت الذي تقدم فيه مدحت وتمنت لمدحت فتاة أفضل منها تُسعده وكانت لبقة في حديثها وقالت كل هذا بكل احترام وود.

كانت سعادة في قراره نفسها لا تُريد هذه الزيجة وقد سعدت بما تم وكانت تتمنى لمدحت عائلة أفضل فوالد سلوى موظف ولا يُقارن بزوجها ولا وضعهم الاجتماعي ولما شعرت بميل مدحت الشديد لها لم ترد الاعتراض وكان رد فعل عبدالقادر مخالفًا لها حيث إنه سمع الموضوع منها ولم يعلق عليه ورغم عشرتها الطويلة لعبدالقادر ففي أحيانٍ كثيرة لم تكن تفهم تصرفاته فيبدو وكإنه بئر عميقة مملوءة بالأسرار.

حاولت سُعاد تخفيف الصدمة على مدحت وكذلك هدى ولكنه تقبل الموضوع بحكمة كبيرة وكان قد فكر إنه إما يتزوج سلوى ويستقر بمصر أو يسافر إلى ألمانيا لاستكمال دراسته هناك وبالفعل قد جاءته الموافقة من إحدى الجامعات هناك فلما رفضتة سلوى أصبح الطريق أمامه واضحًا فسوف يُسافر إلى ألمانيا ويتم دراسته هناك إن شاء الله بكل عزم وهمة ونشاط وعرض الأمر على والده الذي شجعه على ذلك ولم تكن هناك أي مشاكل مادية

بل على العكس قال له والده سوف تكون هناك مفيدًا لي جدًا حيث أشتري أحدث الماكينات من هناك وسوف تقوم أنت بذلك ولم يمض وقت طويل حتى سافر مدحت إلى ألمانيا وسط حزن سعاد وسهير ابنة خالته التي كانت مُعجبة به سرًا وتتمنى الارتباط به وافتقاد هدى له حيث كانت تُحب الحديث معه وكذلك مُنير الذي قال له)أكن أعرف إنني أُحبك هكذا إلا عندما عرفت بسفرك (وبالتأكيد افتقدت العائلة مدحت في اجتماعاتها الأُسبوعية التي استمرت في مواعيدها رغم رحيله.

****

الفصل التاسع حديث اليهودي يناير1952

في التاسعة مساءً كان عبدالقادر فهمي يُجهز نفسه للنوم مُبكرًا كعادته دق جرس الفيلا مما أزعج الجميع خاصة ولم يكن في برنامج اليوم أي مُقابلات ثم حضرت مديرة المنزل وقالت لسيدها

-الأستاذ مُراد في الصالون بانتظارك يا عبدالقادر بك.

ارتدى الرجل الروب ونزل له في قلق وأمر بتجهيز المشروبات المفضلة له وإرسالها إلى غرفة المكتب حيث يستقبل فيها الضيف..

بادره قائلًا بحفاوة

-خطوة عزيزة..خير يا مُراد.

قال مُراد موضحًا

-سأسافر صباح غد..لقد صفيت كل أعمالي وزوجتي والأولاد سبقوني إلى باريس.

بدهشة سأله عبدالقادر

-معقول؟..!لماذا؟!!

قال مُراد بصوته الخاص

-نحن نشعر بالحالة العامة أكثر من غيرنا..ولدينا توقعات بطبعنا كيهود وكأصحاب مال تجارة فرأس المال كما يقولون ..جبان وليس له وطن..ومصر منذ الحرب والأحداث الأخيرة فيها مُتسارعة والصراعات على أشدُها فمن هزيمة حرب 1948إلى مقتل المُرشد حسن البنا وحل جماعة الإخوان المسلمين أحداث كثيرة والفاعل مجهول وكل التهم عبارة عن خروج البعض واتهامهم للملك وكإنه تحول إلى مُجرم مُتآمر وهو الذي ليس له مصلحة في ذلك ثم حملات قوية في الجرائد وفضيحة وتعاقُد على أسلحة فاسدة فالتغيير قادم قادم..ثم أن الجماعات اليهودية المتطرفة تريد هجرتنا كيهود المشرق إلى إسرائيل وتستخدم سلاح الإرهاب من ذلك وحدثت حرائق لأنشطة اليهود في العراق والمغرب ومصر لتصعيد الكراهية والاحتقان بين الشعوب العربية والطوائف اليهودية الموجودة في هذه البلاد.

بمنطقية قال عبدالقادر

-اليهود في مصر كأي أقلية آمنة.. جميع المحلات الكبيرة كشيكوريل وبنزايون وغيرها أصحابها يهود وكذلك البنوك وجزء كبير من التجارة هم يديرونه والعلاقات ودودة.وفي المجال الفني ستجد كثير من اليهود يعملون في السينما والمسرح والإذاعة وغيرها في كثير من المجالات.

قال مُراد موضحًا رؤيته

-سوف يتغير كل هذا حتى الملك..ألم تسمع عن حركة الضباط الأحرار في الجيش والفدائيين الذين يُهاجمون معسكرات الإنجليز في القناة؟

أجابه عبدالقادر

-أنت تعلم إنني أثق بك وأعلم أن لديك مصادر معلومات وأنك دائمًا توجه لي النصيحة بما يجب أن أفعل في أعمالي ومن المؤكد أن لديك ما تقوله وتنصحني به.

يصمت مُراد بعد تفكير قبل أن يقول

-لن أستطيع أن أقول لك أكثر مما قلته.. ثم إنك أصبحت على قدرٍ كبير من الحكمة التي وفقتك إلى النجاح الكبير الذي حققته.

بمودة قال عبدالقادر

-أرجو أن يكون بيننا تواصل واتصالات.

قال مُراد

-حتى هذه اللحظة لن أستطيع أن أفعل شيء..لنترك كل شيء للظروف.

ثم مد يده وأخرج من جيبه توكيل وقائمة وقال

-أريد منك بهذا التوكيل أن تبيع هذه الممتلكات الموجودة بالقائمة حيث لم يكن هناك وقت لبيعها بمعرفتي وأطلب منك أن ترسل لي النقود على هذا العنوان مُعطيًا العنوان لصديقه

استمهله صديقه فقال

-اشرب الشاي وانتظرني لحظات.

خرج عبدالقادر وتوجه لغرفة نومه ففتح الخزينة وأخرج منها دفتر شيكات لبنك أجنبي في ألمانيا وعاد إلى غرفة المكتب وقال

-هذا شيك إلى بنك في ألمانيا..أنا قمت بإيداع جزء من أموالي هناك..كم تريد كي أضعه في الشيك وأستلمه من هناك مباشرة وبدون انتظار البيع.

فرح مُراد ولم يكن يتوقع أن يقوم معه عبدالقادر بهذا الفعل الجميل الذي حل له كل مشاكل السفر فقام واحتضن صديقه وجلسا يكتبان عقودًا ابتدائية بجانب التوكيل و استمر اجتماعهم لما يقرب من الساعتين ولما انتهيا من الأعمال قال عبدالقادر

-أشكر تعاونك في الماضي وإنك كنت سببًا في..

قاطعه مُراد

-أنا الذي أشكرك على كل شيء وأراك على خير.

ودعه عبدالقادر حتى باب الفيلا وعاد إلى المكتب فجلس على كرسيه الوثير وأشعل سيجارًا كبيرًا ومع تصاعد الدخان أخذت أفكاره في الذهاب إلى الماضي..

كانت أول فرصة لتغيير حياته عندما قامت زوجته سُعاد يبيع جميع ذهبها وإعطاؤها له ليبني مشروعه المستقل عن والده.

والفرصة الثانية التي رفعته كانت تعاملاته مع مُراد الذي بدأ معه بعملية بسيطة ثم عملية أكبر ثم عمليته الكبرى أثناء الحرب فقد أتى له يومًا وقال له" أعد نفسك فهذه عملية ليست مثل ما قُمنا به من قبل هذه الطلبية تخص الجيش الإنجليزي الذي كان يُحارب الألمان والطليان على حدود مصر الغربية وهم مُستعدون لدفع المال فورًا وتوجد دفعة مقدمًا"

فتردد عبدالقادر في بادىء الأمر لسببين وهو التعامل مع الإنجليز وهو لا يُريد ذلك والسبب الثاني حجم العملية..فهي تحتاج إلى ثلاث ورديات كاملة أي24 ساعة يوميًا لمدة ستة أشهر.

أما السبب الأول فقد حله مُراد باحضار وسيط يهودى مقابل نسبْة من الارباح والسبب الثاني تكفل به حُسن إدارة عبدالقادر للعمل ومع انتهاء العملية إلا أن الأمر استمر بكميات أقل وكانت جميع الأعمال تتم حسب ما تم الاتفاق عليه بكل دقة وإخلاص من جميع الأطراف مما أدى إلى توسيع الأعمال وشراء أحدث أنواع الماكينات واستمر التطور ولذلك يذكر عبدالقادر لمُراد إنه أحد أسباب ثرائه الفاحش ولكن هذه أحد أسراره فلا يعرفه أحدد حتى زوجته سُعاد.

كانت سرية هذه الأمور أحد الشروط الهامة لنجاحها فعبدالقادر وطني وكان يكره الإنجليز المحتلين لبلده ولكن الأعمال والثروة لها لغة أخرى ووضع آخر فهي عالمية لا تعرف القوميات ولا الأديان ولا الأيديولوجيات خاصة أن بضاعته ليس لها علاقة بأسلحة القتل والدمار.

نام عبدالقادر في غرفة المكتب حتى الصباح ولم يشعر إلا وآذان الفجر في الجامع القريب فقام يُصلي ويبدأ عمله

اليومي وكأن شيئًا لم يكن.

****

لم تمر زيارة مُراد على أهل المنزل مرور الكرام فسببت قلقًا لسعاد أولًا ثم لهدى ومنير وحتى سهير..

وفي إفطار يوم الجمعة سأل منير عبدالقادر عن هذه الزيارة المسائية الغير متوقعة فرد عليه عبدالقادر بأن مراد سيهاجر هو وعائلته من مصر وقد أتى ليودعه ثم استطرد بأن كثير من العائلات اليهودية والأجانب يرحلون نتيجة لعدم الاستقرار التي تمر به البلاد وذلك يفقد مصر كثير من الثروات وكذلك التنوع الديني الذي كانت تمتاز به.

وقالت هدى بأن لها صديقة يونانية رحلت مع عائلتها ومنير له صديقه إنجليزية حدث لها نفس الشيء.

****

الفصل العاشر خطاب من مدحت

"أبي العزيز....أمي الغالية.....أخواتي الأحباء منير وهدى وسهير..أطيب التمنيات والسلامات والدعاء لكم بالصحة والعافية والسعادة.الأحوال في مصر حسب الأخبار غير مستقرة ويوجد أحاديث كثيرة وتغييرات قادمة.الأحوال في ألمانيا غي تقدم مستمر إعادة البناء لما خلفته الحرب العالمية الثانية على أفضل ما يكون ومشروع مارشال الأمريكي وفر استثمارات كبيرة والشعب الألماني شعب دءوب ومنظم ويتحرك بطريقة علمية,رأيت يا أبي الماكينة التي طلبتها وأرسلك لك الكتالوج الخاص بها وأقترح شراءها.أتمنى يا أمي تأتي وتزوريني في أقرب وقت فأنا مشتاق إليكِ كثيرًا وكذلك أختى العزيزة هدى وابنة خالتي سهير أما منير إذا جاء فلن يعود إلى مصر وغالبًا سيتزوج هنا وبالمناسبة ابنة صاحب المصنع الذي أعمل فيه تعمل سكرتيرة لي وهي تعتبرني عبقريًا لأنني أقوم بإصلاح المُعدات التي تتعطل في المصنع في أسرع وقت وفي أيام الأجازات تمر عليّ بسيارتها لتُريني أماكن كثيرة وهي اسمها سوزان.. آسف لإطالتي عليكم ولكنني أفتقدكم للغاية وإلى اللقاء وسلامي للجميع ولكل من يسأل عني"

ابنكم المُخلص/مدحت

علّق منير على الخطاب وقال لأمه

-ابنك سيظل هناك وأنا سأظل هنا.

وقالت سهير لهدى

-لا يوجد أمل.

****

الفصل الحادي عشر العودة للصالون

عندما اجتمع الحاضرون كنت الأحاديث شديدة السخونة خاصة بعد أن مرور أيام على هجوم كتيبة الجنود الإنجليز بكامل عددها وعتادها مبنى محافظة الإسماعيلية وطالبت جنود الشرطة المصرية بتسليم سلاحهم واعتبارهم أسرى حرب وهم الأقل عددًا وعدة ولا يوجد مقارنة في التسليح بينهم وبين الكتيبة البريطانية.

قال سمير بحماسة يقتضيها انتماؤه الحزبي

-أرأيت فؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية وهو يصدر أوامره لرجاله بالمقاومة لآخر طلقة.. هذا هو حزب الوفد بيت الأمة المصرية والعزة الوطنية.

عارضه سليم قائلًا

-ماذا فعلوا في النهاية..سلموا أنفسهم وسقط شهداء كُثر.. الوفد حزب المصالح والبشوات.. حزب الناس الأغنياء.

قال مكرم بأنف

-ثورة19 بقيادة الوفد جعلت الأمة نسيجًا واحدًا ورأي واحد...كانت ثورة شعبية من الإسكندرية لأسوان شارك فيها الجميع..المسلم والمسيحي والغني والفقير.. الرجل والمرأة... ثورة هزت عرش بريطانيا وألهمت كثير من شعوب العالم الثورة على الاستعمار واستمرت أربع سنوات بقيادة زعيم الأمة سعد باشا زغلول ومكرم باشا عبيد والزعيم الحالي مصطفى باشا النحاس.

عارضه سليم بإصرار

-مثلما أقول دائمًا..أي ثورة يجب أن ينهض بها عمالُها وفلاحوها والكادحين والطلاب والمثقفين.

قال سمير بهدوء

-كل هؤلاء مع الوفد لكن القيادة والتمويل يجب أن يكونوا باشاوات.

ابتسم صديقهم الملكي بسخرية بينما لم يعلق الآخر الذي كان يريد ثورة على هذا النظام والتزم الصمت..

مكرم يقول بعزة

-لا أحد يُقدّر أو يعرف قيمة مصر مثلُنا..مصر كانت سلة غلال العالم..احتلها الروم من أجل إطعام إمبراطوريتهم وبونابرت قال مقولته الشهيرة)قُل لي من يحكم مصر أقل لك من يحكم العالم.(

قال سمير مفتخرًا

-مصر ثاني دولة في العالم تدخل فيها السكة الحديد والسينما ويأتي لها جاليات من كل دول العالم يعملون لدينا..ونرى الإنجليز والفرنسيين والطليان واليونانيين والأرمن..ثم أن مدينة واحدة فيها بها ثُلث آثار العالم.

قال الذي يؤيد الثورة

-مصر قلب العالم العربي والإسلامي وبلد الأزهر الشريف وجامعة العلوم الدينية..أزمتنا في من يحكموننا!

سأل سمير صديقه صاحب الصالون

-وأنت يا عبدالقادر..لم تصمت..ألن تتكلم؟

رد عبدالقادر موضحًا وجهة نظره

-أستمتع عندما أسمع هذا الكلام عن مصر..ولكن كله في الماضي...أين مصر الحاضر والمُستقبل.. ولم هذه التغييرات والأحداث التي تحدث حولنا ولا نجد لها إجابة؟

رد شكري المؤيد للثورة

-لأن مصر مازالت في مفترق طرق.

قال سليم معترضًا

-كل مرة تقل لنا هذه الكلمة..أتمنى أن تشرح لنا ما هي الطرق التي تقف مصر في مفترقها؟!

قال شكري مجيبًا

-مصر كالسفينة..بوصلتها لم تستقر بعد في اتجاه الشرق أو الغرب ولو سمعت خطبة مصطفى باشا النحاس رئيس حزب الوفد الأخيرة لعرفت حقيقة الأوضاع,بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت قوتان جديدتان هما أمريكا وروسيا على حساب القوى التقليدية السابقة التي حتى ستُخلي الساحة العالمية لهما ومصر لا بد أن تتبع أحد القطبين فإلى أي قطب ستُمضي.

رد سليم مُقاطعًا

-الشيوعية الآن حركة عالمية تربح كل يوم مناطق جديدة حتى في أمريكا وأوروبا...العالم اعتبر أن الرأسمالية هي السبب في نشوب الحروب الكُبرى)لتكريسها للاستعمار والاحتكار ونهب الثروات.(

فقال عبدالقادر

-إن النظام الشيوعي نظام نظري وغير منطقي ولا يتناسب مع طبيعة النفس البشرية ولو أراد الله ذلك لكان ظهر مع الإسلام الذي وضع خطوط وحدود للتعاملات المالية دون تقييد وعلى سبيل المثال حكاية سيدنا)داوود عليه السلام(مع الأخوين الذي يملك واحد منهم99 نعجة والآخر واحدى فقط.

قال سمير

-لكن النظام الاقتصادي يشبهونه بتورتة يتم تقسيمها على الجميع فإذا أخذ أحد نصيبًا أكبر فلا بد من حساب الآخرين.

صمت عبدالقادر عن عدم اقتناع وتشاغل بإشعال سيجارة ورشف القهوة.

أكمل الصديق الجديد فتحي وكان يميل إلى حركة الإخوان المسلمين

-الإسلام يكفل لنا الحل رغم أنف الجميع وهو الذي يُناسب الحياة ولقد فضّل الله عز-وجل -البعض على البعض في الرزق وطالب الجميع بالعمل ليفيدوا أنفسهم ويفيدون المجتمع مع فرض الزكاة والإنفاق في أوجه الخير حتى لا يكون هناك محتاج.

تساءل مكرم

-وكيف حال غير المسلمين؟

فأجابه فتحي

-لهم ما لنا وعليهم ما علينا.

تدخل صبحي وقال بهدوء وتقييم موضوعي

-إذا اتجهت مصر إلى الشرق فستكون التغييرات جذرية وفي كل نواحي الحياة أما إذا اتجهت إلى الغرب فلن يحدث في المجتمع تغييرات كبيرة ثم هناك مشاكل أخرى..فمشكلة مثل وضع السودان فالملك فاروق ملك مصر والسودان ولكن الإنجليز والغرب لا يريدون ذلك وهم ربطوا جلاءهم عن مصر بفصل السودان عن مصر والنحاس باشا قالتُقطع يدي ولا أترك السودان ولا شك أن السودان به ثروات كثيرة وهو عمق مصر الأفريقي ووادي النيل نجاشي كما يقول محمد عبدالوهاب وعندما تستمع لخطبة مصطفى باشا النحاس الأخيرة تعلم أن مصر مازالت تبحث عن دائرتها فهي لها ثلاثة أبعاد أو دوائر.. الدائرة الإسلامية وهو مشروع إحياء الخلافة الإسلامية والذي يتبناه الإخوان المسلمون ومشروع الوحدة العربية والذي ظهر في إنشاء الجامعة العربية ودخول العرب حرب48بجيوشهم بغض النظر عن النتيجة وهو ما يُحاول الملك أن يظهر عليه والمشروع الوطني أي ترعى مصر مصالحها وليس لها دخل مع من حولها وهو الذي يتبناه التابعون للغرب حيث المُراد تحجيم مصر وتقزيم دورها.

فقال عبدالقادر مُعقّبًا

-كلام جميل ولكني أرى أن البداية لا بد أن تكون مصر قوية مُستقلة ثم يمكن أن يكون لها تأثير..ولن يحدث هذا بغير العمل ومجال الزراعة محدود ولكن الصناعة هي الحاضر والمستقبل.

واعتدل صديقه سمير وقال

-مصر بلد زراعي والزراعة أساس الاقتصاد المصري منذ أقدم العهود.

وأردف مكرم

-ونحن مزار سياحي وكنوز أخرى وآثار و لكن من يستغلها ومن يفكر فيها وطبعًا السياحة محتاجة للاستقرار وهو لم يعد مثلما كان سابقًا.

قال شكري برزانة

-السفينة المصرية عليها مجموعة من الناس البعض يريدها أن تذهب إلى هنا والآخر يريدها أن تذهب إلى هناك فنحن أصحاب السلطة والقرار من يجعل الطريق واضحًا واتجاه البوصلة ثابتًا.

بهدوء قال سمير

-الوفد هو القوة السياسية الوحيدة ذات الخبرة الطويلة في التعامل مع الغرب.

قال فتحي بأسف

-لو لم تقم إحدى الحكومات السابقة بحل جماعة الإخوان لسيطروا على الشارع وهم يُعاقبونهم على دورهم البطولي في حرب48ودفاعهم عن قطاع القدس حيث أن أغلب المتطوعين كانوا منهم.

ومرة أخرى قال عبدالقادر بحكمة

-ماذا عن المستقبل؟ماذا سيحدث؟هل يمكن لأحد توقع القادم أم سنظل هكذا دائمًا نتحدث في الماضي.

واجتمع المتحدثون على أن تغييرًا ما سيحدث لكن لا أحد يستطيع أن يجزم بأمر ما وماذا سيكون عليه هذا التغيير وماهيته من البداية.

كان الصالون في هذا اليوم صاخبًا والمناقشات حامية وانقضى الوقت سريعًا فقاموا دون أن يكون هناك وقت للعب الكوتشينة كما جرت العادة أما صاحب الصالون فجلس في مكانه وحيدًا بعد انصرافهم وجاءت له سُعاد كعادتها وهي تقول

-صوتكم كان عاليًا لدرجة إني سمعت أكثر الحديث.

وكانت في بعض الأحيان تجلس في غرفة مجاورة والباب مغلق ولكن تستمع إلى ما يقولون خاصة في حالة عدم وجود زوجاتهم معهم ثم استطردت قائلة

-البلد تغلي فوق صفيح ساخن.

****

الفصل الثاني عشرخطة ليلى

ليلى أخت سُعاد وتكبرها بسنتين تقريبًا مازالت تعيش مع زوجها محمود في المنيا عروس الصعيد وهي أم سُهير ولأن لها أولاد وبنات كُثر فقد تركت سهير تعيش مع خالتها وابنة خالتها هدى في بيت عبدالقادر وكانت تزور أختها سعاد مرتين في العام, مرة في الشتاء وتمكث خلالها عشرة أيام ومرة أخرى في الصيف وتمكث شهرًا.

ولم تكن هناك مشكلة فالفيلا كبيرة ولها جناح للضيوف والأولاد يلعبون في الحديقة والسيارات موجودة للخروج وكانت سعاد تحب ليلى وكذلك عبدالقادر ولكنه لا يغير شيئًا في نظام حياته ولكن ليلى كان لديها بنت واعدة ذات جمال وذكاء وقد حرصت ألا تحضرها معها هذه الزيارات حتى لا يراها أولاد خالتها وهي طفلة.وقد أتت معها في هذه الزيارة وقد بلغت السابعة عشر وما أن رآها منير حتى وقع في حبها من أول نظرة وهو الذي لم يكن يعترف بوجود الحب وكان دائمًا يتوقف عند محطة الإعجاب ولكن في هذه المرة انطلق القطار بسرعته القصوى إلى محطة الحب وقد لاحظ عليه الجميع ذلك فهو الذي كان لا يُلقي بالًا لأولاد خالته أصبح مرشد الخروج معهم فذهب معهم إلى حديقة الحيوان وقضى معهم اليوم بطوله وعزمهم في جزيرة الشاي على الطعام وذهب معهم إلى حديقة الأورمان وإلى القناطر الخيرية وحتى عند نزولهم البلد كان يصحبهم كل من هدى وسهير وحبيبته نادية إلى جروبي أو الأمريكين ولم يعد يخرج من البيت إلا معهم واتفق مع هدى وسهير أن يتركوه مع نادية في جروبي لمدة نصف ساعة وقد انتهزت هدى هذه الفرصة وقالت له مداعبة

-كم تدفع ثمنًا نظير هذا؟

أجابها

-أي شيء ولكن أرجوكِ ولأجل خاطري.

فقالت له

-مسكين..غارق في حبك كما يقولون.

وعندما اختلى بها في جروبي وجد نفسه في حيرة وهو الذي لم يكن يهمه شيء من قبل وقال لها

-أنا معجبك بك وأريد أن أتزوجك.

فردت عليه بدون تردد

-لدى شروط.

قال لها

-أنا أقبل كل شروطك مُقدمًا.

قالت له

-سأقول شرط وأتبعه بالثاني وهكذا إذا لم توافق سأرفض الأمر.

صمت ولم يرد وهو في قلق..

قالت بهدوء واثق

-تعمل عملًا مستقل عن والدك.

قال لها على الفور

-موافق.

قالت مواصلة

-ويكون لنا بيتًا مستقلًا.

قال في سرعة

-موافق.

قالت مستمرة

-نظام حياتنا أن تذهب إلى ا لعمل صباحًا ثم تعود إلى البيت على الفور...لا مقابلات مع أصدقاء إلا مرة واحدة في الشهر.

قال

-موافق.

قالت بنفس الهدوء

-ستُعطيني راتبك وأي دخل آخر وسأعطى لك مصروف يومي مُناسب.

-موافق.

-سنزور خالتي مرة واحدة في الأسبوع

-موافق..

سألته

-أي شيء تفعله نتفق عليها؟

-موافق

قالت بابتسامة كبيرة

-في هذه الحالة..لا يوجد مانع.

كاد أن يطير من الفرح وشعر بالذهول ولم يدرِ ماذا يقول وتوقف الزمن وهو ينظر إليها وهي تبتسم وتنظر إليه قال لها

-هيا بنا.

سألته

-إلى أين؟

أجابها بسعادة ظهرت جلية على وجهه

-على والديّ و والديكِ.

سألته

-وهدى وسهير؟

قال غير عابئًا لأن الفرح أعماه

-دعيهما يذهبان.

ونسى طربوشه الذي كان يلبسه على رأسه..

****

عندما عاد منير ونادية إلى المنزل وأخبرا الأهل لم يكن هناك مُعارضة من أحد بل على النقيض بارك الجميع هذا الارتباط فسعاد أعلنت إنه أصبح لها ابنة جديدة وترك عبدالقادر كعادته الحرية لأولاده وكانت أكثرهم سعادة هي ليلى حيث خططت لذلك منذ البداية وقالت في نفسها)لقد عوضت نادية ما فشلت فيه سهير(وتوالت الأحداث سريعًا في اتجاه إتمام الزواج فقد خصص عبدالقادر شقة في شارع عدلي بوسط البلد لهما وهي إحدى

الممتلكات السابقة لصديقه اليهودي مُراد والتي ابتاعها عبدالقادر منه وهي شقة كبيرة خمس حجرات وقاعة استقبال وفي مكان رائع..وسط البلد التي تم إنشاؤها في عهد الخديوي إسماعيل والتي تم تكليف المهندس علي مبارك لعملها على غرار باريس عاصمة الجمال..حيث قام وقتها الخديوي أيضًا باستدعاء المهندس الفرنسي الذي خطط وسط باريس للقيام بها وتوفير ما يلزم له لتكون تُحفة معمارية.

وعُيّن مُنير في بنك مصر بتوصية من عبدالقادر الذي كان من كبار المتعاملين مع البنك وكان هذا الشهر ملىء بالحركة لتدبير ما يلزم لمنزل منير والاستعداد لحفل الزفاف التي أمر عبدالقادر أن تكون في حديقة الفيلا التي تم تزيينها وتجهيزها لاستقبال المدعوّين وتم الزفاف في شهر مايو1952 وكانت حفلة رائعة أسعدت الجميع

****

الفصل الثالث عشر خطاب من مدحت لأخيه

"عزيزي وأخي الحبيب منير.....بعد التحية..

ألف ألف مبارك يا أخي على زواجك الميمون واستقرارك وتغيير أحوالك بالعمل وأرجو لك شهر عسل سعيد في الإسكندرية وأبلغ زوجتك وابنة خالتي بتمنياتي الطيبة لها وكنت أتمنى حضور زفافك ولكن كما تعلم مشغول في امتحاناتي ومذاكرتي وعملي الذي يمتد إلى اثني عشر ساعة يوميًا.

أبلغ تحياتي لأبي وأمي وهدى وسهير وجميع الأهل ومن يدري..ربما ألحق بك قريبًا,سوزان تبلغكم جميعًا تحياتها وإلى اللقاء إن شاء الله.....شقيقك مدحت."

****

الفصل الرابع عشر الصديق

اتصل مكرم بعدالقادر واستأذنه أن يزوره اليوم في المنزل الساعة الثامنة مساءً لأمر هام.

جلس عبدالقادر في مكتبه بالمنزل ووصل مكرم ومعه ابنه المهندس نبيل وبعد التحيات والسلامات قال لعبدالقادر

-نبيل ابني مهندس ميكانيكا وألحقته بعده أعمال لم يسترح بها...

قاطعه عبدالقادر في سرعة

-دعه يأتي لي بالمصنع غدًا لاستلام عمله بالمرتب المناسب له.

ثم وجه كلامه لنبيل قائلًا

-اعتبر المصنع مصنعك وأي مشكلة تقابلك باب مكتبي مفتوح لك مباشرة وأتمنى لك كل التوفيق..والدك صديق عمر, كنا في نفس المدرسة بالمنيا.

انصرف مكرم شاكرًا وفي الصباح التحق منير بالعمل في مصنع عبدالقادر.وفى فترة وجيزة اصبح نبيل مكرم متى مدير الصيانة

****

الفصل الخامس عشر شهر العسل

قضى منير وزوجته نادية شهر العسل في فندق سان ستيفانو بالإسكندرية وهو فندق شهير وجميل يقع في وسط الإسكندرية وعلى البحر مباشرة فالجو رائع والمنا ظر جميلة وهما يعيشان حالة حب.

في الصباح يتناولون الإفطار في الفندق وفي الظهر يصحبها في سيارته التي أهداه والدْة إياها كهدية زواج إلى أحد المطعام الشهيرة وفي المساء سينما أو مسرح أو ملهى أو زيارة لأحد الأقارب وقد حضرن سعاد وليلى وهدى وسهير وأقمن في شقة بالشاطىء كانت إحدى الممتلكات التي اشتراها عبدالقادر وكانوا في المساء يخرجون جميعا مع منير ونادية والإسكندرية في ذلك الوقت كقطعة من أوروبا وبها جنسيات مختلفة كثيرة جميعهم يديرون أعمالًا تجارية ويقدمون الخدمات على أرقى مستوى.أما عبدالقادر-وكان له أصدقاء وتعاملات كثيرة-فكان يأتي يوم الخميس في المساء ويقضي معهم يوم الجمعة ويمارس عمله يوم السبت الساعة الثامنة كالمعتاد.

عاد مُنير بعد انتهاء شهر العسل إلى شقته بشارع عدلي وكان يستيقظ مبكرًا في الصباح ويرتدي ملابسه ويضع الطربوش الأحمر على رأسه ويركب سيارته ويذهب إلى عمله وكانت نادية تحرص على الاستيقاظ معه وتحضر له إفطارًا بسيطًا وفنجان من الشاي أو القهوة وترافقه حتى الباب النزول ويعود من العمل في الرابعة فيأخذ حمامًا سريعًا ويجلس ليتناول الطعام من نادية الساعة الخامسة ثم يخرج معها إلى المكان تختاره وسط البلد ويعودان الساعة التاسعة.وزيارة العائلة يوم الاثنين مساءً وهو يزورهم يوم الجمعة صباحًا حاضرًا للإفطار في هذا التوقيت حسب رغبة عبدالقادر وفي هذا اليوم دارت مناقشة هامة فقالت هدى مُترددة

-بابا..أريد منك طلبًا.

فقال لها أبوها

-تفضلي..أأمري.

قالت على الفور

-طالما سافر مدحت إلى الخارج و منير يعمل في بنك مصر مستقلًا عن حضرتك فلي رغبة في العمل معك لأكون بجانبك وأُساعدك وأتعلم منك وأستطيع الاستمرار في ما بدأته..

قال منير مندهشًا

-أهذا معقول؟..!كيف؟!

فأجابت نادية

.واللهِ هذه فكرة جيدة.

وقالت سُعاد فيما يشبه التأنيب موجهة كلامها لابنها منير

-ألم يكن أفضل أن تعمل مع والدك؟

وقالت سهير مؤيدة

-لن أترك هدى..أنا معها.

صمت عبدالقادر كعادته حتى تكلم الجميع وأبدوا آراءهم وتجادلوا فيما بينهم وساد الصمت في انتظار قراره ووجه كلامه إلى هدى

-تعلمين يا هدى إنني تركت لكم حرية اختيار حياتكم وكان دوري توفير الجو الملائم لكم فكان مدحت الله يصبحه بكل خير يحب العلم والهندسة ووجد نفسه في المعمل والدراسة بالخارج وأعتقد إنه إن شاء الله سيحقق النجاح الذي يريده ونُريده له جميعًا.وتصادف أنه يستطيع مساعدتي في بعض الأعمال وأنا سعيد باختياره وإذا غصبت عليه بالعمل معي ما كان سيُصبح سعيدًا حيث أنه لا يحب الأعمال التجارية على الأقل في الوقت الحالي..

قال هذا وصمت ونظر غليهم حتى يتأكد من أن كلامه قد تم استيعابه ثم استطرد

-أما منير فأنا أعرف طبيعته التي تغيرت نسبيًا بتأثير نادية ونظر إليها مبتسمًا وهو لا يحب المسئوليات والضغوط التي أعيشها دائمًا في العمل والتي لا أشعر بها أحد منكم فقد يكون النجاح صعبًا أو سهلًا ولكن الأصعب هو المُحافظة عليه والتي تتطلب من في بعض الأحيان مجهودًا أضعاف مجهود النجاح.

ثم صمت كما في المرة السابقة وكانت هدى تنتظر وقد فقدت الأمل في موافقته فقال

-والوظيفة أفضل له أما أنتِ يا هدى فإذا كانت هذه رغبتك فلا بد أن تبدأي كموظفة عادية وتري جميع الأقسام حتى تعرفين العمل في كل مراحله فإن اجتزتٍ هذا فسيكون هناك كلام آخر.

ففزت هدى سعيدة وانطلقت نحوه وعانقته معانقة شديدة ثم قالت متسائلة

-وسُهير؟

فأجابها عبدالقادر

-وكذلك سهير.

ثم استدرك

-بالمناسبة سأقرر– وقتها-لكما راتبًا..متى تحبان أن تبدئا؟

فرددتا الفتاتان في نفسٍ واحد

-غدًا صباحًا.

****

الفصل السادس العشر هدى وسهير وسُعاد

في هذا العام1952 تغيرت حياة الأسرة كثيرًا فقد استقر مدحت بألمنيا وتزوج منير وهدى أصبحت تعمل هي وسهير وقد ظهرت هدى على حقيقتها أقرب ما تكون لشخصية أبيها سريعة البديهة وسريعة التأقلم والفهم فما تفهمه في يوم يفهمه غيرها في أسبوع وكانت سهير مُلاصقة لها فكونتا معًا فريقًا رائعًا ملتزمًا بالعمل على أكمل وأفضل وجه وكان عبدالقادر فهمي يتعامل عهما كأنهما غريبتان أثناء العمل وعندما يذهب إلى المنزل يوضح لها ما يريدان فهمه ويجيب على أسئلتهما ويشرح لهما أسباب أي قرار.

خلا البيت على سعاد في الصباح فالجميع خرج ولا يعود إلا في المغرب..

أما هدى فقد اقتنعت أن هذه هي حياتها التي يجب أن تكون عليها وأن تستمر فى مسيرة أبيها الناجحة في مجال الأعمال وقال لها أبوها

-أنتِ تملكين الموهبة والرغبة.

فقالت ضاحكة

-إذاً المرأة كالرجل.

فقال لها عبدالقادر

-في الحرب العالمية الثانية ذهب الرجال إلى القتال وقامت النساء بكل الأعمال , في ألمانيا يقولون عن المرأة الألمانية إنها حصان أوروبا وفي بلدان أوروبا الشرقية مثل تشيكوسلوفاكيا تعمل السيدة سائقة قطار وبولدوزر التكنولوجيا والصناعة ولا تحتاج إلى قوة بدنية.

تدخلت سهير في المناقشة وقالت

-هل سيأتي اليوم ونجد فيه المرأة رئيس جمهورية؟

فقال عبدالقادر ببساطة

-القرآن الكريم توجد فيه ملكة سبأ الحكيمة منذ ألوف السنين..دور الأم هو من يعوق المرأة قليلًا بالإضافة إلى أنه في الماضي كان الاحتياج إلى القوة البدنية.وتوجد أشياء لا تستطيع المرأة ن تفعلها.

فردت سهير

-ويوجد أشياء لا يستطيع الرجل أن يفعلها.

برزانة قال عبدالقادر

-الاثنان يكملان بعضهما.

كانت سعاد تقوم بالسؤال الدائم والتودد لأهلها وأهل عبدالقادر الذي ندر أن يراهم إلا في المناسبات وكانت تقوم بإنفاق الزكاة والصدقات التي يُخرجها عبدالقادر على من تعلم حاجته وكذلك على الجمعيات الخيرية وكانت تقوم بذلك بدقة والتزام وقد لا تشعر بوجودها ولكن عبدالقادر كان يفهم ذلك ويُقدّر باطمئنان كامل كفاءتها وكانت حبيبة الجميع وأي مشكلة يلجأوها إليها وهي تُخطر عبدالقادر يوميًا بعد عودته وتطلب منه ما يلزمها لأداء مهمتها وكانت تقول أن هذا من رزق الله سبحانه-وتعالى لعبد القادر والحقيقة أن سُعاد كنت تتمتع بشخصية مُريحة لكل من يتعامل معها وتستطيع أن تتعامل مع الجميع كل حسب طبيعته ولكنها لم تكن سعيدة بما تم لأولادها فكانت تود أن يكونوا أفضل مما هم فيه وما هم عليه ولم لا وأبوهم بدأ بالقليل وهم عندهم الكثير ولكنها لم تُصرح بذلك إلا لعبدالقادر الذي قال لها إنه سعيد بما هم عليه فهي لا تدري كم التعب والضغوط التي يتحملها فهم أسعد حالًا وأوفر حظًا وكانت تفهم عبدالقادر من النظر إلى وجهه وفي هذا اليوم قالت له

-أيوجد شيء تخفيه ولا تريد أن تعلنه..لقد تغيرت..آخر شيء كنت أتوقعه أن تجعل هدى تعمل معك.

فابتسم زوجها وقال

-ألا يوجد شيء يمر عليكِ, يوجد تطورات كثيرة يا سُعاد ولكنني أريدك أن تكوني مطمئنة إن شاء الله.

سألته زوجته

-أمن الممكن أن أعرف هذه التطورات؟

أجابها

-ربما لا يمكنني التحدث الآن,ربما فيما بعد.

وطرقت مدبرة المنزل الباب قائلة

-العُمدة بأسفل ينتظر جنابك.

فقال بجدية ناهضًا

-أنا قادم في الحال.

سألته سعاد مرة أخرى

-ما الأمر؟

فأجابها إجابة مبهمة

-ثقي فيّ.

قالت سُعاد لمدبرة المنزل

-إنه العمدة ويجب إعداد عشاء خاص به..هيا بنا.

****

الفصل السابع عشر العمدة

جلس العمدة يقص على عبدالقادر أحوال البلد عنده بالتفصيل وعبدالقادر يُبدي الاهتمام الواجب وتم تجهيز العشاء وجلس العمدة وعبدالقادر لتناوله.

لم يكن عبدالقادر جائعًا ولكنه تظاهر بأنه يأكل واستمر العمدة في الحكايات القديمة والجديدة حتى وصل إلى حكاية عبدالشكور باشا وجاءت سعاد حيث إنها تحب الاستماع ومعرفة أحوال البلد فقال العُمدة

-واللهِ يا سُعاد هانم عمرى ما رأيت مثل عبدالقادر بك,عبدالشكور باشا خسر في البورصة جميع أمواله وطلب بيع الأرض قلت له لا يوجد سوى عبدالقادر بك فهمي وجلس معه,لم يستغل مشكلة الباشا ويبخس ثمن الأرض,بل يقول له يقصد عبدالقادر أنا تحت أمرك يا باشا والسعر الذي تُريده وأعطي لك شيكًا بالمبلغ وقال له) الفيلا التي تمتلكها كما هي لن تدخُل في هذه البيعة سبحان الله نهض الرجل واحتضنه وقال له لقد أنقذتني وأنقذت سمعة عائلتي

قال عبدالقادر للُعمدة

-بالطبع تتذكر كم كان عدد أفدنة الأرض؟

رد الُعمدة

-مائة وعشر أفدنة.

وفي هدوء قال عبدالقادر

-حسنً..أريدك أن تبيعهم في أسرع وقت.

قال العُمدة مبهوتًا

-وهل يُعقل هذا؟!لن يتبقى وقتها سوى ثمانين فدانًا فقط من أرضك!

قال عبدالقادر على الفور

-ما حدث لعبدالشكور باشا حدث لي أيضًا.

سأله العُمدة

-البورصة أيضًا؟

فرد فهمى

-إننا نمر بظروف صعبة.

نظرت سُعاد إلى زوجها بدهشةوتحيرت ولم ترد مناقشته أمام العُمدة..

أخرج صاحب المنزل توكيلًا للعُمدة بالبيع وأمر بالسيارة لتوصل العُمدة الذي رفض المبيت مُتعللًا بأنه سيبدأ إجراءاته في الصباح.

نظرت زوجته إليه وقالت مندهشة ومتعجبة

-لست أدري ما الذي يحدث؟!ممكن أفهم؟

ضم عبدالقادر زوجته إليه وقال

-من الصعب جدًا التوضيح,كل ما أستطيع قوله وأعلم أنكِ ستفهمينه جيدًا أن البلد سيحدث فيها تغيير مفاجىء وهذا التغيير سوف يؤثر علينا بشكل كبير وأنا أقوم بكل جهدي كي أقلل من تأثيره علينا وسوف يكون هناك بعض التضحيات مثل ما فعلته الآن ورأيتيه,وأرجو وأطلب منكِ ألا تُخطري أحدًا بذلك,وسوف أتظاهر بأنني أمر بأزمة مالية حتى أُعيد ترتيب الأوضاع.

لم يغمض جفن سُعاد في هذه الليلة وهي تُحاول أن تفهم هذه الألغاز التي قالها عبدالقادر ولكن بعد أيام قليلة فهمت بل استيقظت مصر صباح يوم23 يوليو1952على حدث هام لم يتوقعه أحد إلا قليلًا.

الفصل الثامن عشر في الصالون

مرت أحداث على ثورة23 يوليو وكليل الصيف بدا قصيرًا من كثرة الأحداث الدراماتيكية فقد قامت حركة الضباط الأحرار بإزاحة الملك وطرده والاستيلاء على الحكم, ولم يقاوم الملك حقنًا للدماء والعجيب أن القوات الإنجليزية المتواجدة في قناة السويس لم تتدخل ولم يكن وجوه ضباط الحركة معروفة حينذاك للشعب باستثناء اللواء محمد نجيب الذي نُصّب قائدًا للحركة في ذلك الوقت وزعيم الضباط الأحرار.

وقد أصدرت الحركة مجموعة من البيانات التي تدعو إلى الإصلاح وكان موعد صالون عبدالقادر الذي جلس مبكرًا يُدخن سيجارة ويفكر في الأحداث ولم يكن أحد قد حضر بعد فعاد بذاكرته إلى ليلة لقائه مع صديقه مُراد الذي أول من أخطره بإمكانية حدوث تغيير وفي ليلتها لم ينم عبدالقادر حتى الصباح وقد كان– وقتها -يُفكر ويطرح على نفسه سؤالًا.. لماذا يترك صديقه اليهودي وعائلته البلاد ويُهاجرون بالتأكيد ليس لسببٍ شخصي أو ظروف تخصهم وحدهم حيث أن كثير كانوا يفعلون ذلك وماذا يحدث إذا خرج اليهود بأموالهم من مصر وهم يملكون جزءً كبيرًا من السوق.ثم ما هو هذا التغيير؟هل هو تغيير خارجي أي يتبع قوة خارجية؟أو بمعنى آخر ستترك إنجلترا مصر وترحل ويترك هذا فراغ سوف تملأه بالتأكيد قوى عظمى أخرى إما أمريكا أو روسيا فإذا ملأته أمريكا فلن يكون له تأثير كبير على المجتمع والاقتصاد ولكن إذا ملأته روسيا والنظام الشيوعي فإن هذا زلزال يُدمّر كما حدث أثناء ثورة1917في روسيا وعند هذا توقف قليلًا فبالتأكيد سيكون هذا نهاية كل أعماله ومجهوده السابق في الحياة وبدلًا من أن يكون صاحب المصنع سيكون عاملًا فيه وكذلك بدلًا من أن يكون صاحب عزبة يكون فلاحًا فيها وسوف تكون سُعاد هي الأخرى نفس الوضع كذلك.

لا شك أن الإنجليز هم المظلة التي يعمل تحتها اليهود بأمان وحرية ويمكن أن يكون الأمريكان كذلك فإذا ذهب اليهود فلأن لديهم رؤية أن الإنجليز سيتركون مصر ومن المؤكد أيضًا أن لديهم شكوك فيمن سيحل محلهم,ثم سأل نفسه عن القوى الداخلية في مصر,هناك حزب الوفد ومازال هو الأفضل شعبيًا وهو حزب البشاوات والطبقة المتوسطة وبيت الوطنية المصرية ولا يرتبط بأي جهات خارجية والحزب الشيوعي مرتبط بحركة الشيوعية العالمية التي تنتشر انتشارًا سريعًا حتى في أوروبا,وأمريكا تعتبرها العدو الأول وأحزاب أخرى منشقة عن الوفد هي ذات وزن صغير نسبيًا,وحركة الإخوان المسلمون التي تلقت ضربات موجعة من إحدى الحكومات السابقة قبل الثورة وباغتيال مُرشدها حسن البنا في ظروف غامضة لم يعرف أحد حتى الآن من الذي فعلها فأيٍ هذه القوة سيعتمد عليها في تسيير الأمور.

الوفد لا يمكن أن يقود التغيير فهو يعتمد على مبادىء ومتمسك بالدستور وزعيمه مصطفى النحاس رجل وطني من الطراز الأول كان يُحارب الملك والإنجليز ,والشيوعيون لن يُلاقوا التأييد الكامل لأنهم يهاجمون الأديان,والإخوان المسلمون جماعة لها أهدافها وتعمل لمصالحها وهي حركة تُريد إحياء الخلافة الإسلامية ومصر جزء من هذه الدائرة .والقوى الداخلية مُتصارعة تُريد أن تصل إلى الحكم ولكن ما تأثير ذلك؟

المؤكد أنه سيحدث انكماش اقتصادي كبير وقد يستمر لسنوات, ولكن أخطر هذه التغييرات هي الشيوعية حيث أن الوطنية المصرية معرضة لمُحاربة من الغرب فليس بعيدًا أن تسقط مصر عاجلًا أو آجلًا في أيدي الشيوعيين..إذاً ماذا أفعل؟)كان هو لسان حال صاحب الصالون(هل أجلس وأنتظر حتى تحدث كارثة؟أم أفعل

مثل هذا اليهودي وأهرب للخارج؟لا يمكنني أن أفعل هذا ولكن سأفعل شيئين سأقوم بعمل انكماش لأعمالي ولم لا؟لقد أنعم الله علي بأموال تكفي أسرتي لثلاثة أجيال.ولم لا وقد عملت بكل طاقتي لمدة ثلاثين عامًا..

فلأسترح قليلًا وأتوقف لأنظر إلى أين تسير الأمور..

والثاني:أتظاهر بوجود أزمة مالية وأبيع جزء من المُمتلكات وأرسلها إلى الخارج تحت اسم شراء معدات جديدة وخامات ومدحت هناك ومعارفي السابقين سوف يُسهلون لي ذلك والآن متى أبدأ؟إن هذا الرجل لم يكن يُسافر بل إنه كا يهرُب ومعنى ذلك أن خير البر عاجله وسأبدأ اليوم بوضع خطة وأشرع في تنفيذها.

قطع عليه تفكيره دخول جميع أصدقائه بغتة وكانوا قد تقابلوا خارج الفيلا وبدأ النقاش ساخنًا من وقتها ودخلوا وكل منهم يتكلم مع الآخر)وكان بعضهم سعيدًا(لأنهم وجدوا من هذه الأحداث ما يزيل عنهم الر تابة ويزرع فيهم الأمل في التغيير إلى الأفضل أما البعض الآخر فكان قلقًا ولا يرى ماذا ستصير إليه الأمور وهل هذا نافع أم ضار لهم على المستوى الشخصي والاجتماعي والوطني والبعض الآخر لم يكن مصدقًا ما حدث.

****

الفصل التاسع عشر منير ونادية

كان منير سعيدًا بحركة الضباط الأحرار في23 يوليو وكان يقول دائمًا ما الحاجة إلى سائقين..نستطيع أن نخدم أنفسنا ولماذا نسكن في مساكن كبيرة ويمكننا السكن في أماكن على قدر احتياجتنا ولا نأكل أكثر من ثلاث وجبات في اليوم ولماذا يكون هناك أغنياء غنى فاحش وهناك فقراء فقر مدقع وهو كلام الشيوعيين والاشتراكيين وكانت نادية تُعارضه بشدة وتدخل معه في نقاش طويل فالله"سبحانه وتعالى"خلق الدنيا طبقات ليخدم بعضها بعضًا وإلا فلماذا يوجد طول القامة وقصر القامة وناس بيض البشرة وناس سمر البشرة..لقد خلق الله)عز-وجل(الاختلاف ليُكمل كل إنسان الآخر ولماذا خُلق رجال ونساء؟فهذا الكلام الذي يقوله منير-من وجهة نظرها-غير واقعي وقد يكون به بعض المثالية ولكنه بالتأكيد غير واقعي ولا يصلُح للتطبيق العملي,فوجود الأغنياء يحفزالفقراء على العمل والطموح ووجود الفقراء يذكر الأغنياء أن هذا مصير من لا يعمل..ولماذا هناك مرضى وهناك أصحاء؟فكان منير يعجبه قوة رأيها ويتساءل أين تعلمت هذا الكلام؟ ومنير كان يعيش معها قصة حب ولكن نادية دائمًا كانت تحفزه أن يكون أفضل ولم يكن يُعجبها قناعته وعدم طموحه وكانت تسأله: لماذا لا تعمل مع والدك؟ وكانت إجابته لها بأنه لديه ما يكفي ويزيد فله راتب جيد من البنك والشقة لا يدفع فيها إيجار ووالده يُساعده كل شهر بمبلغ مالي مُناسب وعنده سيارة وموفر لها جميع ما يحتاجه المنزل؟فلم المتاعب؟

في هذا اليوم قالت له نادية إن لدينا ضيف قادم يحتاج إلى الكثير من المصاريف وأشارت إلى بطنها فتسمر مُنير مكانه لبرهة ثم احتضنها بكل قوة ثم تركها وأخذ يقفز في الغرفة قائلًا بسعادة كبيرة

-سوف أُصبح أبًا..سوف أُصبح أبًا..

ثم نظر إليها وقال لها

-ماذا أفعل لكِ؟أنتِ تفاجئيني هكذا..أنتِ أجمل شيء في حياتي.

فقالت له

-ما أُريده منك هو ما قلته لك.

فقال لها

-دعينا نناقش هذا الموضوع فيما بعد.

سألته

-إلى أين؟

أجابها

-إلى أمك وأمي وأبي وأبوكِ والناس جميعًا.

سألته

-ماذا سنسمي الطفل؟

أجابها ومازالت السعادة تملأ وجهه كله

-إذا كان ولد نسميه محمد نجيب..أما لو بنت نُسميها سُعاد؟

سألته مبتسمة

-وماذا تريد أنت؟

أجابها

-ولد أو بنت جميلة مثلك وكل ما يأتي به الله "سبحانه وتعالى"خير وجيد لنا والحمدلله.

كان فرح العائلة كبيرًا فيُعتبر هذا أول حفيد لها وقبّل عبدالقادر مُنير وقال له

-من الشهر القادم سيُضاعف المبلغ الذي يعطيه له كل شهر كما ستكون هناك مفاجأة كبيرة.

وكانت نادية قد تسللت إلى قلب سُعاد وأصبحت كابنة لها أما ليلى ومحمود فكانوا أكثر السعداء وقد شعروا بأنهم أصبحوا شركاء لعبد القادر وسُعاد في كل شيء.

****

الفصل العشرون عزت سليمان

كانت سهير تستعد للذهاب إلى العمل مع هدى كعادتها كل يوم وأثناء نزولها إلى باب الحديقة اعترضها شاب طويل القامة, معتدل القوام ,أبيض الوجه, وأسود الشعر ووسيم وقال لها

-أتسمحين لي يا آنسة سهير أن أتحدث معك قليلًا..

فقالت متعجبة

-في أي موضوع؟

أجابها

-أنا جاركم في العمارة التي بجوار الفيلا والحقيقة إنني معجب بكِ وأود التقدم لخطبتك.

وأتت هدى في هذه اللحظة وقالت بحذر وتساؤل

-ما الأمر؟..أيوجد شيء ما؟

فأجاب الشاب

-أنا اسمي عزت سليمان, جاركم وشقيق سلوى وأريد التقدم لخطبة الآنسة سهير.

فنظرت هدى إلى سهير التي قالت

-الحقيقة لقد فاجأتني ولا أستطيع الرد عليك الآن.

قال مقترحًا

-إذا شئتِ آتي بوالدي ونتقدم رسميًا.

قالت بهدوء

-حسنً..دعني أفكر قليلًا.

سألها

-كيف أتصل بكِ؟

فقالت هدى

-أعطيه رقم هاتف منزلنا وتستطيع أن تتصل الساعة التاسعة مساءً غدًا إن شاء الله.

فقال ممتنًا

-شكرًا.

وعندما ذهب قالت هدى لسهير

-أتعرفيه من قبل؟

فأجابتها الأخيرة

-لم أنتبه إليه من قبل.

فأوضحت هدى

-أنا أعرف سلوى لها أخ في مثل سنة ويعمل مدرسًا, ولكن لماذا حدثك ولم يأتِ بطريقة رسمية؟

فقالت سهير هازة كتفيها

-ربما بسبب موضوع مدحت وسلوى.

قالت هدى مؤيدة ثم سائلة

-ربما..وأنتِ ما رأيك؟

قالت سهير مُراعية التقاليد والأصول

-يجب السؤال عليه بشكل جديّ, أما عن شكله فلا بأس.

فضحكت هدى وقالت

-هو كالقمر..إنه يشبه ممثلي السينما,أشعر أن هناك شيء تخفيه علي.

قالت سهير مستنكرة

-أمن المعقول أن أخفي عليكِ شيئًا؟!

ولكنها لم تكن الحقيقة..

فقد لاحظت أن هذا الشاب يمشي وراءها من بعيد كلما خرجت لقضاء أي مشوار, وهو كذلك منذ أكثر من شهر.ويبدو إنه استجمع شجاعته اليوم وانتظر خروجها للعمل وقابلها بل إنها رأته وتقدمت قبل هدى لتكتشف ماذا يريد وهو يُعجبُها جدًا ولكنها لن تُصرح لأحد بهذا وأخفت على الجميع سعادتُها في بعض الأحيان لخروجها بمفردها حتى تعرف ماذا يريد وتسعد برؤيته وهو يُتابعها.

لم تكن هد ى على طبيعتها اليوم عندما ذهبت إلى العمل..

طلبت سهير وأغلقت المكتب عليهما وقالت لها بحزم

-لقد تذكرت الآن خروجك كثيرًا الشهر الماضي وكنتِ تسيرين وحدك وبالتأكيد لن يُحدثك هذا الشاب هكذا إلا إذا كان هناك شيء..أخبريني الحقيقة؟

تلعثمت سهير وقالت مُرتبكة

-ليكن..ولكن ليس الآن.

قالت هدى شاعرة أنها أصابت كبد الحقيقة

-لا..لن تخرجين من هنا إلا إذا اعترفتِ.

فاستسلمت سهير وقالت لها الحقيقة التي حاولت إخفاءها واحتضنتها هدى قائلة

-أيتها الجبانة..أتخفين عني أنا أمرًا كهذا..ألف مبارك لكِ.

وقالت سهير بقلق

-ولكنني أخشى أن يؤثر موضوع مدحت وسلوى...

قالت لها هدى

-لقد مر على هذا الموضوع الكثير ومدحت سافر منذ زمن وسلوى الآن أم..وهذا شيء وهذا شيء آخر.

وأقنعت هدى الجميع وتم كتب الكتاب تمهيدًا للزواج ولحين تُستكمل شقة سهير التي أصرت أن تكون في نفس الشارع حتى تكون قريبة من هدى فتراها يوميًا حيث أن الأهل-جميعهم-في نفس الشارع.

وبالفعل تم لها ما أرادت فكانت شقة صغيرة ولكن جميلة في الطابق الأول.

ظهر في عش الزوجية ذوق سهير وترتيبها الرائع للشقة فكل ركن كان قطعة من الفن والذوق وكانت هذه الشقة لا تبتعد سوى ثلاث دقائق سيرًا على الأقدام من فيلا عبدالقادر ورغم ذلك فقد تركت سهير فراغًا شاغرًا فقد كانت كالشيء الذي لا تشعر به إلا عندما تفقده,وكان أكثر المتأثرين بذلك هدى.

****

الفصل الواحد والعشرون هدى

جلست هدى بعد أن عادت من العمل بمفردها وكانت تفكر في سهير,لقد كان فرحها رائعًا مثل فرح نادية أختها وأخوها منير وتمنت أن يكون فرحها قريب وهي التي رفضت كثيرين ممن تقدموا إليها بحجة إكمال دراستها أولًا ثم انشغالها بالعمل بعد ذلك ولكن الحقيقة أن هدى لا تُريد الزواج فقط,فهي تُريد الحب ثم الزواج كما ترى في الأفلام العربية والعالمية وهي لم تشعر بالحب ولم تقع فيه حتى الآن.

قابلت البعض وأعجبت بهم ولكن هذا الإعجاب لم يصل إلى الحب,ولكن كيف ستعرف أنها أحبت وهي لم تجرب الحب ولكن سمعت عنه, ثم تساءلت..كيف ستتعرف على الحب وتُحب رجلًا وهي في دائرة العمل الذي ليس فيه بالطبع أحد.

لقد كانت أمها تريد لها الزواج من أحد أبناء البشاوات الذين ذهب عهدهم والآن العائلات تبحث عن تزويج بناتها للضباط حيث أصبحوا هم حكام البلد كما يقولون وامتد ذلك إلى بقايا العائلة المالكة فكان كما يقولون زواج السلطة بالمال أو ما تبقى من المال.

ثم بدأت تفكر في العمل,لقد تغيرت تصرفات العمال كثيرًا منذ قيام الثورة فأصبحوا أكثر جرأة ومُطالبة بأشياء كثيرة بحق وبغير حق وأقل التزامًا, ولا بد أن تأخذ موافقتهم قبل اتخاذ أي قرار ولولا قوة شخصيتها ومُساندة المهندس نبيل لها وإرشادات أبيها من حين لآخر لتعقدت الأمور ثم فكرت في أن والدها قد تغير كثيرًا في كل عاداته كإنه تطور مع الأوضاع فترك العمل الشاق وأصبح يذهب إلى النادي فيجلس حتى المساء ثم يعود للمنزل ويتناول معهم الطعام العشاء يوميًا الذي أصبح الوجبة الرئيسة,ثم إنه أصبح أكثر لينًا حتى إنه في بعض الأحيان يُلقي النكات التي سمعها في النادي وقد كوّن له مجموعة جديدة من الأصدقاء من البشاوات السابقين فكان يقضي أكثر الوقت معهم وهو يستمع لتقرير موجز منها عن المصنع لا يزيد عن عشر دقائق بدون اكتراث حتى أن إنتاج المصنع انخفض كثيرًا لعدم وجود طلبات وخامات ولكنه كان يقول)أهم شيء ألا تحدث خسائر(وحتى أمها تغيرت فكانت في السابق تكتفي بالإشراف على المطبخ فقط ولكن الآن تقوم بمباشرة المطبخ وحتى الخدم في المنزل انخفض عددهم إلى أقل من النصف وقد شكر أبي الذين رحلوا منهم وأعطاهم مبالغ كبيرة من المال تكفيهم لسنتين ثم تذكرت أن حفل السيدة أم كلثوم يوم الخميس القادم فقامت إلى الهاتف وكلمت سهير وناد ية وقالت لهما

-السهرة يوم الخميس عندنا.

وكانوا يتجنبون إغضابها ويعملون لها ألف حساب ووافقوا على الفور ولكن الذي لم تعرفه هدى أن تخفيض عدد العاملين بالمنزل ضمن خطة عبدالقادر الانكماشية التقشفية وإنه لا يريد بالفعل أن يحقق المصنع أرباحًا كثيرة حتى لا يكون مطمعًا في ذلك الوقت ولا يُريده أن يخسر حتى لا ينفق عليه من ماله وإنه على اتصال مباشر مع المهندس نبيل ويُقابله في النادي مرة كل أسبوع فيطلعه على كل التفاصيل ويتفق معه على خطط العمل الُأسبوعية وقد حرص الاثنان على عدم معرفة هدى بذلك ولو عرفت لحاسبتهم حسابًا شديدًا.

وفي المساء جلست سُعاد وعبدالقادر بعد العشاء بمفردهما في غرفة المكتب فقالت سُعاد

-أنا قلقانة على هدى,كان نفسي تتزوج هي الأخرى فقال لها عبدالقادر

-هدى لها شخصية مستقلة ومختلفة وقوية لا تخشى عليها وأنت كنت تُريد تزويجها من أبناء أحد الباشوات ولكن تأخيرها جاء مصلحة ثم أن هذا الموضوع موضوعك بشكل خاص.

فقالت سُعاد

-أنت تعلم أن هدى عنيدة وتجعل أي متقدم يرحل وتحدث مشاكل ونعتذر..ربنا يفرجها من عنده.

****

الفصل الثاني والعشرون خطاب من مدحت

"بعد التحية والسلامات والأشواق..

ألف مبارك لمنير ونادية وأنا سعيد جدًا ويا رب يكون ولد إن شاء الله.ألف مبارك لسهير وعقبال هدى إن شاء الله.أحوالي هنا جيدة ودائمًا معي سوزان تساعدني في كل شئوني.أتابع أخبار مصر بقلق.الجميع مُترقب لما سوف تسفر عنه الأحداث.سمعت أن بابا أخذ أجازة طويلة من العمل ويذهب للنادي وهذا شيء جيد لكنه يخيف لأن حياته العمل.

أما أنتِ يا أمي العزيزة فلك الصحة والعافية ولا تتعبي نفسك بالبحث لي عن عروسة فيبدو إنني سوف أرتبط بسوزان ,فهي جميلة وذات عقل ومتعاونة في كل شيء وتحبني وتحترمني ولكن مازلنا لم نصل إلى قرار بعد

ابنكم المُخلص/مدحت"

قرأت هدى خطاب مدحت ولما اختلت إلى نفسها في غرفتها التي أصبحت فيها بمفردها بعد زواج سهير رأت أن مدحت كان يُحب سلوى ولم يوفق في الزواج منها ولكن كلامه عن سوزان يؤكد إنه يُحبها وأنه قد نسي حبه القديم.ومنير يحب نادية وتوجد بعض الخلافات البسيطة حتى الآن في زواجهما وسهير وعزت تحابا وتزوجا.أمها تقول أن الحب يأتي بعد الزواج والبعض يقول أن الحب الأخير هو الحب الحقيقي لأنه يدوم فهل تفكر في الزواج وماذا لو لم يأتِ الحب بعد الزواج؟وتحول الزواج إلى كابوس ثم إنها بحاجة إلى شخص يفهم شخصيتها حيث إنها تؤمن إنها لا تصلح مع أي أحد إلا إذا فهمها.ودعت الله)عز-وجل (أن يفرجها عليها وأن يرسل)سبحانه(لها الشخص المُناسب الذي لا أعرف حتى الآن أوصافه وكانت هدى لا يرتبط في ذهنها صورة بعينها لشخص معين ولكنها تحب نموذج خالتها ليلى, فهي المُحركة وصاحبة القرار في أكثر الموضوعات وذهبت إلى والدها الذي كان يجلس في التراس وقال لها

-يا أهلًا وسهلًا.

كانت هدى تحب والدها جدا وتحترم آراءه فقالت له

-ما رأيك يا بابا في الأسباب التي تُنجح الزواج؟

قال لها والدها مُعجبًا بالسؤال

-دائمًا أسئلتك قوية يا هدى.

وتدخلت سُعاد وقتها

-البنت لأبيها يا عبدالقادر.

فردت هدى

-أتمنى أن أكون كبابا.

فقالت سُعاد معترضة

-ولكن شخصيتك على بنت تكون صعبة.

فقال عبدالقادر

-هدى ستكون أفضل من الجميع إن شاء الله وأنا أعتمد عليها في إدارة المصنع وفي الأوقات الصعبة هذه.

قالت هدى

-جميل أنكما الاثنان موجودين..كنت أتساءل كيف تقوم السعادة بين الاثنين؟

أجابها عبدالقادر بحكمة

-طبعًا التفاهم والاحترام.

عادت هدى تتساءل

-طيب والحب؟

رد عبدالقادر عليها

-جميل.. ولكنه وحده لا يكفي.

وعقّبت سُعاد

-والنظام والواجبات والالتزامات على كل واحد.

قالت هدى بدعّة

-هذا هو التفاهم الذي تحدث عنه يا بابا.

قال لها عبدالقادر

-أسمي هذا تبادل القيادة,حسب كل ظرف, يعني في بعض الموضوعات أتركها لأمك بالكامل ويتقهقر دوري على العلم بها فقط.وبعض الموضوعات الأخرى نتفق عليها مع بعض .واخرى اقررها بمفردى

قالت هدى لتغير الموضوع

-قرأت جواب مدحت الظاهر إنه عازم النية أن يتزوج سوز ان

قال عبدالقادر

-هذا قراره بالتوفيق.

قالت سُعاد

-كان نفسي يتزوج من هنا على الأقل.

نهضت هدى وهي تقول

-كله قسمة ونصيب مثلما يقولون.

وعقّبت سُعاد

-لله الأمر من قبل ومن بعد.

قال عبدالقادر ضاحكًا

-والله الجلوس في المنزل ليس سيئًا أيضًا.

****

الفصل الثالث والعشرون شغب في المصنع

فوجئت هدى وهي في مكتبها بدخول فؤاد أفندي وقد وضع طربوشة وزرر بدلته وهو يقول لها أن أحد ضباط القسم قد جاء للتحقيق في أحد المحاضر من بلاغ لعمال المصنع يشتكون فيها من مدير المصنع فقالت له هدى

-دعه يتفصل بالدخول وأبلغ المهندس نبيل وتعال معنا.

دخل الضابط وقال لها

-تقدم بعض عمال المصنع بشكوى من إساءة المعاملة تشغيلهم ساعات طويلة حتى في يوم الجمعة وقد كلفني مأمور القسم وهو صديق لوالدك عبدالقادر فهمي لأبحث الموضوع وأبلغه.

فقالت هدى

-أشكرك وأشكر جناب المأمور ولكن هذه الشكوى كيدية,أحيانًا بالفعل عندما يكون لدينا طلبات كثيرة لا بد من الانتهاء منها في موعدها نطلب من العمال السهر ساعتين للانتهاء منها في موعدها ويكون هذا في يوم الجمعة ولكننا نقوم بدفع هذه الساعات والعمل أثناء العطلات نعطيهم أموالهم في نفس يوم العمل.

ثم التفتت لموظفها وسألته

-يا فؤاد أفندى ألم تعطي للعمال أموالهم مقابل العمل أثناء العطلات.

قال فؤاد هازًا رأسه

-فعلنا ذلك يا فندم وكشوف القبض معي..

قالت هدى على الفور

-إذاً..أريها لسعادة البك الضابط.

فنظر الضابط في الكشوف ورأى أسماء المتقدمين بالشكوى وقد أخذوا أموالهم مقابل ساعات السهر والعطلة.

قال الضابط بلهجة حازمة

-غدًا تأتي لي القسم يا سيد فؤاد في الساعة التاسعة صباحًا بعد إذن آنسة هدى ومعك الكشوف كي نغلق المحضر..وشكرًا يا آنسة هدى.

قالت هدى

-شرفت وآسفين على تعبك.

تعجبت هدى وطلبت رئيس العمال لتفهم أسباب هذه التصرفات فحضر وقال لها

-يوجد بعض العمال المشاغبينن الذين يتكلمون في السياسة ويقومون بتحريض زملائهم على عدم إطاعة الأوامر والاعتراض على كل قرار والعجيب أنهم أقل العاملين إنتاجًا وخبرة بإلمام العمل.

فقالت هدى باقتضاب

-أريد أن أقابلهم.

فقال لها رئيس العمل ناصحًا

-إذا أردتِ نصيحتي يا فندم..أنصحك بألا تفعلي هذا.

فنظرت إلى المهندس نبيل الذي ظل واقفًا بصمت بجوارها وسألته

-ما رأيك؟

أجابها

-من الممكن أن تقابليهم يا أستاذة ولكن لا تتوقعي منهم استجابة.

قابلتهم هدى بالفعل وسمعت منهم كلامًا غريبًا لا يمت للعمل بصلة ورغم أنها أطالت الحديث معهم فلم تجد شكوى يمكن الاتفاق على حلها فالشكوى هكذا لمجرد الشكوى.

ولما ذهبت إلى المنزل كانت منزعجة وقررت عرض الموضوع على أبيها وفهم منها أن العمال فريقان..الأول يريد استمرار الأوضاع والآخر يريد زيادة الأجور وتخفيض ساعات العمل لهم فقال عبدالقادر بكياسة

-حتى لا نُصعد الموضوع.. قررى زيادة المرتبات لهم بنسبة10% وتخفيض العمل ساعة واحدة.

وبالفعل أطاعته هدى وقامت بفعل ذلك في اليوم التالي بواسطة منشور تم توزيعه على جميع الوحدات ففرح الفريق الذي يود استمرار الأوضاع بذلك أما الفريق الآخر فقال)أرأيتم عندما احتججنا ماذا حدث..لن نسكت..نُريد الزيادة تكون 20% ويتم تخفيض ساعات العمل إلى ساعتين(.

وشكلوا فريق لمقابلة هدى وطلب منها المهندس نبيل ألا تقابلهم وأريحي نفسك هذا اليوم.

ولكن اليوم التالي تكررت المطالب وتوقف الفريق المُعترض عن العمل بل وأوقف الفريق الآخر عن العمل أيضًا!

كانت هذه أول مرة يحدث فيها هذا الأمر في الشركة أو في المصنع وعلم عبدالقادر الأمر من نبيل قبل أن تصل هدى إلى المنزل لتخبره..

في الصباح توجه عبدالقادر فهمي إلى المصنع وكان لم يذهب منذ فترة فقال فريق العمل المُشاغب

-لقد جاء بنفسه..لا تخشوا شيئًا فنحن أصحاب الكلمة والقرار.

وتوقف فريق العمال الآخر ليُشاهد الموقف في حيرة.

قرر عبدالقادر مقابلة الجميع في قسم الإنتاج ووقفت بجواره هدى ونبيل وفؤاد ورئيس العمال.

قال لهم مُخاطبًا

-لقد طلبتم طلبات وقام مجلس الإدارة بتنفيذها لكم ثم عدتم بطلبات جديدة وإذا قمت بتنفيذها فستُطالبون بالمزيد وهذا لا يصلح والجميع سيتضرر وليس باستطاعتي رفع أسعار المُنتجات التي نبيعها بهذه القيمة وسوف يخسر المصنع ولن نستطيع أن نُسدد رواتبكم.

فقال له أحد مشاغبي العمل بصفاقة

-لقد ربحتم كثيرًا من عملنا وتعبنا وعرقنا وليس بالضرورة أن تربحوا كفى هذا,لا نُريد حديثك عن أن هذا المصنع هو مصنع ملكك وملك أولادك.

وقال عامل ثاني معترضًا

-لا تُحدث عبدالقادر بك بهذه الطريقة.

وقال ثالث مُلوحًا بيده

-لا بك ولا شيء..نحن كلنا أولاد تسعة.

عند ذلك قال عبدالقادر وهو يُغادر المكان

-مفاتيح المصنع معك..أديروه أنتم بمفردكم!

وحاول بعض المشاغبين الاعتداء عليه وتصدى لهم رئيس العمال والمهندس نبيل وفؤاد وبعض العاملين الرافضين لاحتجاجهم واستقل عبدالقادر سيارته وغادر المكان حزينًا مغتمًا وقد سمع بعضهم يهتف

-اخرج يا ابن الكلب يا جبان!!

****

الفصل الرابع والعشرون أحزان عبدالقادر

كان وقع الأحداث سيئًا على عبدالقادر وهو الذي لم يتوقع أبدًا أن تصل الأمور إلى هذا الحد وتذكر كيف كان يُعامل الجميع أحسن معاملة وكيف كانوا لا يعملون كما ينبغي فيصبر عليهم ويعلمهم حتى يصبحون أساتذة في صنعتهم ويُجذل لهم العطاء بينما كان عمال مصانع آخرين يعاملون معاملة خشنة جافة ويتم إعطاؤهم أقل الأجور وإذا قلت الطلبات يتم رفدهم وإعادة تعيينهم براتب أقل وكيف أن صاحب المصنع الذي كان بجواره كاد أن يفتك بأحد عامليه عندما خنقه من رقبته لولا مهندس المصنع الذي رفعه من عليه بالقوة وكيف أن ثلاثة أخوة لهم مصانع كانوا يرفدون بعض العمال فيقوم بتعيينهم في مصنعه وكانوا يرفدون العمل من مصانعهم فيتعاقب العمال على كل مصنع من قبل الأشقاء الثلاثة بعد رفدهم من كل شقيق ومصنعه حيث كانوا يُحافظون

فقط على فنيّ الصيانة والإدارة. وتذكر عبدالقادر كيف كان المصنع ورشة صغيرة بها عشرة عمال والآن أصبح مصنعًا كبيرًا به مئتين وخمسين عاملًا بعضهم أولاد عاملين.لم يُغير معاملته ولكنهم هم الذين غيروا مُعاملتهم معه.وقرر أن يطوي الصفحة كما كان يعمل دائمًا وقرر السفر إلى العزبة عند محمود المفوض في ادارة العزبة من عبد القادر بعد الاوضاع الجديدة

لم تكن أوضاع العزبة كما كانت من قبل واشتكى له محمود أيضًا من سوء التعامل وأن الوضع ليس كما كان ,فالفلاحون لا يُريدون أن يعملوا في أرض غيرهم كأُجراء ولكن يُريدون أن يستأجروا الأرض ولا يدفعون الأُجرة إلا بعد جني المحصول فقال له عبدالقادر

-أجرها لهم ,وبصراحة في هذه الظروف لا أُريد من العزبة إلا أن تمد بيوت العائلة بما يلزمها, لا أُريد المال ولكن جميع بيوت العائلة تأخذ ما يكفيها وكانت العزبة تحتوي على جميع أنواع الزراعة وكذلك على الطيور والألبان والخبز وكان محمود يبذل جهدًا كبيرًا للمحافظة عليها ولكن إدارته لم تكن إدارة عبدالقادر فقل الإنتاج وكثرة المصاريف وذهب عبدالقادر لزيارة العمدة الذي اشتكى له من الأحوال وقال له

-الفلاحون تمردوا والباقي يظن نفسه صاحب أملاك.

فقال له عبدالقادر

-الزراعة تحتاج إلى إدارة جيدة وكلما اتسعت الأرض زاد الإنتاج ولكن تقسيم الأرض إلى أملاك صغيرة يضر الكفاءة والجودة في الإنتاج ويزيد التكلفة.

رد العُمدة

-يا عبد القادر بك لم يصيبك شيئًا ولقد تفاديت الأمر ببيع الأرض.. ماذا يفعل أصحاب الأرض الآخرون الذين أُخذت منهم الأرض,من أين يأتي الفلاحون بالمال من أجل السماد والبذور والعلف والمحاصيل وخلافه,كل شخص يقترض من أجل أن يأتي بهذه الأشياء.

انصرف عبدالقادر من عند العمدة وهو حزين وقرر يبيت الليلة في العزبة.

في الفيلا كانت سُعاد تشعر بصداع شديد وكانت الساعة العاشرة مساءا وكانت هدى تقراء فى الصالون وتستمع الى الراديو فذهبت إلى البواب فلم تجده في الحديقة فذهبت إلى البدروم وطرقت الباب عدة طرقات فوجدته مغلقًا لكن صوت زوجته خادمة المنزل بعد أن تم تخفيض عدد طاقم الخدم إلى النصف نتيجة للظروف الاقتصادية الجديدة قالت تُنادي زوجها

-افتح لنرى من.

فقال بضيق

-من سيكون"..أنا نمت خلاص".

فقالت سُعاد

-افتح..أريدك في موضوع هام.

كان في الماضي يهب واقفًا ويقول تحت أمرك يا ست هانم ولكنه قال لها في صوت مُرتفع

-من؟

فأجابت صاحبة المنزل باسمها ففتح وخرج إليها وهو يرغي ويزبد

-نحن مواعيد العمل لدينا حتى الثامنة وبعد ذلك ليس لأحد شيء عندنا.

ذُهلت سعاد من النبرة الجديدة وانسحبت تعود إلى الفيلا وتصعد السلم فمشى وراءها وهتف

-أتظنوننا مثل أيام زمان,أم تظنوننا عبيدًا لديكم..لا.. لقد تغيرت الدنيا..

وحاولت زوجته منعه لكنه استمر وصعد السلم خلف سُعاد التي وقفت على الباب وهي مازالت مذهولة مبهوتة لا تصدق وهو مازال يواصل صياحه بكلام غريب عجيب لا يخطُر على بال ..فما كان من هدى إلا أن أبعدت أمها واندفعت نحوه بكل قوة ودفعته بشدة فسقط من على السلم مغشيًا عليه فصرخت زوجته وكذلك سُعاد وقامت هدى بإحضار معطر لإفاقته واتصلت بسهير وعزت وجاءا في دقائق لما أفاق الرجل ووقف على قدميه نظرت هدى لزوجته وقالت بحزم

-خذوا أمتعتكم الليلة ولا أُريد أن أرى وجهكم صباحًا في الفيلا..وأحضري كل المفاتيح حالًا.

كان الرجل وزوجته من أهل القرية التي توجد بها عزبة عبدالقادر فأصبح يسُب عبدالقادر وعائلته كلما سمحت له الظروف.

وعاد عبدالقادر من القرية مساء اليوم التالي وقص على سُعاد الأحوال وقصت عليه ما بدر من الرجل وقال عبدالقادر بضيق

-أحتاج إلى الاختلاء بنفسي وأعدي لي فنجانًا من القهوة وسأجلس في غرفة الكتب قليلًا.

فقالت له سُعاد

-بعد العشاء.

وكانت هدى قد حضرت فتناولوا العشاء وهم صامتون.

وقال عبدالقادر

-سأبعث بالسيارة لمحمود في العزبة من أجل أن يأتي بخدم غير هؤلاء.

وبالفعل جاءت ليلى ومعها بواب وخادمة جديدين من العزبة.

****

الفصل الخامس والعشرون مجلس سُعاد!

جلست سُعاد وليلى وسهير وهدى في غرفة الجلوس وقالت ليلى

-والأمور عندنا في العزبة صعبة والفلاحون الذين كانوا يعملون بالأجرة اليومية أصبحوا يُريدون تأجير الأرض ولا يُريدون دفع الإيجار إلا بعد جني المحصول والأسوأ من هذا تحريض مجموعة ما على أصحاب الأرض وتقول عليهم العهد البائد ولكن حالنا أفضل من غيرنا..سُمعة عائلة عبدالقادر ومعاملته الطيبة جعلت مجموعة تُحبه تستعد لعمل أي شيء من أجله.

قالت هدى

-المصنع هكذا أيضًا لكن فية مجموعة تُريد السيطرة وليس يهمها أي شيء.. أتعلمين يا طنط إننا فكرنا بإغلاق المصنع.

قالت ليلى مبهوتة

-مستحيل.

ولكن سهير تدخلت وقالت

-الوضع هناك أسوأ بكثير من الذي تظنينه يا ماما,فهناك شبه إضراب من العمال وعمى وهدى لا يستطيعون الذهاب إلى هناك الآن.

قالت ليلى لسُعاد

-البك المأمور صاحب عبدالقادر قال له"الأفضل ألا تعمل جلبة وتصمت أفضل حتى يفرجها الله عز-وجل-"

وواصلت هدى حكايتها عما يحدث في المصنع

-أتعلمين يا طنط لما جاء أول الشهر وكان من المفترض أن يتم إعطاء العمال أجورهم احتجزوا المُحاسب في المكتب وهددوا بحرق المصنع وقام بابا أرسل لهم أموال الرواتب ولكن ماذا نفعل الشهر القادم؟

قالت ليلى بحزن

-الأوضاع سيئة للغاية.

فقالت سُعاد

-الأخبار الجيدة أصبحت قليلة وبالمناسبة,لقد طلبت مجيء نادية ومنير عندما علمت بقدومك يا ليلى.

وقالت هدى لسهير

-حدثي زوجك ودعيه يأتي كي نتناول طعامنا معًا.

وتساءلت ليلى

-ألا يوجد أخبار عن مدحت؟

أجابتها سُعاد

-يراسلنا كل أسبوع تقريبًا رسالة وأحواله جيدة ولكنه قلق للغاية على البلد وعلى أحوالنا.

وحضر بالفعل منير ونادية واستقبلهم الجميع بحفاوة وقالت سُعاد

-هيا يا هدى ويا سهير نقوم بتحضير السفرة, لم يعد هناك سفرجي ولا طباخ ولا يوجد غير دادة وأمينة وقالتا)لقد تربينا هنا ولا يوجد لنا أهل غيركم ولن نترككم أبدًا.

****

الفصل السادس والعشرون الحادثة

لم يعرف أحد من أو ما الذي أحرق المصنع فتحولت الأقسام إلى كتل من نار وحاول بعض العمال إطفاءها ولكنها امتدت بسرعة كبيرة وكان ذلك في صباح اليوم التالي للأجازة وقبل أن يذهب العمال إلى المصنع بدقائق وجاءت المطافىء وأخمدت النيران حتى لا تمتد لخارج المصنع فهل كان الحريق مُتعمدًا؟أم كان إهمالًا من أحد؟أم ماس كهربائي؟

حتى أن اللجنة التي شُكّلت للتوصل إلى الحقيقة تركت الباب مواربًا.

لم يحزن عبدالقادر من قبل كحُزنه على احتراق المصنع وكذلك حُزن أكثر العاملين فيه فقد كان لقمة العيش بالنسبة إليهم ولأولادهم فماذا يفعلون؟

وبعد أن أفاق عبدالقادر من الصدمة التي كانت نفسه تحدثه بها مما خفف من آثارها على نفسه.اجتمع في بيته بكل من المهندس نبيل ورئيس العمال وفؤاد أفندي وقال لهم

-أشكركم على مجهودكم وإخلاصكم في العمل معي في الفترة السابقة ولا تعتقدون أن هذا هو نهاية المطاف فمن يدري لعله في وقت قادم وفي ظروف أخرى يمكننا بناء مصنع أفضل منه ولكن ما خسرناه هو انقسام

العاملين على أنفُسهم وصدق الله العظيم حين قال"ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحُكم."كل ما أُريده منك أن تبلغوا العمال شكري لهم وقد قررت أن أعطي كل منهم عام من راتبه يُعينه حتى يجد عملًا آخر.

وأطرق الجميع بروءسهم فقام بتوديعهم , وكان وقع ا لحا دث له أثرًا سيئًا للغاية على سُعاد التي ما أن سمعت الخبر حتى فقدت وعيها وتجمعت حولها العائلة وانشغلوا بها عن أي حدثٍ آخر وأتى الطبيب وقال

-لا تخشوا شيئًا, سوف تتحسن وتعود لطبيعتها في الصباح إن شاء الله.

وكان منير هو أقل الحاضرين تأثرًا فكان يشغله شيء آخر.

وقال بصوتٍ عالٍ حين أفاقت سُعاد

-واللهِ يا ماما لا تغضبي..حفيدك قادم..لقد تركت نادية في مستشفى على باشا إبراهيم وهي تضع الآن.

فقالت سُعاد منفعلة

-اذهب على هناك وأنا بحالة جيدة والحمدلله.

****

الفصل السابع والعشرون الحفيد

مستشفى على إبراهيم باشا تقع في ميدان فيني بحي الدقي بمحافظة الجيزة وكانت هذه المستشفى تقدم أفضل خدمة بأقل تكاليف تعتبر أنها تقوم برسالة ليس الغرض منها تحقيق الربح, وكانت التي تضع وليدها فيها تأخذ من العناية والاهتمام والراحة ما يكفيها,وانتقل هذا الشعور إلى الأطباء والمُمرضات فإذا دخلت سيدة المستشفى فكإنها تدخل إلى بيتها أو منزلها فلا تشعُر بالغربة.

وكانت المريضة أو الحامل التي سوف تضع يجاورها الطبيب ولا تخرج من المستشفى بعد الوضع إلا بعد أُسبوع على الأقل حتى يتم الاطمئنان عليها وعلى الطفل.

وفي هذه المستشفى وضعت نادية حفيد عبدالقادر فهمى الأول وقد أسماه منير بالفعل محمد نجيب وهذا الحدث جاء في الوقت المُناسب فعمل توزانًا في مشاعر العائلة فقامت سُعاد من وعكتها واجتمعت هي وليلى وهدى وسهير فكن يذهبن إلى المستشفى ويغادرونها في المساء وكانت إحداهن تقيم مع نادية يوميًا حتى الصباح.

أما عبدالقادر فهمي فتحول حزنه إلى فرح وسُرور وأرسل إلى محمود وقال

-اذهب إلى المستشفى بسرعة ولكن قبل أن تذهب أريد منك ذبح عجلين, واحد نقوم بتوزيعه في القرية والآخر سنوزعه هنا في المدينة كعقيقة لمحمد.

ورفع عبدالقادر حفيدة وكبّر في أُذنه وأقام الصلاة في الأُذن الأخرى, أما مُنير فكان في قمة السعادة وأرسل تلغرافًا إلى مدحت,وبعد أن اختلت هدى بأبيها قالت بلهجة تحمل في طياتها عتابًا

-بعد ما فعلوه معك تصرف لهم راتب عام كامل مكافأة لهم!

فقال عبدالقادر بحكمة

-كل هذا المال من عرقهم وتعبهم وإخلاصهم وإن كان بعض الموتورين والحاقدين فعلوا ذلك فيقيني هو أن الأغلبية كانت خيّرة ولم ترد ذلك,ثم إنني أعامل الله سبحانه وتعالى ولا أُريد من أحد جزاءً ولا شكورا,ولو كان بإمكاني لأعدت بناء المصنع أفضل مما هو عليه ولكن الظروف المُحيطة والأحوال الحالية لا تكفل عمل ذلك وقد عوض الله جل وعلا عليّ بمحمد وقد أصبحتِ أنتِ عمة.

فقالت هدى مُبتهجة

-جزاك الله خيرًا يا أبي,ومن يعلم لعلي أستطيع تحقيق حلمك, لقد وضعت مع المهندس نبيل يافطة كبيرة على أرض المصنع مكتوب عليها هذه الأرض ملك لعبدالقادر فهمي.

****

الفصل الثامن والعشرون أصدقاء

اجتمع الصالون من جديد وقال الأصدقاء جميعًا لصاحب الصالون

-ألف مبارك لحفيدك وكان الله"سبحانه وتعالى"في عونك ويصبرك عز-وجل على فقدانك للمصنع.

فقال عبدالقادر

-الحمدلله والشكر لله وصبر جميل.

قال شكري وهو يضع ساقًا فوق ساق

-أصبحنا أسياد البلد

فقال فتحي بهدوء

-لقد اتضحت الأمور ورغبتنا هي المُستجابة.

فتدخل سليم ليقول لفتحي

-أنت لا تعرف شيئًا..ستأخذون صفعة تخرج من...

قاطعه سمير بأسف

-يبدو أن كلنا سنأخذ صفعة قوية.

قال مكرم منبهًا

-أتعلمون أن مجلس قيادة الثورة مُنقسم على نفسه انقسامًا قد يصل إلى صراع,فاللواء محمد نجيب ومعه خالد مُحيي الدين يريدان العودة للثكنات بينما عبدالناصر ورفاقه يريدون الاستمرار وهم لم يضعوا أرواحهم على كفوفهم كي يعودون دون نتيجة,ولا أحد يدري أي الفريقين سينتصر.

وقال صبحي بضيق

-لقد اتهموا محمد نجيب إنه لم يكن منهم وأنهم أحضروه ليكون واجهة ويريدون التخلص منه.

فقال سمير صديق عبدالقادر الصدوق

-مصر في مفترق طرق.

قال شكري مزهوًا

-لا..مصر في طريقنا نحن,سيرحل نجيب وسنوقع مع الإنجليز اتفاقية الجلاء,وسيتم عمل استفتاء للسودان إما بالاستمرار معنا أو الانفصال.

قال سمير موضحًا

-وطبعًا ستكون النتيجة الانفصال,الإنجليز رتبوا الأمور لذلك ونجيب هو الوحيد الذي سيكون استمراره علامة طيبة على ترابطنا مع السودان,فوجهه معروف لهم ويُقال أن أمه سودانية,أما باقي الضباط الأحرار فلا يثقون فيهم.

ولم تمضِ أيام قليلة حتى حدث ما توقعه صالون عبدالقادر,فتم إزاحة محمد نجيب وتحديد إقامته في استراحة متواضعة الإمكانيات وتم توقيع اتفاقية الجلاء للقوات الإنجليزية من قاعدة قناة السويس على أن ينتهي انسحابها يوم,1956-6-18 وتم الاستفتاء وانفصلت السودان عن مصر وأصبح جمال عبدالناصر رئيسًا لمصر وسُمّيت حركة الضباط الأحرار بثورة23 يوليو,1952ووقع حادث المنشية ومحاولة اغتيال عبدالناصر فتم إزاحة الإخوان المسلمين بحركة اعتقالات كبيرة لاتهامهم بمحاولة اغتيال الرئيس وسرت إشاعات بأن كل هذا كان مُخطط ومتفق عليه بدليل أن الاعتقال تم بعد ثلاثة أيام وكان الشعب مع الرئيس الذي أصبح بعد قانون الإصلاح الزراعي أمل كثير من الطبقات الكادحة.

****

الفصل التاسع والعشرون مجموعة النادي

بعد غياب طويل ذهب عبدالقادر إلى النادي ووجد شلته من الباشوات السابقين والبكوات قد رحبوا به ترحيبًا كبيرًا ووجدهم يعرفون أخباره وأحوال البلد وأن الحديث الدائر مشابه للحديث الذي كان في الصالون الا خير ولكن بطريقة تهكُمية فقال أحد الباشوات

-لست أدري كيف يرسلون ضابطًا وبضعة عساكر للأسرة المالكة ويقولون لنساء الأسرة المالكة أعطونا مجوهراتكم وحليكم وأموالكم وذهبكم إذا سمحتم,فسوف نقوم بتفتيش المنزل وأخذ جميع الأشياء الثمينة منه

فرد عليه ثاني

-ويا تُرى إلى أين يأخذون هذه الأشياء؟

وقال ثالث ضاحكًا

-يقولون أنهم سيعطوها للشعب.

ثم استمر في الضحك وواصل

-واللهِ لا أحد يعرف,هل سيعطون عقدًا ثمينًا لأي شخص يسير في الشارع.

وتساءل رابع

-وهل لديهم قائمة بالأشياء..من الذي يضمن أن رئيس لجنة لن يأخذ شيئًا في جيبه,هذا شيء كارثي ولم يكن أي شخص يتخيل أنه من الممكن أن يحدُث بهذه الطريقة.

فقال خامس

-واضح أن الفكر الشيوعي وتقليد الثورة البلشفية الروسية التي حدثت في أكتوبر منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

فقال الأول

-ولكننا غاضبين.

وقال عبدالقادر في نفسه إنه صراع شديد بين الملاك والحركة ولقد وصل إلى نقطة اللا عودة كما يقولون.

وفجأة نظر أحدهم إلى عبدالقادر قائلًا

-ولماذا أنت صامت يا عبدالقادر بك؟ أمازلت حزينًا على مصنعك؟لقد ظننا أن حفيدك عوضك عن ذلك.

فقال عبدالقادر

-لقد استعوضت المولى عز-وجل -في المصنع وأنا سعيد جدًا بحفيدي,ولكن حال البلد والأوضاع الموجودة تقلقني قلقًا كبيرًا.

فقال أحدهم

-أنت دائمًا صامت وكلامك قليل وأريد معرفة السبب؟

صمت عبدالقادر حتى يرتب أفكاره ثم قال

-يجب أن نعترف أن هناك تغييرًا قد حث والتغيير هذا لمصلحة فئة وضد فئة أخرى والسؤال هو ما مصلحة الأمة؟وهذا السؤال لن نستطيع الإجابة عليه الآن,ربما بعد خمس سنوات,عشر سنوات,عشرون,ولكن كل شخص يُدافع عن مصلحته أو مصلحة الفئة التي ينتمي إليها بالطريقة المُناسبة والتي ترضي ضميره ولا تُضر بالبلد,وبالطبع هناك أشياء تحدث بطريقة غير مناسبة حتى إذا كانت الغاية مقبولة,فأنا من المعترضين على أن الغاية تُبرر الوسيلة,ولكن لا بد أن الوسيلة أيضًا تكون مُبررة ومقبولة وإذا قلت لكم رأيي فأرجو ألا يغضب أحدًا.

فقال أحدهم مستحثًا

-قُل لنا رأيك,نريد أن نسمعك.

قال عبدالقادر

-الواضح أن مصر سوف تسير لفترة ليست بالقليلة تجاه النظام الاشتراكي,وهذا سوف يُسبب تغييرات اجتماعية واقتصادية وربنا يستر.

ونهض مودعًا بحجة أن وراءه بضعة أشياء يريد فعلها.

****

الفصل الثلاثون مفاجآت عبدالقادر

لم يكن عبدالقادر يذهب للنادي لمجرد التسلية ولكن ذهابه كان لاستكشاف الآراء ودراسة التصرفات للآخرين في الظروف التي يمرون بها والتعرف على أكبر عدد قد يتعامل معه في الفترة القادمة,لإنه كان قد قرر السفر إلى الخارج وإلى ألمانيا بالتحديد, فمن أين يبدأ هناك؟يبدأ يتعلم اللغة الألمانية ومعرفة جغرافيا ألمانيا وظروفها السياسية والاقتصادية والاجتماعية وطبعًا وجود مدحت هناك سيُساعده كثيرًا ولكن لا بد أن يعتمد على نفسه أيضًا وخلال الفترة السابقة تعلم اللغة الألمانية بشكل جيد على يد أستاذ لغة ألمانية كان يُقابله في النادي مرتين في الأُسبوع وكان يتعمد فتح موضوع ألمانيا في مُقابلات النادي من الذين سافروا هناك من قبل ويُدقق في التفاصيل بالإضافة إلى قراءة الكتب والمجلات عنها وكان الوقت قد أزف للبداية الجديدة في أعماله هناك وكان

لقاؤه في النادي وفي الصالون هو اللقاء الأخير قبل السفر ولم يتبق له إلا تنظيم الأموال العائلية قبل السفر.وقد استقر رأيه على عدة أمور وسيتم تنفيذها في الغد,وكان في حيرة من أين يبدأ ومع من؟وهل يجعل سُعاد أول من يعرف أو آخر من يعرف.

قال لزوجته

-أريدك في موضوع هام يا سُعاد في المكتب.

فنظرت له ثم قامت معه وأغلق الباب من الداخل وقال لها

-لست أدري من أين أبدأ.

صمت لفترة قبل أن يقول

-أنا مضطر للسفر للخارج,ولكن هذه ليست رحلة,أنا مضطر للسفر لأن الأعمال في مصر متوقفة وسوف تستمر هكذا لفترة أعتقد إنها ستكون طويلة.سأسافر لأبدأ من جديد,أتذكرين حينما أعطيتِني ذهبك وشبكتك وقلتِ لي ابدأ مشروعك بمفردك هذا الكلام يتكرر الآن في ظروف جديدة ومُختلفة وبينهم عُمر بحاله ثلاثين سنة.

قالت سُعاد بتردُد ووجل

-أعلم,ولكن ا لن نكون معًا مثل المرة الأولى,لست أدري هل يتسنى لك تأجيل السفر؟

فأجابها

-هناك سببان,السبب الأول أن80% من أموالي في الخارج الآن ولن أستطيع أن أأتي بهاهنا في هذه الظروف,والسبب الآخر أنه لا يوجد أعمال في مصر تتناسب معي وإذا استمر الحال هكذا بدون تحرك في الوقت المُناسب قد لا أستطيع فعل شيء,ولو انتظرت لا أريد أن أُخبرك العواقب.

قالت سُعاد بدهشة

-وهل هذا معقول؟!ما هذا الذي يحدُث؟!

زفر عبدالقادر وقال

-لله "سبحانه وتعالى"الأمر من قبل ومن بعد,أريدك أن تبقي شجاعة, وأحتاج لكِ أكثر من الأول لأن هذه المرة ستحملين على عاتقك العائلة ومن يدري ربما لا يحدُث شيء ويكون تقديري للأمور مُبالغ فيها.

قالت بأسف

-لا يا عبدالقادر تقديرك لأمور صحيح وأنا قلبي كان يشعر بهذا,أنت تُحب العمل ومرت سنوات قليلة وأنت لا تعمل والأوضاع تسوء بالفعل..ربنا(سبحانه وتعالى)يكون معك مثلما كان"سبحانه" معك من قبل وسأتحمل وأبذل قصارى جُهدي.

قال متنهدًا

-لقد قمت ببعض الترتيبات وأولها -وأعطاها ورقة-هذا توكيل لكِ بالأموال الموجودة في البنوك والتي تحتل هذا الجدول,والفيلا كتبتها باسم هُدى والعزبة باسم محمد ابن منير,ولن أقوم ببيع أرض المصنع الآن وسأجعلها باسمي كما هي,والسيارات أعطيت سيارة لكِ وسيارة لهُدى ومُنير معه سيارته من الأول وأُريد أن يتولى محمود أمر العزبة,ودائمًا سأُرسل لكم أموال من الخارج وسأحاول أقوم بعمل هناك,وغالبًا سيكون مكتبًا للاستيراد والتصدير لمصر أو مكتب سياحة لمصر, ولكن لا أدري إمكانية نجاحه,وربنا يسهل وعند المُحامي محمد بك المليجي كل الأوراق اللازمة وسوف أدعوه للمنزل ليتعرف عليكم.

قالت سائلة وملامح الحزن في عينيها

-ومتى تنوي السفر؟

أجابها هازًا رأسه

-الأُسبوع القادم إن شاء الله(تعالى)

****

الفصل الواحد والثلاثون الوداع

وقفت العائلة على رصيف الميناء بالإسكندرية في وداع عبدالقادر.مُنير وسُعاد وليلى ومحمود وسُهير وهُدى وعزت ونادية وحتى محمد الحفيد ولم يكن هناك إلا الدموع والأحضان والدعاء والتوصيات والنصائح و عندما صعد عبدالقادر إلى السفينة وقف ينظُر إليهم ويلوح لهم وظلوا منتظرين حتى أُطلقت السفينة صافرات التحرك وابتعدت رويدًا رويدًا عن الميناء.

الفصل الثاني والثلاثون مُنير

تغيرت حياة مُنير بعد ولاده ابنه محمد وخفت قبضة نادية عنه قليلًا وقد انشغلت عنه بمحمد حتى إنها ركزت كل اهتمامها له ولم تعُد تخرج مع مُنير كثيرًا ولكنه لا يُطيق المكوث في المنزل فهذه طبيعته فكان يستيقظ مُبكرًا ويتناول إفطارًا خفيفًا بمفرده ويذهب إلى العمل ويعود في الرابعة عصرًا فيتناول الغذاء مع نادية ثم ينام لمُدة ساعة ويستيقظ فيلعب مع محمد ويتناول قهوة باللبن ثم يبدأ نشاطُه الليلي في الساعة الثامنة مساءً والذي يمتد عادةً حتى الثانية عشر.

وعاد لمُقابلة بعض أصدقائه القُدامى وكانت من بينهم ثُريا التي كانت تستفزه في السابق دائمًا والتي له بصمات في حياته لا يمكن أن يُنكرها, فهي السبب في نجاحه في العام الذي رسب في أغلب المواد فيه,ثم نجح في جميع الملاحق وهي السبب من أنه دخل حزب الوفد عندما قالت له إنه لا يفهم شيء في السياسة.

وعندما رأته أقبلت عليه وقالت له بأسلوبها الجريء

-دائمًا تُذهلني,أنا سمعت إنك زوج مُلتزم جدًا وهذا عكس ما كنت أتصوره عنك تمامًا.

فقال لها هازلًا

-دائمًا تُظلميني.

تساءلت

-ويا تُري ما السبب الذي جعلك تعود مرة أخرى لل"شلة"؟

أجابها باقتضاب

-أصبحتُ أبًا.

قالت مُهنئة

-ألف مُبارك.

ثم قالت مُستدركة

-وهذا أدعى أن تكون في المنزل باستمرار.

فقال لها

-أبدًا.. المدام مع ابني طول الوقت,تنام معه وتستيقظ معه,وأصبحتُ مواطنًا من الدرجة الثانية.

فقالت مُرحبة

-عمومًا أهلًا بك ويا مرحب بعودتك.

سألها

-وأنتِ ما أخبارك؟ولماذا لم تتزوجي حتى الآن؟

أجابته

-أنا أعمل صحفية في جريدة الحقيقة,مهنة البحث عن المتاعب,لقد تزوجت السياسة.

فقال لها

-أية سياسة!الأحزاب وتم حلها والإنجليز سيرحلون والملك رحل,والسودان لن يعود لحضن مصر وعبدالناصر حبيب الشعب.

قالت مُناقشة

-السياسة مُستمرة في كل العصور, وبالمُناسبة سيكون هناك حزب جديد قريبًا,وربما يكون اسمه تنظيم(.....)أو حزب,(.....)أيًا كان المُسمى,أنصحك أن تدخُل فيه.

فقال لها ضاحكًا

-لا..لقد دخلت الوفد من هنا وما حدث قد حدث,كفى" ..احنا كويسين كدة "

قالت له بكياسة

-افهم يا أخي,السياسة تفتح لك أبواب المُستقبل, ألم تكن تُشاهد عند مجيء الوفديين يقومون بتعيين في كل مكان مُهم في الدولة وفدي,وعندما يأتي السعديون يقومون بطرد الوفديين ويُعينون السعديين,وكل حزب يأتي يُعين ناسه في كل الأماكن الهامة.

فقال لها

-وهذه الأماكن الهامة الآن..من الذي يقودها ولا يوجد أحزاب؟

أجابته ببساطة

-الجيش دخل السياسة,من تظن سيقود؟

قال ساخرًا

-هو الجيش أصبح حزبًا سياسيًا؟!

قالت مُناكفة

-ألم أخبرك إنك لا تفهم شيئًا.

وعندما عاد مُنير إى المنزل وجد نفسه يُفكر في ثُريا وهي ليست جميلة ولكنها شديدة الذكاء وسريعة البديهة ,يقظة,لماحة,رشيقة القوام وترتدي آخر موضة وتفرض نفسها على أي مكان توجد فيه وتخُصه باهتمام لا يعرف سببه.ولكن لماذا يُفكر فيها ونادية زوجته تعتبر في جمال مُمثلات هوليوود, ونادي عليها فأتت, وما أن رآها حتى نسى كل ما كان يفكر فيه وأصبحت هي محور اهتمامه, ومحمد.. لكم يُحبه ويريده أن يصبح أفضل شخص في العائلة وقال لها مُتساءلًا

-وكيف حاله؟

أجابته

-بخير,هو نائم الآن.

سألها

-وأنتِ؟

أجابته

-بخير,سأُجهز لك العشاء ثم أنام.

الفصل الثالث والثلاثون هُدى

لم يتأثر أحد بغياب عبدالقادر مثل ما تأثرت هُدى,فوالدها كان لها المثل والقُدوة والأمان والماضي والمُستقبل,وهي تُحب أمها جدًا ولكن أبيها له تأثير خاص جدًا في حياتُها,وكانت تُفكر فيما يمكن أن تفعله بعد سفر أبيها؟هل تجلس في المنزل في انتظار عريس وزواج؟أم تعمل في وظيفة مثل مُنير؟أم تقوم بفتح مشروع صغير خاص بها؟ أم تذهب إلى النادي ولا تعود إلا في المساء كما يفعل بعض الناس من أصدقائها؟أم تمضي اليوم في زيارات؟ولكن أحبُ وأنسب شيء لها أن تعمل,فهي تُحب العمل كأبيها,ولكي تقوم بعمل مشروع فلا يمكن أن تكون موظفة فحياة الوظيفة لا تُناسبها ولا تُناسب شخصيتها..ثم تتساءل..لماذا كتب والدها الفيلا باسمها؟وعندما ودّعها قال لها "أنتِ مكاني"أنا مكانه في المنزل أم في العمل أم في الحياة أم إنها كلمة تشجيع قالها لكل من ودّعه مثل ماما ومُنير وحتى ليلى ومحمود.أبي بئر من الأسرار والمفاجآت والتحمل والصبر من كان يظن أن أبي أمن على المصنع لدي شركة تأمين وإنه كان على معرفة وثيقة برئيسها حتى إنه صرف التأمين عند حريق المصنع مما غطى جزء كبير من الغرامات التي دفعها للعاملين ومن كان يظن أنه يتعلم اللغة الألمانية,أم جواب مدحت الأخير الذي يقول فيه أن بابا رغم كونه يعيش في فندق ثلاثة نجوم إلا إنه يبدو وقد صاحب الجميع هناك كإنه صاحب الفندق وتكيّف مع الأوضاع هناك بسرعة كبيرة,وتساءلت عن والدتها..ما الذي تستطيع أن تفعله من أجلها؟فلا يمكنها أن تعوضها عن والدها..الأفضل أن أفكر في العمل وأعلم وما هو المشروع الذي أستطيع القيام به..هذا ما كانت تُحدّث به نفسُها..

نادت عليها سُعاد في هذه اللحظة قائلة

-خالتك ليلى وعمك محمود قادمان لتناول العشاء معنا,اتصلي بسهير واطلبي منها أن تأتي هي وعزت أيضًا.

كان العشاء بسيطًا وليس كما كان في الماضي ولم يعد في المنزل سوى خادمتين فقط وحتى السيارة كانت هدى تقودها بمعرفتها وبعد العشاء قالت هدى لمحمود

-ما أحوال العزبة يا عمي؟

أجاب محمود

-الأحوال ليست جيدة,ولولا مُساعدة العمدة لنا لكانت أسوأ بكثير والعمل يتم بشق الأنفُس.

قالت ليلى

-منذ أيام هدد فلاح محمود وقال له"أقتلك وأرتاح منك"

قالت سُعاد بدهشة

-وهل هذا معقول؟!

وواصلت ليلى

-ذهب ليأتي قسط من إيجار الأرض الشرقية فقال له الفلاح

"لا مال حتى يخرج المحصول ونُسلمه ونتسلم ثمنهأما الأرض التي نزرعها عن طريق استئجار فلاحين فقد زادت أُجرتهم وقل عملهم ويأخذون نصيبًا من أي ناتج".

فقال محمود

-واللهِ أُفكر في تأجير الأرض كُلها وآتي مرة كل شهر وكفى.

قالت صاحبة المنزل بأسف

-يا خسارة,الأرض كان إنتاجها جيد جدًا.

عقّبت ليلى

-لقد تغيرت الظروف,ولا أحد يجرؤ مُناقشة الفلاحين الآن,وهم يقولون "نحن مثلُنا مثلكم" يُعلمون أولادهم في المدارس ومن لا يستطيع يُقيم في الأرض.

قالت هدى بأسف

باب آخر للرزق قد قُفل بعد المصنع.

تساءل محمود

-ولماذا سافر عبدالقادر بك؟

قالت سُعاد

-كنت أفكر في أن نتجمع جميعًا في منزل واحد,هنا في الفيلا.

وقالت ليلى بدبلوماسية

-نحن نُحب نكون معكم ولكنني لن أترك محمود يذهب للعزبة بمفرده.

قال محمود مُعارضًا

-ليس لكِ شأن وأنا لن أذهب كثيرًا مثل الأول.

استأذنت هُدى وخلت بنفسها.

وقالت

-الظروف تغيرت وبابا سافر وأنا حتى الآن لست قادرة على أن أستقر على شىء,غير إني أذهب إلى النادي كل يوم وأزور مُنير من حين لآخر

****

الفصل الرابع والثلاثون سيارة مُنير

كان مُنير يقوم بإصلاح سيارته في شارع شامبليون عند ورشة ميكانيكي إيطالي وكانت الورشة كبيرة وبها العدد من الميكانيكية المصريين الذين تشربوا الصنعة كما يقولون وأصبحوا أُسطوات مُمتازين وعندما أعلنت إنجلترا الجلاء وإنه سيتم في يونيو.1956باع الإيطالي الورثة وقال لمُنير أنه كبر في السن واستكفى من العمل ونصحه بأن يُصلح سيارته بعد ذلك عند الميكانيكي زينهم الذي كان أسطى عنده ثم فتح حديثًا ورشة صغيرة في ميدان الروضة القريب من شارع الأخشيد وذهب مُنير بالفعل إلى زينهم ليُصلح سيارته وقام زينهم بإصلاح سيارته بمهارة.وقال له مُنير

-كيف الأحوال؟

فأجابه زينهم

-الحمدلله.

فقال مُنير مُتساءلًا

-العمل الحُر أفضل أم عملك مع الإيطالي.

فأجابه زينهم

-تعلمت الصنعة على يديه وعندما أخبرني برحيله افتتحت الورشة والرزق جيد والحمدلله ومصر بالفعل للمصريين وهذا كله بفضل الحركة العظيمة التي أنصفت العامل والفلاح,الفلاح أصبح صاحب ملك في البلد لدينا ويعيش جمال عبدالناصر.

قال مُنير بحماسه

-يعيش يعيش.

وبعد أن أصلح السيارة ذهب إلى الفيلا لمُقابلة سُعاد التي استقبلته أحسن استقبال وسألته عند نادية ومحمد وأحواله في العمل وأكدت عليه الحضور يوم الجمعة للغداء مع جميع أفراد العائلة.

****

الفصل الخامس والثلاثون سهير وعزت

كانت سهير تعيش مع عزت حياة زوجية سعيدة ولكنهما لم يُروقا بذرية حتى الآن وإذا سألهم أحد عن ذلك يقولان له الحمدلله,نحن سعيدان هكذا وكانت ليلى تُلح على سُهير ولا يُدافع عن سهير إلا هُدى التي تلجأ إليها وتحتمي بها عند بدء هذه السيرة وكانت هُدى تقول لليلى

-هما مازالا صغيران والعُمر مازال أمامهما, يدخلان ويخرجان كما يُريدان دون متاعب.

وسُهير سيدة منزل بمعنى الكلمة فمنزلها الصغير دائمًا مُرتب ونظيف ومُنظم وقد استخدمت فيه لمسات ديكور جعلته جميلًا فكُل غرفة بها ستائر وسجاد ونجف وفرش متناسق وكان وقتُها موزع بين زيارتها للفيلا وأعمال المنزل والخروج مع عزت خاصةً في الصيف حيث يسيران على الكورنيش بالمنيل أو كوبري عباس ويتناولان أشياء مُختلفة كل يوم عن اليوم الذي قبله من عربات هذه الأشياء من حُمص وبليلة إلى ذرة مشوية والفول السوداني ولب وسميط وكمون في بعض الأحيان يتناولان الآيس كريم من محل جوكي الشهير بشارع الروضة وعندما يعودان يذهبان لمدة نصف ساعة إلى هُدى وسعاد فيشربان الشاي أو القهوة ثم يرجعان إلى منزلهما فيستمعان إلى المذياع أو يتحدثان عن أخبار البلد والعائلة حياة بسيطة ومُمتعة وفي إحدى المرات زارت هدى سهير وكانت عندها سلوى وكان اللقاء مُثيرًا فقد سألت سلوى هُدى في جرأة عن مدحت فقالت هُدى

-لقد سافر إلى ألمانيا منذ خمس سنوات ويدرس للحصول على الدكتوراة هناك في الهندسة وتعرّف على عائلة هناك لها فتاة مُرتبط بها لكن لم يتزوجا حتى الآن وهو سعيد هناك فقالت سلوى

-سمعت أن عبدالقادر بك سافر هو أيضًا.

فقالت هدى باقتضاب

-نعم.

قالت سلوى

-لدي والدان أرهقاني وقد تركتهما لأمي,وأنتِ يا هُدى لماذا لم ترتبطي حتى الآن.

قالت هُدى

-وقد ضايقتُها جُرأتُها

-كل شيء قسمة ونصيب,كل شيء بإذن الله.

ولاحظت هُدى أن سلوى فقدت الكثير من رشاقتُها وأناقتُها وأصبحت سيدة منزل وليست فتاة جميلة كما كانت وحمدت الله "سبحانه وتعالى"أن مدحت لم يتزوجها.

وقالت هُدى لسهير

-أنا نازلة البلد لشراء بضعة أشياء,هل ستأتين معي؟

فقالت سهير

-طبعًا ولكن دعينا نمر على نادية وسلوى أتحب تأتي معنا؟

قالت

-لا,أنا سأذهب,ماما الآن تُعاني من حفيديها.

****

دخلت هدى ومعها سهير إلى جروبي للاستراحة ودخل بعدهم مُنير ومعه ثريا وعقدت الدهشة ألسنتهم وتظاهر مُنير بأنه لم يراهما فقامتا مُسرعتين وقالت هدى لسهير

-لا تتحدثي مع أحد في هذا الموضوع حتى نجلس مع مُنير لنرى ما الأمر؟

قالت سهير

-ولكن يجب أن يكون هذا سريعًا.

وفي اليوم التالي انتظرتا مُنير وقد طلبته هدى بسرعة وفضّلت سهير الجلوس معه في منزل سهير وعزت الذي لم يكن موجودًا..

وحضر مُنير بالفعل وقال

-أعلم لما طلبتما لقائي,ليس الموضوع كما تظنان,هذه زميلتي منذ زمن وكانت معي في الحزب,ونحن صديقان فقط.

قالت سهير متعجبة

-أيوجد صداقة بين رجل وامرأة؟

فأجابها مُنير

-بكل تأكيد,الصداقة هي أنكِ تستطيعين التحدث مع صديقك أو صديقتك بكل حرية وتستفيدين من آرائه,فما المانع أن يتوفر ذلك بين رجل وامرأة.

فقالت هدى بحذر

-ولماذا لا تفترض إنها من الممكن أن تفكر فيك بطريقة أخرى؟

قال منير على الفور

-نحن نعرف بعض كصديقين منذ سنوات قبل أن أتزوج.

قالت سهير موضحة

-كل هذا جميل..ولكن لو رآك أحد غيرنا وأبلغ نادية..تفتكر كيف يكون رد فعلها؟

فقال مُنير مُعترفًا

-معكِ حق في هذه النقطة.

سألته هدى

-وماذا تنوي أن تفعل؟

أجاب مُنير

-سآخذ حذري جيدًا ونحن عادةً نتقابل مع مجموعة أصدقاء وليس بمفردنا,وما حدث كان مُصادفة.

فقالت سهير

-أرجو ألا تتكرر هذه المُصادفة مرةً أُخرى.

وقالت هُدى وهي تنظر إلى سهير

-هذا الموضوع لن يُفتح مرةً أخرى لأنه من الممكن أن يُدمّر علاقتك بنادية وكذلك يُدمّر العائلة كُلها.

ثم توجهت بحديثها إلى أخيها

-من حُسن حظك إن أنا وسهير سنتكتم الأمر وكأن شيئًا لم يحدُث ولكننا نُحذرك.

وانصرف مُنير وهو يُفكر في الأمر,هو مازال يُحب نادية جدًا ولكن ثُريا أيضًا صديقة لا تُعوض ومعها يجد نفسه,فماذا يفعل؟هل يبتعد عنها؟وماذا في ذلك؟لقد ابتعد عنها لسنوات واستقر على شيء,أن يُقابلُها مع الشلة وإذا كانت بمفردها لا يجلس معها ويستأذن منها بأي حجة حيث أن الموضوع خطير وعواقبه كما قالت هدى مُدمّرة.

****

الفصل السادس والثلاثون"سُعاد"

عند الظهيرة وقفت سيارة أمام فيلا عبدالقادر ونزل منها المُهندس نبيل ورن الجرس وكانت بالمُصادفة هُدى موجودة فكانت مفاجأة سارة لها خاصةً وهي شاركت نبيل في كثير من الأحداث وتعرف أن والدها يثق به فرحبت به هي وسُعاد فقال نبيل

-أنا في مُهمة بواسطة عبدالقادر بك..لقد كلفني بتسليم لكم الأشياء الموجودة بالسيارة في الخارج في هذا اليوم بالتحديد.وقال لي ماكينة المطبخ كاملة والثلاجة لمدام سعاد,أما الهوانم هُدى,سهير ونادية,فلكل واحدة منهن مُسجل ألماني جروندج وعلبة بكر تسجيل.

فسألته هُدى بلهفة

-أتتصل بأبي؟

فأجابها بهدوء

-على فترات مُتباعدة,فهو يُرسل لي كتالوجات لدراستها ومعرفة مدى ملاءمتها للسوق.

وقام الحمالون بتنزيل الطرود وكانت الثلاجة من النوع الحديث جدًا فهي تقوم بعمل مُكعبات الثلج وتوصل إلى ماسورة المياه وبها حنفية للماء المُثلج وذات حجم كبير. وماكينة المطبخ سوف تخدم سُعاد وتُسهل عليها العمل,وكانت فرحة سُعاد بالهدية كبيرة ليست لأنها تحتاجها أو أنها ستُساعدها ولكن لأنها جاءت بمُناسبة عيد زواجُها بعبدالقادر.وشعرت بأنه مازال يذكُرها ويُفكر فيها ولم ينساها كما كانت تسأل نفسها وهي تخلو بها.

أما هُدى وسهير ونادية فقد سروا كثيرًا فالمُسجل أسهل من الجراموفون ويمكنهم أن يُسجلوا عليه ما يشاءون من أغاني أم كلثوم أو عبدالوهاب أو فريد الأطرش أو حتى الوجه الجديد عبدالحليم حافظ ذلك الصاعد الذي يُقدّم لونًا جديدًا من الغناء كما ظهرت مطربة جديدة اسمها شادية ذات صوت جميل وإن كانت ليلى مُراد في أفضل أحوالها ويوجد أيضًا محمد فوزي وغيرهم.كل ذلك يمكن أن تُسجل أغانيهم بدلًا من شرائها أُسطوانات جرامافون.

الفصل السابع والثلاثون اجتماع العائلة

كان محمود وليلى قد استقرا في الفيلا مع سُعاد وكان اليوم هو الموافق لمناسبة قيام الثورة التي مرت عليها أربع سنوات,وقد اجتمعت العائلة في الراديو لسماع خطبة الرئيس جمال عبدالناصر.

قال مُنير

-ونحن قادمون رأينا خلو الشوارع كلها في انتظار خطاب الرئيس جمال عبدالناصر والناس تجتمع في بيوتها بجوار الراديو أو في القهاوي.

قال عزت

-أعتقد أن الرئيس جمال سيكون له شعبية كبيرة جدًا ليس في مصر فقط بل في البلاد العربية أيضًا..وخير دليل على هذا مؤتمر باندونج بأندونيسيا العام الماضي وحديثه مع زعماء العالم الثالث

فقال محمود بتوتر

-ولكنني قلق,فالعداء مع الغرب يتزايد وهم ليسوا بالهينين,فالرئيس يُساند الثورة الجزائرية وهذا جعل الفرنسيون في حالة جُنون وقام بعمل صفقة أسلحة تشيكية مع الكتلة الشرقية الأمر الذي جعل إسرائيل في حالة توتر شديد.

دق جرس الباب وكان اللواء عبداللطيف مندور صديق محمود وهو ضابط مُتقاعد لم يُشارك بالطبع في ثورة 23يوليو ورحّب به الجميع وهم ينتظرون الخطاب على أحر من الجمر.

وقالت سُعاد لليلى مبتسمة

-هذه الليلة تذكرني بصالون زوجي عبدالقادر.

سأل محمود صديقه

-ما رأيك يا عبداللطيف؟

أجابه عبداللطيف

-نستمع للخطاب من أوله ثم نتحدث كي يُصبح حديثُنا في الصميم.

وبدأت الخُطبة حتى جاءت اللحظة التي أعلن فيها جمال عبدالناصر تأميم شركة قناة السويس العالمية كشركة مُساهمة مصرية,ورغم أن حي الروضة حي هادىء والشوارع ساكنة ولكن سُمع جلبة وأصوات عالية فقد كانت الخطبة مفاجأة مدوية.

****

ودق جرس الباب فقام محمود ليفتح الباب ويستقبل الزائرين المُنتمين-سابقًا -لحزب الوفد وهما مصطفى أبوزيد وعمر عثمان وكانوا يعرفون عبداللطيف مندور وقدّمهم إلى مُنير وعزت قائلًا

-أزواج بناتي.

وتساءل مصطفى

-ما هذه الجلبة؟أيوجد شيء؟

فأجابه محمود

-لقد أممنا القناة.

تساءل عمر بأنفاس مبهورة

-قناة السويس؟!

أجاب مُنير بفرحة وبهجة وقد علا صوته

-نعم أممنا القناة وأصبحت مصرية.

فقال مصطفى

-هذا شيء خطير,ولكنها كانت ستُصبح لنا بعد اثني عشر عامًا من الآن سنة1968 بعد انتهاء حق الانتفاع للشركة.

قال عمر بقلق

-ستنقلب الدنيا على رءوسنا.

فقال عزت مُدافعًا عن القرار

-هي ملكنا,لقد حفرناها ونحن من سنُدافع عنها.

وقال مُنير بحماسة

-مصر لها إرادة مُستقلة ولقد عاد إلينا حقنا.

وبحكمة قال عبداللطيف

-أنا رجل عسكري كالرئيس وأفكر الآن في رد الفعل وما الذي سيحدُث.

وواصل مُنير حماسته

-الشعب وراء الرئيس وهذا هو قوته الحقيقة وجاهزون لكل الاحتمالات حتى الحرب.

قال عبداللطيف برزانة

-دعونا نفكر بصوتٍ عالٍ في ردود فعل كل جهة.سنتحدث عن المُتضرر الأول,بريطانيا العظمى,صحيح هي رحلت بهدوء عنا وعن أغلب مُستعمراتها بعد الحرب الأخيرة لكنها لن تسمح لبلد مثلنا بتحدي إرادتها وتفرض عليها ما لا ترضاه.أما فرنسا فلها نصيب في القناة حيث تُعد بمثابة مُقترحة المشروع وإدارته وهي لن تنسى مُساعدة مصر القوية للثورة الجزائرية ضدها وبالتأكيد تُريد أن تُطيح بالنظام المصري لإنه مصدر إزعاج عليها وكل هذا يؤيد بنسبة كبيرة قيام حرب ليست ببعيدة ولكن السؤال هو..متى؟

ابتلع ريقه وواصل

-بعد استنفاذ الطرق الدبلوماسية سيقومون بحشد قواتهم وأساطيلهم وطيرانهم إن لم يكونوا قد حشدوها بالفعل للاستعداد .

صمت بُرهة قبل أن يلقي بقنبلته

-ولا أستبعد أبدًا مُساعدة إسرائيل لهما لشدة غضبهم من صفقة الأسلحة التشيكية الأخيرة التي قُمنا بشرائها لتقوية جيشنا وهي بالتأكيد ترى مصر العدو الحقيقي القوي.

قال محمود مبهوتًا

-ياااه..لدينا أعداء كُثر للغاية.

وقال مصطفى بأسف

-الإنجليز رحلوا منذ أشهر..أيعودون ثانية؟!!

تساءل عُمر

-ولكن هل نحن مُستعدون؟

وأجابه مُنير بحماس

-سنكون مُستعدين.

وانتهى صالون عبدالقادر فهمي سابقًا ومحمود حاليًا في ساعة مُتأخرة وقد تم تقديم عشاء خفيف للحاضرين.

****

الفصل الثامن والثلاثون حرب السويس

لم تمض أسابيع قليلة حتى حشدت إسرائيل جيشها وهاجمت مصر بدعوى نزاع حدودي وقامت بإسقاط قوة مظلات في ممر متلا بسيناء بقيادة ضابط صغير اسمه أرييل شارون وتقدمت بالمُدرعات في القطاع الأوسط ولكنها لاقت مقاومة كبيرة من كتيبة مشاه في أبي عجيلة ولم تكن القوة مُتكافئة ولكن الكتيبة المصرية صمدت أكثر من المتوقع..

ثم وجهت كل من بريطانيا وفرنسا إنذارًا للمتحاربين بالابتعاد عن مجرى قناة السويس الملاحي عشرة كيلو مترات من الجانبين وسوف تقوم القوات البريطانية والفرنسية باحتلاله من الجانبين لتأمين الملاحه في شريط القناة وبالطبع رفضت مصر هذا الإنذار فقامت القوات الجوية البريطانية والفرنسية بقصف المطارات المصرية لتشل حركة الطيران المصري وبدأوا بإنزال قوات مظلات جوًا وقوات بحرًا.

لم تكن القوات المصرية في سيناء تُحارب بغطاءٍ جوي فاتخذت القيادة السياسية قرارًا جريئًا بالانسحاب من سيناء والدفاع عن القناة وقامت إسرائيل باحتلال سيناء وتوقفت الملاحة في القناة وتم إغراق بعض المراكب بها حتى لا تُستغل في القتال.

وكان الوطن فى خالة غليان

لما سيحدث فالجهود الدبلوماسية كانت تحصيل حاصل وقد تم سحب المُرشدين الأجانب لإرباك الحركة بالقناة ولكن قام المُرشدين المصريين بمجهود كبير لمُساعدة القوات البحرية وبعض المُرشدين الذين رفضوا ترك عملهم وتعاقدوا على استمرار العمل وخاصة اليونانيين الذين قالوا أن مصر بلدهم وفشلت هذه المؤامرة.

وتدرب الشباب على حمل السلاح في معسكرات الدفاع المدني أو المقاومة الشعبية وتطوع سيدات بالهلال الأحمر وتم تجهيز مخابىء عمومية وبناء حوائط ساترة أمام مداخل العقارات وتم استدعاء الفدائيين الذين كانوا يُهاجمون مُعسكرات الإنجليز قبل الجلاء وتجهيزهم بالمُعدات اللازمة حيث أن المواجهة العسكرية لن تكون في مصلحة الجيش المصري لتفوق العدو في المُعدات وكان الحل وقتها المقاومة الشعبية المُسلحة)حرب الشوارع(والتي تجلت في بورسعيد بصفة خاصة ومُدن القناة بصفة عامة ولكن الغارات الجوية كانت تصل إلى القاهرة والمُدن الأخرى فكانت صافرات الإنذار تدوي وتتصاعد أصوات مُطالبة بإطفاء أنوار البنايات والمساكن وكانت توضع على شيش النوافذ جلاد غامق ازرق يمنع خروج الضوء مع وجود حقائب طوارىء وإسعافات أولية في كل منزل ومواد تموينية لمُدة قد تطول.

وقد تطوع مُنير وعزت مع قوات الدفاع الشعبي أما هُدى وسهير ونادية فقد تطوعوا في الهلال الأحمر وقد اجتمعوا جميعًا في الفيلا وجهزوا البدروم ليكون المخبأ المُناسب في حالة حدوث غارات, أما الإذاعة المصرية فكانت تحض الناس على الجهاد والصبر والالتفاف حول القائد وقد تم استهداف محطة إرسال الإذاعة المصرية والتي بُثت فيما بعد من دمشق وكانت تقوم ببثت الأغاني الوطنية وخاصة أغاني أم كلثوم وكان الطفل الصغير محمد ابن مُنير متأثر بالأغاني الوطنية مما لطف من جو الخوف وضحكوا وكانت سُعاد سعيدة به للغاية.

وكانت سُعاد تتطوع بالمال والاحتياجات اللازمة,كانت أيام مجيدة باتحاد الشعب الذي نسي كل خلافاته مع الآخر ورغم كل ذلك فقد كان مُنير يُقابل ثُريا مع الشلة من حين لآخر ويتبادلون الأحاديث والمعلومات)فلان ذهب إلى بورسعيد ،الفدائيون يحتاجون إلى تموين وتمويل كانت الجبهة الداخلية في منتهى الصلابة والقوة ولم تجرؤ القوات البريطانية والفرنسية على التقدم بعيدًا عن القناة والتي كانت قواتها تُعاني كثيرًا من الأعمال الفدائية اليومية.

أرادا عبدالقادر ومدحت العودة من ألمانيا فكانا يسمعان الأخبار وبلغ بهم الخوف على البلد والعائلة غايته ولكن الجميع رفضوا ذلك واحتد مُنير على مدحت على الهاتف وقال له نحن في أحسن حال,اهتما بأنفسكما ولا داعي لحضوركما الآن,نحن جميعًا بخير.

وحدثت معركة بحرية استطاعت لنشات الطوربيد المصرية الصغيرة التابعة لسلاح البحرية المصرية إغراق الطراد جان دارك الفرنسي الضخم ومُدمرة بريطانية وأصابت مركبًا فرنسيًا أخرى فاستدعوا الطيران الذي قام بإغراق اللنشات المصرية بعد أن نفذت مُهمتها ببراعة ووطنية وشجاعة مُنقطعةٍ نظير وكبدت القوات البحرية الغازية خسائر لم تكن تتوقعها,واستُشهد في هذه المعركة الضابط السوري جول جمال الذي كان يدرس في البجرية المصرية وأصر على الخروج إلى المعركة مع رفاقه وأشقائه المصريين,كانت معركة البرلس البحرية مفخرة لمصر.

أما الشعوب العربية ودول العالم الثالث التي تبنت حركة عدم الانحياز للكتلة الشرقية أو الغربية فقد قامت بمُظاهرات كبيرة لمُساندة مصر ضد العدوان الذي سُمّي باسم العدوان الثلاثي.أدانت الأمم المُتحدة العدوان وقام الاتحاد السوفيتي بتوجيه إنذار شديد اللهجة لبريطانيا وفرنسا وطالبت الولايات المُتحدة الدول المُعتدية بالانسحاب.

وخرجت مصر من هذه المعمعة مُنتصرة انتصارًا كبيرًا و ينظُر إليها على إنها رائدة التحرير.

وخرجت إسرائيل مُستفيدة– نسبيًا-من الحرب بوضع قوات أمم مُتحدة على الحدود بين مصر وفلسطين وكذلك في مدينة شرم الشيخ وبذلك استطاعت إسرائيل أن يكون لها منفذًا على مضيق تيران المؤدي إلى خليج العقبة وبالتالي منفذ على البحر الأحمر وقُيّدت القوات المصرية التي يُمكن تواجُدها في سيناء.

وخرجت الولايات المتحدة زعيمة المُعسكر الغربي لا يتم شيء إلا بالرجوع إليها وكذلك خرج الاتحاد السوفيتي)خصم الولايات المُتحدة اللدود(من المعركة بإنه القوة المُهابة التي تفرض إرادتها على الآخرين.أما بريطانيا العظمى و فرنسا كانتا الخاسرتان الكبيرتان واللتان كُتب لهما نهاية قوتهما كزعيمتين للعالم قديمًا وتحولهما من أقوى قوتين في العالم إلى مجرد تابعين للولايات المتحدة الأمريكية.

أما الرئيس جمال عبدالناصر فقد اكتسب شعبية ضخمة في بلاده ولدي جميع شعوب العالم الحر,وفي نفس الوقت العدو اللدود للمعسكر الغربي الكتلة الغربية وإن كان صديقًا للكتلة الشرقية فليس أحد أطرافها.

****

الفصل التاسع والثلاثون صالون محمود وثورة نسائية !

أصبح صالون محمود كل أُسبوع بديل لصالون عبدالقادر مع وجود عبداللطيف مندور ومصطفى أبوزيد وعُمر عُثمان وهم أصدقاء محمود وبالإضافة إلى وجود الشباب مُنير وعزت وكان الكلام في السياسة هو الموضوع الأهم قبل الانتقال إلى لعب الكونكان وهي أحد ألعاب الكوتشينة وكان السهر يمتد حتى الساعة الثانية صباحًا وتقوم بخدمتهم أحد الشغالات لتقديم المشروبات مثل الشاي والقرفة والقهوة والجنزبيل والينسون ولكن مع الوقت تطور الأمر فأصبح مرتين أُسبوعيًا ثم بمرور مزيد من الوقت أصبح شبه يوميًا ما دام محمود موجود ولكن عزت كان لا يُشارك في اللعب ويستأذن بمجرد انتهاء النقاش ولا يتأخر عن العاشرة مساءً أما مُنير فكان ينسى نفسه حتى إنه في بعض الأحيان يبيت بالفيلا ولا يعود لمنزله وبالطبع كان هذا مقبولًا مرة في الأُسبوع ولكن غير مقبول إطلاقًا أن يكون بصفة يومية ودار النقاش بين هدى وليلى وسُعاد حول هذه الأمور فقالت سُعاد لليلى

-عندما يأتي..اسأليه.

قالت هُدى

-موضوع لعب الكوتشينة يوميًا زاد عن حدوده.

قالت سُعاد

-لا تقولي هذا يا هُدى.. إنه عمك وهو حر والبيت بيته ولا يُضايق أحدًا فينا, نحن نكون بأعلى وهو جالس بأسفل مع ضيوفه.

قالت ليلى مُعترضة

-أنتِ يا سُعاد مُجاملة جدًا,البيت له أصول للتعامل ولست أدري هل هؤلاء الناس ليس لديهم دماء تجري عروقهم أم ماذا؟!

وبكياسة تدخلت هدى

-يبدو أن الموضوع سيكون مُشكلة والأفضل ألا أتحدث فيه مرةً أُخرى.

فقالت ليلى بعصبية

-تتحدثين كما تُريدين,عندما يستيقظ محمود من النوم لإنه طبعًا ينام حتى ما بعد الظهر, ما هو يسهر طول الليل حتى بداية الفجر.

فقالت سُعاد مُتعجبة

-يا ليلى أيسهر خارج منزله!حقه وهو لا يفعل شيئًا خاطئًا.

واعترضت هُدى أيضًا

-لا يا ماما,هم يلعبون بالمال,صحيح مبالغ ليست كبيرة ولكنها من المُمكن تعمل خسائر, لقد سمعت ذات مرة أن مصطفى خسر جنيهين, أو الأستاذ مُنير الذي ترك بيته وزوجته وابنه.

قالت ليلى هازة رأسها مؤيدة

-ومحمود شرحه كذلك.

وفي هذه الأثناء دخلت سهير ونادية..

قالت نادية مُتسائلة

-أين بابا؟

فأجابتها ليلى

-لم يستيقظ من النوم بعد.

قالت نادية وقد ظهر على وجهها الضيق

-لا يا ماما,أيقظيه, أُريد أن أتكلم معه.

وذهبت ليلى لتوقظ محمود وتساءلت هُدى

-ماذا حدث؟

زفرت سهير وأجابت

-نادية يا ستي..تشاجرت مع مُنير وتُريد ترك المنزل.

قالت سُعاد مبهوتة

-أمعقول هذا؟!لماذا؟!

قالت نادية بأسلوب مُستفز

-لن أتحدث حتى يأتي بابا.

تأخر محمود في الحضور وعندما أتى قال

-صباح الخير.

فقالت نادية بأسلوب أشبه بالسخرية

-قُل مساء الخير.

تساءل والدها مُستنكرًا

-كيف تُحدثيني هكذا؟!

أجابته بصفاقة

-لأنك ستخرب بيتي.

صمت محمود وحاول تهدئة غضبه المكتوم قبل سؤالها

-كيف؟

أجابته موضحة

-مُنير يلعب معك ومع مجموعتك كوتشينة وينسانا تمامًا,أمس خرج بعد المغرب وقال سآتي بخبز بالسمسم من فرن الإخلاص بالمنيل وخيار وجبنه للعشاء (وطبعًا لم أره حتى الصباح.

فصمتوا جميعًا وقالت نادية مواصلة

-إذا كان هذا يرضيك فماذا أفعل؟

فأجابها الوالد بصوت حنون

-لا يا بنتي..هذا طبعًا لا يُرضيني.

واصلت نادية

-وعندما تشاجرت معه قال لي أبوكِ يفعل هذا

فأشار محمود إليها بالصمت وقال موجهًا خطابة للجميع

-يا جماعة صحيح أنا رجل كبير لكن مازلت لي نشاط,وأنا ومجموعتي لا نشرب الخمر أو المُخدرات ولا نذهب إلى قهوة ولكننا نُسلي أنفُسنا فحسب,ليس لدينا عمل وكبُر أولادُنا ويعتمدون على أنفُسهم والله أنا حاولت كثير في الأرض ولكن بلا فائدة,وأُسافر أُسبوع كل شهر لمُقابلة العُمدة وأصافح الناس,حتى المدد الذي كنت أأتي به من الأرض أقوم بشراءه الآن,والعُمدة كثُر خيره يعطيني ما يستطيع جمعه من الإيجار,وعندما أتيتُ هنا

أصبحتُ أشتري احتياجات المنزل من السوق كل يوم,لكن ليلًا لا يوجد شيء أفعله,هذا وضعي ووضع من معي,ولكن مُنير يعمل ولديه زوجة وابن يريدانه.

صمتوا جميعًا حتى تكلمت سُعاد وقالت

-يا نادية أنتِ معك حق ومُنير سيعتذر لك,أما موضوع الكوتشينة فردت نادية بسرعة وبقوة مُحذرة ومُنذرة

-واللهِ يا بابا إن لم تنهِ هذا الموضوع سأطلب الطلاق, أنا لا أحتمل ما يحدُث,ولولا أن هدى كلمتني وقالت لي أن مُنير هُنا لم أكن أدري ماذا أفعل,شخص من المفترض أن يقوم بشراء أشياء لمُدة ساعة أجده يعود لي منتصف الليل.

قال محمود بضيق

-أنا أفضل أرجع البلد بمفردي.

قالت ليلى مُعترضة

-لا,نحن لم نقل هذا.

وقالت سُعاد بكياسة مُقترحة

-ما رأيك أن يكون الصالون والكوتشينة مرة كل أُسبوع؟

فاعترضت نادية

-مرة تأتي بمرة.

هدأتها هُدى

-أضمن لك يا نادية أن مُنير لن يلعب ثانيةً ويتركك,وإذا فعل تكونين معه هنا مرة واحدة أُسبوعيًا.

وقالت زوجته له مُنبهة

-محمود,دبّر أمورك حتى لا تخرب البيت للبنت.

وعند عودة مُنير قالت له هُدى "أُريدك"ولما جلست معه وسهير قصّت عليه ما حدث فقال لها مُعترفًا

-لقد أخطأت بالفعل لأنني كنت ناوي العودة ولكن قلت ألعب ساعة واحدة ثم لم أفق إلا والساعة الواحدة.

قالت له موضحة

-لا لعب غير يوم واحد أُسبوعيًا ونادية تكون معك.

هز رأسه وقال

-كنت أنوي القيام هذا.

وقال محمود لزوجته

-ليلى سأفعل ما قالت سُعاد أما بقية الأيام فسوف أُقابل الشلة في الخارج.

فقالت ليلى بعطف وحنان

-يا محمود,نحن بحاجة إليك معنا فأرجو أن تكون في المنزل مُبكرًا,اخرج لكن لا تتأخر أرجوك.

****

الفصل الأربعون خطاب

كانت هُدى تخرج عادةً وسهير ولكن الأخيرة اعتذرت لأنها مشغولة في أعمال المنزل فقررت الأولى الذهاب إلى كازينو الجزيرة عند كوبري الجامعة وكتابة خطاب إلى أبيها عبدالقادر وطلبت فنجان قهوة) مضبوط (وأخرجت الأوراق والقلم وقد قررت تكتُب ما تشاء وبكل حُرية وكإنها تتحدث إلى أبيها.

"والدي العزيز....بعد التحيات والاحترامات والسلامات, أفتقدك جدًا وأحتاج إلى رؤياك والتحدث معك.أخرج كل يوم تقريبًا مع سهير,أذهب إلى النادي أو الكازينو أو وسط البلد والسينما ولكنني أفتقد العمل كثيرًا.وفي المساء أجلس مع أمي وطنط ليلى وأحيانًا سهير وقد تأتي نادية فنستمع إلى الراديو ونقرأ الفنجان,وطنط ليلى تقرأ الفنجان قالت أن هناك سكة سفر ونصرة وسيأتي لي عريس, أحيانًا نلعب الكوتشينة ونشتري بونبون ومن يربح يأخذ واحدة,وأحيانًا نلعب الشايب وغالبًا يلعب معنا محمود, وفي بعض الأحيان نخرج لشراء العشاء,عيش فينو بسمسم وخيار وجبنة بطيخ أو عنب وجبنة, والعزبة لم يعد يأتي منها شيء للأسف,لم يستطع عمو محمود إدارتها وقد قل خيرُها,منذ أيام ذهبت لإصلاح السيارة عند عم زينهم الميكانيكي الذي يُجارونا في ميدان الروضة وقال لي لا يوجد قطع غيار متوافرة ويجب تصنيعها على المخرطة وطبعًا لن تكون كالأصلية...لماذا يا عم زينهم(أجابني)الغرب من ساعة ما ذقناهم الهزيمة في القناة وهم ساخطون علينا ويفرضون علينا ما يُشبه الحصار الاقتصادي,وإذا كنتِ تُريدين قطع غيار مستعملة فهذا جيد جدًا(فقلت له)إذا كنت تضمنها(فأجابني)بالطبع,لن نركع للغرب وسنظل مُنتصرين ومرفوعي الرأس مثلما قال الرئيس أما عن أحوال العائلة فالحمد لله, أهم خبر أن نادية حامل وإن شاء الله تعالى ستأتي ببنت جميلة زيها,ومنير كما هو,ماما أوشك المال على النفاد وقالت لعمو محمود باع جزء من الأرض ونُفكر في بيع الفيلا ونسكن في شقة للإيجار لأن الفيلا تحتاج مصاريف ونظافة والجماعة التي تخدم كبُر سنهم وقل مجهودهم,لا تظن يا بابا إننا ساخطون أو غاضبون,نحن فقط نمُر بفترة تغيير طويلة ولسنا ندري للأفضل أم لا.لكن الشيء الجميل فعلًا وجود تطور كبير في الفن,فظهرت وجوه جديدة عن الجيل السابق,وجوه واعدة شابة لكنها مُمتازة في السينما فاتن حمامة وشادية وماجدة ومريم كنجوم هوليوود ولدينا ممثلون كعمر الشريف وأحمد رمزي ورُشدي أباظة وعماد

حمدي,والكوميديا إسماعيل ياسين وعبدالسلام النابلسي والحداد وفيه وجه جديد اسمه فؤاد المهندس وحتى في الغناء والتلحين ظهر عبدالحليم حافظ ومحمد قنديل وبالطبع مازال موجود العظماء كمحمد عبدالوهاب وأم كلثوم وليلى مُراد وفريد الأطرش وغيرهم.وهناك أعمال كثيرة,تستطيع أن تقول إننا عائشون في عصر الرومانسية,بالطبع ستسألني لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟أريد أن أُخبرك بقراري في عدم الزواج حتى تعود أنت بالسلامة,وبالمناسبة المتزوجون لديهم مشاكل كثيرة, فمثلًا بالرغم من أن سهير وعزت زوجان مثاليان إلا إنهما لم يُنجبا بعد, وهذا الأمر يُثير لغط كبير لاسيما من طنط ليلى, ومنذ أيام قامت مُشاجرة كبيرة بين مُنير ونادية,نادية تُريد إدخال محمد مدرسة خاصة تُعلم الإنجليزية ومُنير يُريد إدخاله مدرسة حكومية وقد دخلت العائلة كُلها في المُناقشة الحامية ولم نعرف النتيجة ولكن بعد ذلك علمنا أن محمد دخل مدرسة تُدرس الإنجليزية,أي أن نادية انتصرت بكلمتها على مُنير ولكن ماما الحقيقة كانت تؤيدها وتقول أن هذه المدرسة مُنضبطة وتُعلم سلوك وأخلاقيات وهذا ما يُهم ماما أكثر من التعليم.

لا أُريدك يا بابا تكون قلقًا علينا,نحن بحالة جيدة والحمدلله ولدينا تفاؤل رغم المصاعب التي نمُر بها".

ابنتك المُخلصة هدى

ووضعت هُدى الخطاب داخل المظروف ومرت على البوستة وأرسلته وعادت إلى المنزل ووجدت أُمها سُعاد تجلس مع شخص غريب لم تراه من قبل وترددت هل تتدخل في الحديث حتى تعرف ما يجري أم تنتظر واستقرت على أن تتواجد في مكانٍ ما حتى تعرف ما يدور..

قال لها الشاب

-أعرفك بنفسي يا سُعاد هانم,أنا أحمد الصياد معي أموال لحضرتك أرسلها عبد القادر بك فهمي.

تساءلت سُعاد بدهشة

-ولكن كيف؟!

اجابها الشاب

-سأُخبر حضرتك ولكن رجاء أن يكون الأمر سرًا لمصلحة الجميع.

طمأنته سُعاد وهزت رأسها قائلة بإيجاز

-إن شاء الله.

قال أحمد موضحًا

-الناس التي تُسافر خارج البلد للخارج الآن يُسمح لهم بمبلغ عشرة جنيهات مصرية فقط على باسبور السفر وبالطبع هذا المبلغ لا يكفي نصف يوم في الخارج.

قالت سُعاد مُستهجنة

-وهل هذا معقول, أليس كل شخص حُر في ماله؟!

فقال أحمد شارحًا

-البلد تُعاني من عدم وجود عملة أجنبية حتى تم تسميتُها بالعملة الصعبة, أي صعب الحصول عليها وبالتالي فالبلد لا تسمح بتحويل أكثر من عشرة جنيهات مصرية إلى العملة الصعبة.

تساءلت سُعاد

-ثم ماذا بعد؟وأين عبدالقادر؟

أجابها

-العبقرية المصرية في التكيف مع الأحوال ظهرت,والحاجة أم الاختراع كما يقولون.

قالت سُعاد

-يا أحمد يا ابني أنت دمك خفيف,ولكنني لست أفهم شيئًا حتى الآن.

قال الشاب موضحًا

-يوجد كثير من المصريين بالخارج يُريدون إرسال أموال لأهليهم هنا دون تعدي قوانين الدولة ولا يدرون كيف يمكن إرسالها.

قالت سعاد هازة رأسها

-الآن فهمت,من خرج وسافر للخارج بعشرة جنيهات ,يذهبون لأخذ أموال من المُقيمين هناك وأهلهم يقومون بتسديدها هنا لأهلهم وبهذا يكون من بالخارج وجد مال يصرف بها ويعيش ومن وصلت لهم مال هنا بدلًا منها كان يحتاج إليها .

داعبها أحمد

-أنتِ يا طنط" تفهميها وهي طايرة"مثلما يقولون,والآن تفضلي المبلغ الذي أرسله عبدالقادر بك والذي استبدله هناك مع قريبي.

قالت سُعاد شاكرة بلهجة أمومية

-متشكرون جدًا يا ابني.

وقال أحمد بدوره

-نحن شاكرون لكم.

وبعد أن انصرف أحمد عدت سُعاد وهُدى-التي جاءت-الأموال ووجدوها تكفي سنة قادمة فقالت سُعاد شاكرة برضا وسعادة

-الحمدلله,لن نحتاج لبيع لا الأرض ولا الفيلا.

****

الفصل الحادي والأربعون المقهى

محمود:واللهِ يا أخي النساء لا يعجبها العجب ولا الصيام في رجب.. أنا يا مولاي أقبض المعاش وأعطيه للمدام وتقول لك قليل ولا يكفي,هذا لي ولها فقط بمفردنا لأن البنتين متزوجتين.

ضحك عبداللطيف مندور وقال

-ستظل هكذا دائمًا.

وبمرح قال مصطفى أبوزيد

-هؤلاء هن الاستعمار الأصلي..لا تقُل لي إنجلترا ولا فرنسا.

قال عُمر عُثمان مُدافعًا

-واللهِ النساء مظلومات,يكفي إنهم يعملن أعمال تهد الجبال,ترى المرأة بالخارج مُحتفظة بنفسها حتى سن الستين,ونساؤنا تصل للخامسة والأربعون ويكن قد انتهين.

قال محمود

-تهتم المرأة بأولادها أكثر من زوجها,زوجها يكون درجة ثانية أو ثالثة.

وألمح عبداللطيف

-ولكن لو الزوج غني قليلًا فستتغير المُعاملة على الفور.

تساءل مصطفى

-ماذا تنون أن تلعبوا اليوم؟طاولة أم دومينو أمريكي؟

أجاب عُمر

-لتكن طاولة وعلى المشروبات أيضًا.

بحماسة قال عبداللطيف

-أرأيتم جمال عبدالناصر وسيارته يحملها الناس في دمشق,من كان يُصدق أن تكون هناك وحدة بين مصر وسوريا بهذه السرعة,الجماعة السوريون وعلى رأسهم المواطن الأول شُكري القوتلي أثبتوا أنهم عروبيون يبحثون عن مصالح البلاد العربية ووحدتها.

صمت قليلًا وأخرج الجريدة من جيبه وفيها صورة لجمال عبدالناصر وسط الجماهير في دمشق بعد الوحدة بين مصر وسوريا وقد رفع الشعب سيارته المكشوفة على الأكتاف والرئيس بداخلها يُحيي الجماهير العربية السورية المُستقبلة ثم قال

-أرأيتم؟ما بك يا مصطفى أنت وعمر,لماذا أنتما حانقان هكذا؟هي ضربة معلم خلت الكل يبلم,طول الوقت كنتما تقولان عبدالناصر أضاع السودان,ها هي سوريا جاءت لنا وإن شاء الله البقية تأتي.

نظر مصطفى إلى عُمر وضحك محمود قائلًا

-المشروبات عليكما سواء غلبتما أم خسرتما.

****

الفصل الثاني والأربعون مُنير ونادية

كانت نادية تستمع لأغنية ليلى مُراد ليه خلتني أحبك ثم نظرت إلى مُنير وقالت له

-أهديك هذه الأغنية.

قال مُنير برومانسية

-وأنا أهديكِ أغنية فريد الأطرش يارتني طير لا طير حولك

قالت له نادية

-كفاك عبثًا,لقد تغيرت يا مُنير حبك القديم لي ذهب, يبدو أن الزواج يقضي على الحب.

فقال مُنير ببساطة

-أبدًا,القصة وما فيها إنك مشغولة,وأنا أحب الخروج والحرية وأنتِ مع محمد والأخ الذي سيُشرف, لا تحبين الخروج والحركة مثلما كنتِ من قبل.

قالت نادية مُعاتبة

-أنت تخترع أي مشوار كي تهرب خارج البيت.

قال مُنير بمنطقية

-لست أهرب منكِ ولكنني أهرب من البيت لإنني أعشق الحرية والأماكن المفتوحة,تستطيعين القول إنني لا أحب المكوث في المنزل.

كادت نادية أن تقول حسنًا ولماذا تزوجت ولكنها صمتت في الوقت المُناسب ثم قالت مواصلة

-يا ليت هكذا فقط,أنت تترك كل شيء علىّ.

تساءل مُنير متعجبًا

-أأعمل وأدبر أموال وفي الآخر أعمل في البيت؟!!

ثم قال بضيق

-من الأفضل أن نُنهي المُناقشة,سأخرج للتنزه قليلًا,ألا تريدين شيئًا؟

أجابته بالشكر وطلبت منه عدم التأخير واتصل هو بهُدى وقال لها

-هناك موضوع أُريد أن أُحدثك فيه ويكون خارج البيت لإنني أُريد أخذ رأيك بمفردك, قابليني في جروبي بعد نصف ساعة.

****

الفصل الثالث والأربعون هُدى ومُنير

جاءت هُدى مُتأخرة قليلًا ووجدت شقيقها في انتظارها وبعد تناولهما المشروبين قالت هُدى

-خير,تُريد مقابلتي خارج البيت وبمفردي,إذاً الموضوع هام,ولكن لماذا لا تُريد أحد يعرف الموضوع؟

أجابها على الفور

-بدون الدخول في مُقدمات,جاء لي عمل جيد جدًا في سوريا وسيكون فيه تحسين لدخلي ومركزي,ولكنني مُتردد في قُبوله لأنني سأترك نادية وسأترككم,لست أدري ولكنني أعتقد أن الوقت ليس مُناسبًا,ما رأيك؟

سألته هُدى

-أأخبرت نادية؟

أجابها بهزة نافية من رأسه

-لا أُريد شجارًا,تعلمين أن الأحوال بيني وبينها بها شد وجذب,وإذا أخبرتها ستذهب إليكم وستأتي ماما في صفُها.

قالت هُدى باهتمام عاقدة حاجبيها

-الحقيقة الموضوع مُحيّر,ألا تستطيع أخذ نادية معك؟

أجابها موضحًا

-محمد في المدرسة,وهي حامل,لن أستطيع الاعتناء بها ولست أدري كيف هي الظروف هناك؟

قالت هُدى

-الحقيقة لست مُقتنعة بأن تترك البلد من أجل العمل فقط.

زفر أخوها وقال

-الحقيقة أشعر بملل,ومثلما أخبرتك أخشى في إحدى المُناقشات مع نادية حدوث ما لا يُحمد عقباه,هي ليست زوجتي وأم ابني فقط,هي ابنة خالتي أيضًا.

قالت هُدى مُتراجعة

-لا,إذا كان الموضوع مثلما تقول,فالسفر أفضل, وربما إذا ابتعدتما عن بعض قليلًا تشعُران بأهميتكما لبعضكما,ولكنني أتعجب!أين حبك لنادية؟!أأنتهي أم ماذا؟!

أجابها مُنير بدعة

-أبدًا,مازلت أُحبها ولكن تستطيعين القول أن هناك خلافات بيننا لا نستطيع السيطرة عليها فتكبر وتنمو وتؤثر,أو المسئوليات وطريقة التعامل معها هي السبب.

تساءلت هُدى مُتعجبة

-ويقولون أن الحب يأتي بعد الزواج كيف؟!

أجابها مُنير

-كل حالة تختلف عن الأخرى,والآن إذا كنتِ موافقة وتؤيدين موضوع سفري,كيف يتسنى لي شرح الأمر؟

قالت شقيقته برزانة

-الأمر يُريد بعض التفكير, من نُخبر أولًا وكيف,دعني أُفكر قليلًا.

قال لها مُنير مُنبهًا

-لديكِ هذه الليلة فقط لأن السفر لن ينتظر.

****

الفصل الرابع والأربعون عزت

كان عزت عائدًا من المدرسة سائرًا على الأقدام كعادته ولقد شاهد حافلة يقف الناس داخلها بجوار السلم وقد امتلأت الحافلة وانحشر الناس حشرًا حتى الدرجة الأخيرة من السلم.وكانت المسافة بين منزله بشارع الأخشيد والمدرسة الإبراهيمية في القصر العيني حوالي نصف ساعة سيرًا على الأقدام فأصبح يسير في الصباح والعودة وبالتالي يوفر قيمة المواصلات حيث لا يعتمد المنزل إلا على دخله المتواضع من المدرسة وفي بعض الأحيان كان يُساعد والده وأمه في الصرف على منزل العائلة ولعل ذلك أحد الأسباب التي جعلته لا يهتم كثيرًا بموضوع الإنجاب حاليًا,وكان يسير في شارع المنيل وهو أحد الشوارع الرئيسة الطولية او شارع البحر الكبيرا وشارع البحر الصغير كما كان يُطلق عليهما في ذلك الوقت.

ومن مُميزات شارع المنيل أن به جميع الخدمات التي يُريدها أي منزل والعمل في هذه المحلات في العادة متواصل حتى المساء,وفيه سينمات صيفية للتنزه والتسلية, وتستمر في العمل لمُدة ستة أشهر سنويًا على الأقل.وكان في سيرة هذه المرة مهمومًا فقد علم من مصدر موثوق به في وزارة التربية والتعليم بأنه سيتم نقله إلى سوهاج في أقصى صعيد مصر وذلك لإعطائه أحد الطلاب درسًا خصوصيًا وقد دافع عن نفسه بأن والدة الطالب هي التي ألحت في هذا ولكن كان هناك تعسف معه,وهو لا يُحب السفر حيث قضى عمره كله في هذه الناحية,ومنزله وعائلته وأبوه وأمه وأُخوته.هو يعلم أن سهير قد تأتي معه بسهولة فهي زوجة وفية بمعنى الكلمة ولكن ما ذنبها في هذا الشأن.فماذا يفعل؟وهل يقوم بتنفيذ قرار النقل؟واستقر رأيه على أن يتكلم في هذا الشأن مع هُدى فقد يكون لها اقتراحًا أو حلًا يُخرجه من هذا المأزق.

الفصل الخامس والأربعون خطة هُدى

اتصلت هُدى بمُنير واتفقت على مقابلته في الخارج وقالت له

-سنتبع طريقة بابا أولًا,يجب أن تُخبر نادية بمفردها لإنها لو عرفت من شخص آخر سوف تغضب وأنت تعلم أن نادية غضبُها سيء,وفي نفس الوقت سأُخبر ماما ثم سهير ثم طنط ليلى وعم محمود,ركز في قولك على أن هناك أموال أكثر في هذا العمل وتحسُن في المركز,وإنها فترة ليست طويلة.

فقال لها مُنير

-أتعتقدين أن نادية ستوافق؟

قالت هدى ببساطة

-كثير من الناس يُسافرون هذه الأيام ليس لسوريا فقط,بل وللمملكة العربية السعودية والكويت,لقد طلبت الدول العربية مدرسين وأطباء, أهم شيء أسلوب كلامك معها,وعرضك للموضوع وإنه الأفضل للعائلة كُلها,هناك شيء يُحيرني وأُريدك أن تجيبني بصراحة عليه,من الذي أتي لك بهذه الوظيفة؟

قال مُنير بعد بعض تردد

-ثريا,ثريا الآن ما شاء الله لها اتصالات قوية وتتقدم بسرعة.

قالت هُدى بغير ارتياح

-لست أدري ما بينكما.

قال مُنير بسرعة مطمئنًا

-صداقة..صداقة ليس أكثر من هذا.

وذهب مُنير وعرض الموضوع على نادية التي انزعجت بشدة في بادىء الأمر,ولكنها تراجعت بعد أن علمت أن هذا في الصالح العام للعائلة ماديًا وأن الفترة لن تكون طويلة,ولم تقلق سُعاد على شيء وقالت) افعلوا ما ترونه في مصلحتكم,لو كان أبوكم هنا لأرشدنا للأفضل ولكنها اعترضت على وجود نادية بمفردها وقالت يجب أن تأتي وتُقيم معنا لاسيما إنها اقتربت من الوضع .

وتم الموضوع سريعًا واجتمعت العائلة لوداع مُنير الذي وضع سيارته في الفيلا وأعطى مفاتيحها لهُدى وقال لها

-استخدميها كما تريدين.

فقالت له

-للطوارىء فقط.

وعمل لعزت توكيلًا لاستلام راتبه الشهري..

كان عزت قد أخبر سهير وهُدى بما حدث معه في العمل وقالت له هُدى

-نُريد أن نجلس نحن الثلاثة ونُفكر في حل لهذا الموضوع,لاسيما وأن مُنير مُسافر,وبهذا لن يبقى أحد سوى عمو محمود,ونحن بحاجة إلى وجودك هنا.

وبعد سفر مُنير جلس كل من هُدى وعزت وسهير ونادية في صالون الفيلا ليبحثوا حل مشكلة عزت وآثارها على العائلة.

قالت هُدى

-نُريد حُلولًا جذرية.

وعقّبت نادية

-أهم شيء أن يبقى عزت في القاهرة.

وبإخلاص أوضحت سهير

-أنا مُستعدة للسفر معه ولكن تفكيرنا في العائلة واحتياجنا بأن نكون كُلنا معًا.

وقال عزت

-لدي اقتراح وليس حلًا,وهذا الاقتراح يُريد لتحقيقه أشياء كثيرة.

قالت هُدى بتفهم

-أخبرنا بالاقتراح ونُفكر معًا كيف يتم تنفيذه.

قال عزت

-منذ زمن, تمنيت أن نُنشيء مشروعًا خاصًا,والحقيقة أُريد فتح مدرسة خاصة,وأنا دارس الموضوع جيدًا ولكنني بحاجة إلى إمكانيات.

قالت سهير بوفاء

-من الممكن تدبير خمسمائة جنيهًا,سأبيع ذهبي وشبكتي.

وبتعجب قال عزت

-وهل هذا معقول على رأي طنط سُعاد؟!

قالت سُهير على فور

-طنط سُعاد باعت كل صيغتها وأعطتها لعمي عبدالقادر زمان,يبدو إنها عادة في العائلة.

قال عزت

-المبلغ ليس بسيء,ولكنه لن يكفي,ونحن بحاجة إلى مكان مُناسب.

قالت هدى على الفور

-الفيلا.

فنظروا إليها بدهشة فقالت بهدوء

-نعم,الفيلا ستُصبح جزءً من رأس مال المشروع,نحن نشتكي من عدم قُدرتنا على خدماتها المطلوبة,والحديقة كما ترون,تقريبًا انتهت,وماما بالفعل كانت تُفكر في الانتقال لشقة واسعة ولكن تكون هنا في الروضة أو في المنيل,وشقق الإيجار كثيرة,أي لا يوجد مُشكلة.

قالت نادية بحماسة

-هذه فكرة رائعة,ولا يوجد حل آخر سوى هذا.

ثم استطردت

-أنا دائمًا أُحب التدريس للأطفال,ومن الممكن نقل أحمد إليها.

قالت سهير مُتسائلة

-وأنتِ يا هُدى,ماذا تُحبين أن تفعلي فيها؟

قالت هُدى

-لا أنا لا أُحب التدريس,لكن ممكن أُدير الشئون المالية والإدارية فيها.

قال عزت مؤيدًا

-نحن نُريد إدارة جادة وأمينة,وأنتِ يا هُدى أفضل شخص يستطيع تولي هذا الأمر,ولكن كيف تكون المعاملات المالية لنا؟

قالت هُدى مُقترحة

-نأخذ مُرتبات كرواتب الحكومة حسب عمل كل شخص وآخر العام نري الأرباح ونقوم بتوزيع20%للإدارة و80%حسب رأس المال,مع العلم بأننا سندّخر جزءً احتياطيًا قبل التوزيع,وسنُحرر عقدًا بهذا الأمر,و المليجى الاستاذ `المحامي يقوم بتنفيذه.

قالت نادية موضحة

-يجب أخذ موافقة بقية العائلة.

قالت هُدى بأسلوبها الذي يجمع بين القيادة والحكمة الموروث عن أبيها

-أنا عليّ ماما,وأنتِ يا نادية عليكِ طنط ليلى وعمو محمود,لأن سهير وعزت لن يستطيعان القيام بهذه المُهمة مثلك.

وجلست هُدى مع أمها وأقنعتها بأنهم جميعًا في حاجة إلى مصدر رزق جديد,فليس من المضمون أن يُرسل الوالد أموالًا أُخرى,وأنهم بحاجة إلى تواجد عزت في ظروف كهذه,وأن الفيلا بحاجة إلى خدمات غيرُ قادرين عليها, ووافقت سُعاد على مضض وقالت

-نُريد شقة واسعة في المنيل قبل أي شيء,ونُريد في هذه الشقة خمس غرف للنوم وصالون استقبال كبير ومطبخ واسع وحمامان على الأقل وبلكونات على الشارع.

فقالت لها هُدى مُطمئنة

-من الغد أذهب مع سهير وعزت لنبحث عن الشقة التي تُريدينها يا ماما.

وجلست نادية مع محمود وليلى وكان ردهم "نحن موافقان على ما تقول عليه ماما سُعاد"

وبدون جهد كبير وجدت هُدى وسهير وعزت شقة بمواصفات سُعاد بالقرب من ميدان الباشا وفي وسط شارع المنيل الرئيس وكانت الشقة جاهزة من كل شيء,لا ينقُصها سوى العفش,وكان إيجارها مرتفعًا بثمانية عشر جنيهًا شهريًا في الطابق الأول وبها بلكونات تطُل على شارع المنيل الرئيس وكان ترك سُعاد للفيلا من الأيام الحزينة في حياتُها ولكنها آثرت مصلحة الأولاد ومُستقبلهم على ذكريات ماضيها الجميلة,فكل ركن في الفيلا كان له معها ذكرى.

وكانت حماسة الجميع زائدة وظهرت قُدرات هُدى وعزت على الإدارة والتخطيط,وظهرت شخصية نادية القوية فكلفوها بأن تكون وكيلة المدرسة فهي التي تتعامل مع العاملين من المُدرسين والمُدرسات والمُشرفين والمُشرفات والموظفين والخدم,أما سهير فقد ظهر إخلاصها وتفانيها وصبرها في العمل,وكانوا يعملون لساعات مُتأخرة وقد اعتمدت نادية على والديها في الاعتناء بمحمد,أما عزت فقد أفاد وجود عمه كموظف كبير في التربية والتعليم من أخذ موافقت وعمل تراخيص وقد قرروا جميعًا أن تبدأ المدرسة بستة فصول فقط كمدرسة تعليم ابتدائي واختاروا أن تُسمى مدرسة الروضة الابتدائية وحدثت مشكلة فى بعض الاجراءات واتصلت هدى وسهير بثريا صديقة منير التى قامت بحلها

****

الفصل السادس والأربعون مدرسة الروضة الابتدائية

اتفق الجميع على أن يكون الدور الأول مُخصص للفصول وكان هذا الدور عبارة عن صالة عريضة وست غُرف نوم وحمامان فخُصّصت كُل غرفة لفصل وُوضع مكتب لمشرفة الدور في الطرقة, أما الدور الأرضي فقد خُصّص للإدارة غرفة الناظر وغُرفة الوكيلة وغُرفة المدرسين وغُرفة للشئون الإدارية واختارت هُدى أن يكون مكتبها مكتب أبيها وأصرت على الاحتفاظ به كما هو,حتى الخزينة استخدمتها كما هي أما البدروم

فخُصّص كمخزن للملابس والكتب والمقاعد والدكك وخلافه وتحولت الحديقة الأمامية لطابور الصباح ووضع بها العلم واستُخدم بيانو العائلة ليعزف النشيد الوطني,أما الحديقة الخلفية فمُلئت بالرمل لتكون فناء الألعاب وتم طلاء المدرسة من الخارج بالجير ومن الداخل بالزيت ورفعت اللوحة بالاسم على البوابة وتم عمل صيانة شاملة للفيلا ووُضعت الزينات في الفصول وأصبحت المدرسة جاهزة لاستقبال الطلاب الذين لم يزد عددهم عن الثلاثين طالبًا في مجموع الفصول رغم خطة الدعاية الكبيرة التي شملت توزيع بطاقات وتعليق لافتات واستخدام الميكروفون واتصالات شخصية وكان عدد المُدرسين ستة وإذا غاب أحدُهم كان يحل محله عزت أو نادية,أما التنظيم والتنظيف فكانت سهير ومعها إحدى الدادات تصلان للمدرسة في السادسة صباحًا وتقوم المُنظفة بتنظيف الفصول ومسح السلالم والمداخل يوميًا قبل مجيء المُدرسين والطلاب وكانت هُدى تستهدف توفير مُرتبات المُدرسين والمُنظفات لمدة العام الدراسي الحالي,حيث مصروفات التأسيس كانت أكبر من المُخطط له وبدأ عزت يفكر في وسائل أخرى لعمل إيرادات للمدرسة فالملابس تشتري من محل تم عمل عقد عمل معه لتستفيد المدرسة ويتم عمل رحلات مدرسية كل شهر بمصروفات إضافية مُناسبة وعمل احتفال في أي مُناسبة وعمل مجموعات تقوية لمن يرغب كل ذلك بطريقة رسمية وبمبالغ مُناسبة ولكن كي يُحقق إيراد يُعين على المصروفات,وأصرت سُعاد عند افتتاح المدرسة على ذبح بركة وقالت "لو كان زوجي موجودًا لذبحنا عجلين"فقال لها محمود"كفاية نذبح خروفين"ولكن هُدى قررت ذبح عجل صغير بتلو ودعوة فُقراء الحي ومن يرغب في توزيع اللحم عليه وتم توزيعه كله فلم يبق لأهل البيت إلا ما يكفي أكلة واحدة.

بدأت سُعاد تتعود على الشقة الجديدة وقد تم توزيع الغرف غرفة لهُدى وغرفة لسُعاد وغرفة لمحمود وليلى وغرفة للمنظفتين وغرفة للضيوف وقد أخذتها نادية التي فضلت أن تكون بجوار عملها وألا تكون بمفردها تم غرفة كبيرة للمعيشة وغرفة للسفرة وغرفة للصالون واستقبال الضيوف وكانت هناك بلكونة كبيرة قامت ربة المنزل بوضع أنتريه بها.

الفصل السابع والأربعون أحاديث

قال محمود

-الأولاد يعملون في المدرسة وكإنها مشروع قومي للعائلة مثل بلدنا التي تعمل في مشروع السد العالى

قال عبداللطيف بتفاؤل

-مشروع السد العالي كان حلمًا,وهو يحتاج لخبرة طويلة لكن أصدقاءنا الروس سيُساعدونا في كل الاحتياجات والعام القادم سوف يبدأ المشروع.

قال مصطفى بعدم ارتياح

-ولكن المشروع له مشاكل كثيرة وناس كثيرة تُشكك في فوائده.

قاال عُمر مُحذرًا

-انتبه ..فالقهوة هذه الأيام مليئة بالمُخبرين والذي يتحدث يذهب لليمان على الفور.

وبأسف قال مصطفى

-يا ليتُها القهوة فقط,كل الناس تكتُب تقاريرًا في كل الناس,أعرف شخص قُبض عليه مرتان,مرة لإنه إخوان ومرة لإنه شيوعي,!!والمفاجأة إنه ليس له في السياسة من الأساس.

قال عبداللطيف مُبررًا

-أعداء الثورة كُثر ولازم إجراءات قوية من أجل أن تحميها.

قال مصطفى مُلوحًا بيده

-اذكروا لنا سيرة أخرى غير هذه,فلنلعب طاولة على المشاريب.

ضحك عبداللطيف وداعبه

-أنت عندما تعجز عن شيء تقول نلعب طاولة.

وضحك عُمر وقال هازلًا

-تحيا الثورة,يحيا جمال عبدالناصر,تحيا وحدة مصر وسوريا.

بضيق قال مُصطفى

-يا عم حتى مصر تغير اسمها,وأصبح الإقليم الجنوبي للجُمهورية العربية المتحدة وعلمنا الذي كان أخضرًا جميلًا فيما مضى أصبح ثلاثة ألوان ونجمتان.

قال عبداللطيف بتفاؤل

-غدًا يكون ثلاثة نجوم وربما أربعة.

سأله عُمر

-أتعتقد أن دولًا أُخرى ستدخُل في الوحدة؟

أجابه عبداللطيف بحماس

-سنري وسأُذكرك.

قال محمود

-يا عبداللطيف أتعتقد أن ملكًا سيترُك مُلكه لينضم للوحدة أو حتى رئيس دولة ,الوحدة مع سوريا كان لها ظروف خاصة.

قال مصطفى بحكمة

-الدول الأُخرى تُحاربنا من أسفل المنضدة,ويخشون من انتقال الثورة لهم ولشعوبهم حتى الحديث أصبح خشنًا بيننا وبينهم,ويتساءلون"ماذا فعلت لكم الثورة؟".

أجاب عبداللطيف بإباء

-يكفي أن تمشي مرفوع الرأس وكلماتك تهز و تُخيف أي شخص,إسرائيل مرعوبة بعد الوحدة.

قال عُمر هازًا رأسه

-الثورة لها بالفعل أعداء كثيرون وهذا خطر للغاية.

وقال محمود

-كفى هذا,أُحدثكم عن المدرسة تُدخلوني في السياسة,هل ستلعبون أم أذهب,ملأتم رأسي دون فائدة.

وقال عبداللطيف

-هيا,أحضروا دومينو.

سألهم مصطفى

-تلعبوا أمريكاني ولا روسي؟

****

الفصل الثامن والأربعون جواب

جلست سُعاد في البلكونة ونظرت نظرة سريعة على الشارع والميدان "ميدان الباشا"الملىء بالحركة من كل الأنواع, سيارات وعجل ورجال ونساء وأطفال, البعض يسير بسرعة والآخر يسير ببطء والبعض واقف في انتظار الأوتوبيس وسيدة تُشير إلى تاكسي,حركة دائمة وليس كالهدوء الذي كان في شارع الأخشيد.

وفتحت الرسالة التي وصلت إليها من عبدالقادر فهمي وكان وقع الرسالة عليها جميلًا وكان عبدالقادر وهو بعيد يشعُر بها,فهو يواسيها على هجر الفيلا ويقول لها إنه سعيد بحركة شباب العائلة لعمل مشروع المدرسة ويذكر بأنهما في البداية كانا لا يملكان الكثير وأن طبيعة الأشياء التغيير وأن وقع ترك الفيلا عليها كوقع احتراق المصنع لديه,ولكن الله"سبحانه-وتعالى"أنعم علينا بحفيد والآخر في الطريق وإنه لم ينساها ورغم أن ألمانيا بلد جميل ولكنه مكان غربة وإنه يود أن تكون معه ولكنه يتنقل كثيرًا ويعيش في فندق ثلاث نجوم وإنها لا تعرف إنجليزي أو ألماني فستشعر بالوحدة وأن الأولاد والأحفاد يملأون حياتُها ولم ينس أن مرفق مع الجواب شيك بمبلغ500 جنيهًا وهو يكفي المصروفات بالمنزل لمدة عام تقريبًا ولاحظت أن الشيك بتوقيع مختلف عن توقيع عبدالقادر ولكنه على بنك مصر وباسمها هي.

وسرحت سُعاد بعد قراءة الخطاب هي لم تر عبدالقادر منذ خمس سنوات تقريبًا وهي تفتقده كثيرًا ولو كان معها لهون عليها أشياء كثيرة وأن الأولاد رغم مجهودهم لم يملأ الفراغ الذي تركه عبدالقادر في حياتُها ولا تدري إن كانت ستراه ثانيًا أم لا وهي تقدر إنه يفعل ذلك لأجل العائلة وأن أمثاله ليس لهم مكان حاليًا للعمل وعبدالقادر مثله مثل البشوات الكبار ولو أراد أن يكون باشا فما كان أيسر وأسهل ذلك عليه ولكنه اكتفي بالبهاوية فهو لم يكن يُريد أن يلفت الأنظار إليه وحتى يظن أنه من الطبقة الوسطى ولكم مرت عليهم أحداث ولكن ما هم فيه الآن لم تكن تتوقعه أبدًا,المصنع والأرض والفيلا وحتى النشاط الخيري الذي كان يُسعدها أصبح في غاية الوهن والضعف فهي تتبرع تبرعات عينيه ملابس قديمة أحذية لن تستعمل بعض المفروشات الغير مرغوب في استخدامها فالنقود أصبحت تغطي احتياجات المنزل بالكاد وسمعت جرس الباب يدق فذهبت لتفتح الباب فإذا هي أمام مُنير وقد عاد فجأة من سوريا في أجازة سريعة ليرى ابنه الوليد والذي أسموه جمال وكان فرحة ودهشة أذهبت عنها ملامح الحزن الذي كسى وجهها واستقبلته بالأحضان وإذا بنادية وقد شعرت بوجوده تندفع إليه وتُعانقه عناقًا قويًا ومن ورائها ليلى وهي تحمل ابنة الثاني جمال ولم يكن في المنزل أحد آخر,فالجميع ذهب إلى المدرسة.

****

الفصل التاسع و الاربعون "حوار بين نادية ومُنير"

أخذت نادية مُنير من يده وقالت له

-تعال كي تُشاهد الشقة.

حتى وصلت إلى الغُرفة فدفعته إليها وأغلقت الباب سريعًا فوجدها غرفة واسعة ومؤثثة جيدًا وبها أنتريه صغير جلسا عليه وتبادلا النظرات ثم قالت له

-قُصّ علي كل شيء,أريد أن أسمعك.

قال لها

-كُنت محضر كلام كثير مُرتب ومُنظم ولكن الكلام الآن راح مني,أريد أن أُخبرك أن سوريا بلد جميل جدًا وفيه نساء جميلات,بل في منتهى الجمال,وحُسن المُعاملة,لكن وأنا هناك لا أُفكر سوى فيكِ وفي محمد وجمال ,لقد صرت إنسانًا مُختلفًا,أحسست بقيمتك وقيمة العائلة عندما افتقدتكم.

لم تُصدق نادية ما تسمعه وسألته

-عُدت مُنير كما كنت أعرفه من الأول؟

أجابها

-بل أكثر مما تتخيلين,ما رأيك نذهب لشقتُنا ونُقيم يومين,أوحشتني الشقة.

سألته مُستفهمة

-وناوي تُقيم كم يوم؟

أجابها موضحًا

-هي أجازة سريعة,أُسبوع واحد.

سألته بدلال

-أسنخرج معًا كالماضي؟

ابتسم لها فواصلت

-لقد تعبت للغاية من العمل بالمدرسة وأنا حامل,لكن فكرة المشروع ملأتنا جميعًا بالحماس,تصور أن الجماعة بعد رحيل الطلبة يقومون بتصليح الكراريس ويجهزون الدروس ويُراجعون الحسابات ويحضرون....

قاطعها قائلًا

-أُريد الذهاب إلى عائلتي,هيا لمي الحقائب وأنا سأجلس مع ماما وطنط قليلًا وألعب مع جمال, بالحق,أين محمد؟

أجابته باقتضاب

-بالمدرسة.

وعندما علمت هُدى بوصول أخيها استأذنت من المدرسة لمُدة ساعة لتراه بعد أن علمت إنه سيذهب إلى بيته وجلست مع العائلة وهم يقولون لمُنير "قص لنا عن سوريا"

فيقول مُنير

-المُعاملة هناك مُمتازة والسوريون يحبوننا,فالحب مُتبادل, ولكنهم مُختلفون عنا, فهم بطبيعتهم يُحبون التجارة وعمل المشاريع الصغيرة,ويتقنون عملهم ويتفننون فيه,في يوم عزمونا على الغذاء في مطعم بالجبل,والطريق إلى الجبل عبارة عن عدد كبير من الملفات الخطيرة يصعدها السائقون, كإنهم من الإتقان يمشون على طريق سطحي,والنزول أصعب,وعندما صعدنا كان المنظر رائعًا والجو مُنعش,والرائحة مُعطرة,ثم طلبنا الطعام فأتوا لنا بأطباق مُختلفة من الأصناف,ورق عنب وفتوش ومحاشي ومشويات وسمبوسك وفطائر صغيرة بمذاق مُختلف,وعيش مخصوص وسلطات,وطعمنا وشبعنا.ثم وجدناهم يدخلون بصواني اللحم والدجاج فنظُر بعضُنا

إلى بعض وانفجرنا ضاحكين,والفستق هناك كالفول السوداني في مصر وأنواع الياميش والمكسرات أنواع مُختلفة,الأسعار رخيصة,لا تشعُر في الشارع كإنك غريب,بل في بلدك,بلاد جميلة وحدودها مفتوحة على لبنان,فيمكن الذهاب من وإلى لبنان بركوب السيارة وتجد إشارة مكتوب على يافطتها"مرحبًا بك في لبنان"وكأنك انتقلت من مدينة إلى مدينة وليس من بلد إلى بلد.

سألته هُدى مُستفهمة

-ما رأيك في الأحوال السياسية هناك؟

أجابها أخوها

-هم لا يحبون الحديث كثيرًا في السياسة مثلنا,ولا يحبون تدخل الدولة كثيرًا في شئونهم,وكما أخبرتك يحبون المشاريع,ولا يحبون وظائف الدولة وهم يتكونون من السُنة والشيعة"العلويون"وبعض الديانات الأُخرى ولكن لا تفرقة,وكانت فرنسا تستعمرهم كما كان الإنجليز يستعمروننا,ويقولون عن الزواج من سورية"من يتجوز شامية يعيش عيشة هنية"

فنظرت له نادية باستنكار وامتعاض فقال مبتسمًا كاتمًا ضحكته

-هم يقولون ذلك,ليس لي دخل.

قامت هُدى لتستأذن وقالت لمُنير

-حمدًا لله على سلامتك,وطبعًا ستنتظر محمد حتى يعود.

قال مُنير

-أول ما يعود سنذهب لشقتنا بإذن الله.

****

الفصل الخمسون"ثُريا"

قابل مُنير ثُريا وجلسا معًا في المقهى يتناولان المشروبين المثلجين وقالت له ثُريا

-الحمدلله على السلامة,ما أخبار سوريا؟

قال مُنير

-نحن نشكرك كثيرًا على جهودك معنا,أرهقناكِ ولست أدري كيف أرد فضائلك علي؟

أجابته

-تزُدها بالتقدم للأفضل.

قال لها

-بالمُناسبة هُدى وسهير اشتريا لك هدية صغيرة ويشكراكِ كثيرًا,لولا تدخلك لما استطاعا أخذ ترخيص المدرسة,قمتِ باتصالات والحمدلله وفقك الله"سُبحانه وتعالى"

وكانت الهدية التي قدمها عبارة عن ساعة أنيقة فشكرته كثيرًا ثم قالت له

-أُريدك في خدمة.

قال لها

-أُأمري

قالت له على الفور

-إذا واجهك أي عائق في سوريا أخبرني به.أريدك أن ترسل لي الأخبار أسبوعيًا فهذا سيساعدني في عملي فأنا مكلفة بمتابعة الشئون السورية.

قال ببساطة

-لا يوجد أي مُشكلة إذا كنتِ تُريدين هذا.

قالت وهي تُقدم له العنوان

-أنا شاكرة,وتُرسل على صندوق البريد هذا.

ثم سألته

-كيف حال نادية وابناكما؟

أجابها

-أنا عرفت قيمة العائلة عند ابتعادي عنهما,أمن ممكن سؤالك سؤالًا؟

قالت ضاحكة هازة رأسها

-أعرفه,لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟

ضحك بدوره وقال

-دائمًا تقرأين أفكاري.

قالت بهدوء رزين

-كل شيء سيأتي في موعده, وأهم شيء أن عملي لن يجعلني زوجة مُلتزمة ولا أم مُلتزمة,وبعض أشياء أُخرى لن أستطيع إخبارك بها الآن.

الفصل الواحد والخمسون"شلة المقهى"

قال مصطفى لصديقه

-أرأيت يا عبده,صديقك ظهر على حقيقته وأصدر قرارات يوليو الاشتراكية,ويُريد تحول البلد كلها لموظفين,ولا يحتاج أن يغضب عن شخص,يكفي أن يوقفه عن العمل ويُقال إنه قال لبعض مقربيه إنه يُريد أن يمسك الناس من لقمة عيشها.

وقال عبداللطيف

-يا أخي أين الرأسمالية الوطنية التي تعمل لمصلحة البلد,والتي تحميها الدولة وتُشجعها أيضًا,وأنت ترى مشروعات خاصة تُفتح يا محمود ألم تفتحوا مدرسة خاصة,أضايقكم أحد أو تعرض لكم؟

أجابه محمود بتعجب

-ولكنني لست متفهم يا أخي أن تأخذ مصنعًا يعمل وفيه عمال وأنشطة ثم تأخذه وتقوم بتأميمه لصالح الدولة,لماذا لا تفعل مثله وتضيف بدلًا من الأخذ,أي تغيير في الإدارة وطريقة العمل تقلب العمل رأسًا على عقب,أتعلم,فية مخبز عيش في المنيل اسمه الإخلاص وكان ينتج خبزًا جيدًا وحلويات في مُنتهى الجمال وهو عمل بسيط,وُضع تحت الحراسة ولا يُمكن للدولة أن تُدير مخبزًا صغيرًا كهذا,وبالفعل تبدل الحال و أصبح الخبز لا يؤكل ومحروق وبعد أن كان الناس يذهبون إليه وتراه مُزدحمًا لم يعودوا يذهبون إليه,لست أفهم ما المصلحة التي تحققت من شيئٍ كهذا,عندما أذهب للقرية وأُقابل الفلاحين أشعر أن أحوالهم تحسنت قليلًا ويُعلمون أولادهم,وكذلك العمال في المصانع, هناك استقرار اجتماعي أفضل ولكن تحول كل شيء ليُصبح ملكًا للدولة,ومن أين ستأتي الدولة بأموال لكل هؤلاء,وبالطبع ترون الخدمات تتدهور تدريجيًا.

تدخل عمر وقال

-البلاد كُلها تسير بتفكير شخص واحد وهذا عيب النظم الديكتاتورية, ثم أن القهوة مليئة بالمُخبرين.

وقال عبداللطيف باعتراض هادىء

-هناك حزب حاكم واحد صحيح ولكنه يضم كل أطياف المُجتمع وتحدُث مُناقشات وتُقال أفكار ويوجد أيضًا مُعارضة.

قال عُمر مُعارضًا

-ديكور,كله ديكور, حتى مجلس قيادة الثورة يكاد ينحل و كل سنة من يخرُج منه, تقرأ الجرائد-من الناحية السياسية-حديثُها واحد وتقول نفس الكلام وتسمع الإذاعة تجدُها-أيضًا-تقول نفس الكلام,ويتحدث البعض عن حصارًا اقتصاديًا وتنزل الشارع ترى كل شيء أصبح بالطوابير!

قال عبداللطيف بهزل

-الله الله,أنتم اليوم تشدون رحالكم إلى السياسة.

قال محمود له

-اليوم المشاريب عليك يا عبداللطيف.

قال مصطفى ضاحكًا

-آه,قبل وضع القهوة تحت الحراسة.

****

الفصل الثاني والخمسون"خطاب من سوريا"

"صديقتي العزيزة ثُريا..

بعد التحيات والسلامات والتمنيات الطيبة لكِ..

قرارات التأميم لا تجد صدى جيدًا هنا في سوريا ,فالاقتصاد يعتمد في أغلبه على النشاط العائلي فكل عائلة تتخصص في نوعية عمل مُعينة ويتوارثونها ولا يحبون العمل وكإنهم موظفون,وهم يُشكون أيضًا من مُعاملة روسائهم المصريين الذين يُعاملونهم مُعاملة ميرى رسمية كما نقول في مصر وفي الآخر هي بلدهم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص/مُنير".

الفصل الثالث والخمسون نبيل

ذهب نبيل إلى فيلا عبدالقادر ووجد أنها تحولت إلى مدرسة فتعجب كثيرًا وسأل البواب عن آنسة هُدى فقال له باقتضاب"تفضل"وأدخله إلى نفس مكتب عبدالقادر وجاءت هُدى مُسرعة من جولتها عندما علمت بوجود نبيل فصافحته بحرارة وطلبت له قهوة وقالت

-لم هذه الغيبة الطويلة, ما الأمر؟

فأجابها

-أما عن الغيبة فكنت مُسافرًا إلى ألمانيا في عمل لعبدالقادر بك,وأما ما جاء بي فهو افتتاحي لشركة صغيرة للتوريدات الهندسية مُتصلة بألمانيا وسأعمل في مجالات تحتاج البلد إليها وخامات وآلات لا بد من استيرادُها من الخارج مثل رولمان البلي والسيور والمسامير والصواميل والعدد والأوناش العُلوية الكهربائية وكل ما أقوله أخذنا به توكيلات من مصانع المنشأ وسوف يكون هناك محل للبيع في شارع الجُمهورية ومخزن بالفجالة ومكتب في وسط البلد وسوف أكون المدير الفني وسيادتك المدير العام, وسيكون معنا بعض العاملين السابقين من المصنع المُخلصين الذين يعرفون الأوضاع جيدًا بالإضافة إلى وجود محاسب للضرائب ومُحامي للشئون القانونية وسيكون اسم الشركة)الهُدى للتوريدات الهندسية,(كتبت كل شيء في هذا التقرير وسأتركك تقرأيه بهدوء,ولكن لدي سؤال, ما موضوع المدرسة هذا؟

ضحكت هُدى وقالت

-سأقُص عليك إن شاء الله كل شيء في المُقابلة القادمة,متى تُحب أن تكون؟

قال لها وقد أخرج شيئًا من جيبه

-هذا الكارت الذي فيه أرقام الهواتف,اتصلي في أي وقت لكن بعد الاطلاع على الملف.

جلست هُدى وأغلقت الباب على نفسها من الداخل وقرأت الملف بكل تركيز ووجدت به كارتًا لأبيها يُخبرها فيه أن نبيل يُقابلها ويشرح لها موضوع هام وإنه يُريد منها أن تُدير هذا العمل وتوزع أرباحه بمعرفتها على حسب احتياجتهم وكإنها هو.

أخبرت هُدى والدتها بالأمر وقالت لها

-أنا متأكدة إن بابا فعل هذا الأمر كي يتواصل معنا باستمرار وفي أي وقت.

قالت سُعاد

-أبوكِ يحب العمل بجنون,وفقه ربنا"سبحانه وتعالى"و وفقك أنتِ أيضًا.

****

الفصل الرابع والخمسون"المقهى من جديد"

قال محمود بحزن

-واللهِ الواحد حزين على ما جرى,سوريا تقوم بانقلاب ضد الوحدة وتطرد المصريين من هناك, نحن لم نُكمل أربع سنوات,هذه ضربة صادمة للغاية.

قال مصطفى بأسف

-قُل ضربة قاضية للوحدة العربية التي صدعوا رءوسنا بها ليلًا ونهارًا.

لوح عُمر بيده وقال

-سوء إدارة وعدم فهم.

قال عبداللطيف كاتمًا حزنه وغضبه

-لماذا لا تقولون إنها حركة غدر وخيانة,وأن جزءً كبيرًا من السوريين أرادوا أن تستمر الوحدة معنا.

قال مصطفى مُنبهًا

-إياك أن تظن إننا لسنا غاضبين,الوحدة كانت من ضمن الإنجازات الجميلة ولكن الآن عُدنا كثيرًا للوراء.

قال عُمر موضحًا

-كسبت الثورة أعداءً كثيرين وليسوا بالهينين ولا بالضعفاء,شرسون,ربما يُغلبون مرة ولكنهم يظلون مُنتظرين الوقت المُناسب ليعودوا مرة أخرى ولا يستسلمون.

قال عبداللطيف مُتفهمًا

-تقصد ممكن خسارة بعض المعارك ولكن يكون ربح الحرب في النهاية,ولكن هذه ليست حربًا عادية جيش في مواجهة جيش,ولا هي حرب مُخابرات ومال ومصالح واقتصاد؟

وبحكمة قال مصطفى

-ما هي السياسة هكذا,إنك تستخدم كل أدواتك وتُجيد اللعب بها.

قال عُمر

-وبعض الدول العربية مُشاركة فيها.

وأضاف مصطفى

-وإسرائيل أيضًا.

قال عبداللطيف زافرًا

-نحمد الله أن الرئيس أمر بعودة جنود المظلات والبحرية قبل الاشتباك مع إخوانهم السوريين.

وعقّب محمود مُعترفًا

-الحقيقة هذه كانت حكمة كبيرة.

قال مصطفى

-رغم أن البعض حاول الإيقاع بين الشعبين حتى تُصبح الكراهية بين المصري والسوري, ويقتل أحدُهما الآخر.

قال عُمر

-والسوريون أيضًا أعادوا المصريين الذين كانوا هُناك بكُل كرامة ودون أي مُشكلة.

قال محمود

-هكذا تُصبح المحبة بين الشعبين مثلما كانت.

ثم أردف

-المشروبات عليّ أنا هذه المرة.

****

الفصل الخامس والخمسون"عودة مُنير"

عاد مُنير من سوريا إلى شقته مع نادية وولديه ولكن الأخيرة رفضت الجلوس في المنزل وقالت إنها تعودت على العمل وإنها ستُذهب محمد كل يوم الصبح إلى المدرسة وتُذهب جمال إلى أُمها ليلى,وسوف تعود قبل عودة مُنير من العمل بالإضافة إلى طبخها للطعام ليلًا ليؤكل في اليوم التالي,ونظافة الشقة تكون يوم الجُمعة.

لم يعجب مُنير هذا الوضع ولكنه آثر الصمت حتى لا يقوم بعمل مُشكلة عند عودته وأن هذا الوضع "كما قال في نفسه"سيجعل نادية مشغولة طول الوقت مما يُخفف حدة التوتر في حالة عودة الأمور لسابق عهدِها وبالفعل فإن نادية لم يعُد عندها وقت خاصةً مع وجود جمال وقابل مُنير ثُريا فقال لها

-عسى أن يكون خطابي الذي أرسلته لكِ يكون قد أفادك في عملك,رغم إنه لم يمنع القدر بالانفصال.

قالت له

-لقد كان جواب لخص الأمر كله,أأنت حزين لعودتك؟

أجابها

-لقد استفدت من وجودي بسوريا من جميع الجهات ماديًا واجتماعيًا بالإضافة للخبرة العملية.

قالت له مطمئنة

-مصر الآن تقوم تنفيذ خطة صناعية طموحة وهي الخطة الخمسية,رشحتك أن تكون مُديرًا إداريًا لأحد المصانع وهذه ترقية كبيرة لك وظيفيًا وماديًا,ولكن الأفضل– على اتفاقنا-أن تُعطينا معلومات عما يحدُث في المصنع بطريقة دورية.

سألها بحذر

-أهذه المعلومات لعملك الصحفي أم لعملك السياسي في الحزب؟

أجابته

-اطمئن,هذه المعلومات لمصلحة البلد,ولن أستطيع الآن أن أُخبرك بأكثر من هذا,المهم موافقتك.

قال لها

-طبعًا موافق,ما دام الموضوع خاص بكِ,فأنا أثق فيكِ جدًا,ولكِ دائمًا فضل علي.

قالت

-نحن صديقان,ولا يوجد بين الصديقين أفضالًا,مثلما يقولون"لا يوجد بين الخيرين حسابًا"

****

الفصل السادس والخمسون خطاب من مدحت

"أمي العزيزة الغالية.....أخوتي الأعزاء.....بعد التحيات

أزف إليكم خبر زواجي من سوزان وقد تم ذلك في حفل بسيط حضره أبي وهو سعيد جدًا بذلك الزواج,وأرجو أن تكونوا أنتم كذلك,وسوف أحضر الشهر القادم مع زوجتي في زيارة إلى إليكم تستغرق أُسبوعين,سنقضي أُسبوعًا معكم وأسبوع في الأقصر وأسوان,لقد قصصت لسوزان عن العائلة وهي تحُبكم جميعًا وتشتاق إلى رؤياكم وكنت أتمنى أن يكون أبي معنا ولكن لديه كثير من المشاغل والمشاكل.سوف أخبركم بتلغراف عن موعد وصولي, بإذن الله في سعادة وهناء..إلى اللقاء.

ابنكم المُخلص مدحت"

قرأت سُعاد الخطاب وانتابتها لحظة من السعادة لم تشعُر بها منذ أن غادر زوجها البلاد,ونادت الجميع وقرأت عليهم الخطاب وبدأت تُرتب الأمور في رأسها, طلبت من مُنير أن يأخذ أجازة من العمل الأُسبوع الذي يتواجد فيه أخوه,وطلبت من نادية زيادة المال لليلى كي تُحضر اللازم وأكدت إنها ستقوم بعمل جدولًا لكل يوم بالأنشطة اللازمة, وقد بدت أن الحياة قد دبت فيها بعد موت.

****

الفصل السابع والخمسون مدحت وسوزان

كانت سُعاد وضعت قائمة الطعام في أثناء زيارة مدحت,فاليوم الأول مكرونة باشميل وكفتة وجلاش باللحم المفروم,واليوم الثاني حمام محشو بالفريك وأرز وملوخية واليوم الثالث كباب وكفتة ولوزازمهما واليوم الرابع بطة وفراخ واليوم الخامس أرانب بالملوخية والأرز واليوم السادس ديك رومي اليوم السابع والأخير مومبار ومحشي بأنواعه وطالبت ليلى هُدى بميزانية لهذه القائمة التي كانت في ماضي الأيام عادية ولكن الآن الوضع مختلف.

صممت سُعاد على ذهاب جميع أفراد العائلة إلى المطار لاستقبال مدحت الغائب منذ عشر سنوات وبكت كثيرًا من الفرحة بلقائه,أما سوزان فقد اندمجت فورًا في أجواء العائلة وكانت المفاجأة إنها تتكلم اللغة العربية,لم يتغيب عن استقبال المطار سوى ليلى التي كانت تُشرف على تجهيز الطعام,وفرح مدحت باستقبال العائلة وحظى بنصيب كبير من اهتمامه محمد ابن أخيه مُنير والذي كان يسمع عن جده وعمه كثيرًا دون أن يراهم,كان اليوم من أيام السعادة لسُعاد وشعرت بأن الدنيا مازالت فيها أشياء جميلة.

وبعد أن استراحوا وتناولوا الطعام جلس مدحت وحوله أُسرته ليتحدث إليهم وليعرف أحوالهم فقال

-الحمدلله أخذت الدكتوراة في الهندسة الكهربائية للاتصالات وقد ساعدتني سوزان كثيرًا, والتي يمتلك والدها مصنعًا لتصنيع الآلآت والعدد الهندسية والأوناش العلوية وقد شارك هو ووالدي ورجل أعمال ألماني في عمل شركة للتصدير,والتي لديها موزع بمصر والأعمال تسير بجودة لا بأس بها ويعتبر أبي المُساهم الرئيس في هذه الشركة ولكنه دائمًا يقول إنه يُحب الصناعة ويُفكر كثيرًا فيكم وفي مصر وقد دخل أخيرًا عن طريق وسيط في توريد سيارات لوري ألمانية للسد العالي حيث أن السيارات الروسية كان بها بعض المشاكل لأنها مصممة

للعمل في أجواء باردة.الحياة في ألمانيا جميلة وتتسم بالنظام الشديد وكل يعمل عمله الذي يعرفه ويتقنه دون فهلوة أو كلام كثير.

فضحكوا جميعًا على كلمة فهلوة وقال له مُنير

-مازلت تتذكر كل شيء.

قال مدحت

-نحن نعرف عن مصر أكثر منكم فنحن نسمع الرأي والرأي الآخر ونقرأ الجرائد المصرية وتستمع إلى الإذاعة وتوجد هناك شلة تعرف ما يجري بأول بأول.

فقال له مُنير

-حسنً,اعطيني أمثله.

قال مدحت مُستطردًا

-نحن نعلم أن مصر أنشأت خطة للنهوض بالصناعة,خطة خمسية طموحة ولكن للأسف تشتري المصانع القديمة من الكتلة الشرقية والاتحاد السوفيتي التي قاموا بالاستغناء عنها,وبالتالي فنحن نبدأ متأخرًا والمفروض أن تُقيم أحدث المصانع,وبالطبع يقومون بعمل صيانة للماكينات ويرسلونها إلى مصر بسعر رخيص, لكن هذه الماكينات ضعيفة الإنتاج,وقليلة الجودة ومتاخرة فنيا

ومع الوقت لا تستطيع المُنافسة

قالت هُدى

-بالفعل,نحن لا نعرف هذه المعلومات.

وبلهجة خبير أضاف مدحت

-الصناعة الآن تعتمد على تغطية احتياجات البلد وتُصدّر الفائض للخارج,فاليابان على سبيل المثال لديها شعار يقول التصدير أو الموت وهم يُصدّرون جميع المُنتجات.

هزت نادية رأسها وقالت

-بالفعل لعب الأطفال التي نشتريها مصنوعة في اليابان.

قال مدحت مُنبهًا

-وفي مشكلة كبيرة جدًا,في التعليم-ولا تؤاخذاني يا سهير وعزت-التعليم في هذه الدول مكفول للجميع ولكن حتى ما قبل الجامعة هم يُركزون جدًا على التعليم الحُر ولا يُمكن لأحد أن يعمل في أي مجال حتى حلاقة الشعر إلا إذا أخذ رُخصة وبعد امتحان.

كانوا يُنصتون إليه بانتباه شديد وقد شعر بوجود فجوة كبيرة ثم قال مدحت

-كل شيء هناك يدخُل العلم فيه,أي قرار وأي حل لمُشكلة لا بد من دراسة علمية ثم تُعرض على صاحب القرار,لا يوجد تفكير عشوائي أو آخر يعتمد على الفهلوة.

قال محمد بصوتٍ مُفاجيء

-دول عالم ثاني نحن.

ضحك الجميع وقال مدحت بحب

-عارف يا محمد,الحافلة لديهم مكتوب ساعة وصولها للمحطة ونادر جدًا إذا تأخر عن موعده دقائق قليلة,لقد رأيت ونحن عائدون من المطار حافلات كعلب السردين والناس تقف على السلم,إذا ذهبوا لأعمالهم بهذه الطريقة,كيف يعملون؟في الخارج يعرفون قيمة الوقت,وعندما يعمل عامل يجب وضعه في بيئة عمل مُناسبة تُساعده على الإنتاج,ولدي العامل خطة عندما يقوم بعمله ماذا يفعل أولًا ثم ثانيًا فثالثًا,ثم يُنفذ ويقول لك أن الشيء يجب أن يُعمل بشكل سليم من أول مرة,لا يوجد هناك تجارب.

قالت زوجته بعربية سليمة

-كفى يا مدحت,نريد الاستماع إليهم وأنت تتحدث باستمرار,دعهم يتحدثون أيضًا.

قالت سُعاد بحنان وأُمومة

-دعيه,"صوته وحشني".

قال مدحت بأسلوبه الراقي

-كل شخص يُخبرني ما أحواله؟

فنظروا جميعًا بعضهم لبعض ومن يبدأ بالحديث ثم قال محمود وهو الأكبر

-سأخبرك يا عزيزي بالأخبار كُلها.

وامتدّت بهم السهرة ولا يُريد أحد القيام حتى الساعة الحادية عشر فقال مدحت ناهضًا

-أنا أنام هناك الساعة التاسعة مساءً وأستيقظ في الخامسة صباحًا,أستأذن منكم كي يرى كل واحد عمله غدًا.

قالت سُعاد معترضة

-أي عمل!كله يأخذ أجازة.

فقالت هُدى

-سنعود مبكرًا إن شاء الله.

وقال مُنير لزوجته

-هيا يا نادية,وسآتي الصبح لتناول الإفطار معك إن شاء الله الساعة العاشرة صباحًا.

قالت سُعاد

-حسنً,أحضر نادية للمدرسة والساعة ثمانية تكون هُنا.

****

الفصل الثامن والخمسون مدحت ومُنير

في مساء اليوم التالي عزم مُنير ونادية وكانت معهما هُدى مدحت وسوزان وذهبوا ا لى جروبي بوسط البلد وأُعجبت سوزان وتعجبت في نفس الوقت من قدم المحلات والمباني والميادين والشوارع وسأل مُنير مدحت

-ألا تفكر أن تعود لمصر؟

هز مدحت رأسه وقال

-لا أعتقد ذلك.

سأله مُنير بصوت منخفض

-أمن أجل سوزان؟

أجابه مدحت

-على النقيض,ليس هذا سببًا على الإطلاق,فهي على استعداد للعيش معي في أي مكان,لكنني اعمل هُناك في مصنع لإنتاج الأسلحة فأقوم بتصميم واختبار الدوائر الكهربائية للصواريخ والطائرات الحربية وهذا عمل لن أجد له مثيلًا في مصر.

فقال مُنير

-مصر تُصنع صواريخ القاهر والظافر.

فقال مدحت

-ألم أُخبرك إننا نعرف عن مصر أكثر منكم.

سألته هُدى مُستفهمة

-لم؟

أجابها مدحت موضحًا

-القاهر والظافر ليس لهما نظام توجيه,فإذا أُطلق يتحرك حسب أول ضبط له,فلا يعرف أين سيسقط ويحتاج لتوجيه, وتوجد أنواع كثيرة للتوجيه.

سأله مُنير

-ولم لا يُصلحون هذا العيب؟

هز مدحت رأسه وقال

-بالفعل تعاقدت مصر مع علماء ألمان ليقوموا بذلك ولكن إسرائيل علمت بالأمر وهددت هؤلاء العلماء بقتلهم وقتل عائلاتهم إذا حضروا إلى مصر رغم رغبتهم في ذلك,وبالمُناسبة مصر كانت ستستغل عمل صناعات حربية عالمية ولكن الحصار الاقتصادي الغربي منعها من ذلك وهم يتبنون سياسة ألا تكون دولة عربية أقوى من إسرائيل في التسليح.

فقالت هُدى

-ولكننا نحصل على سلاح روسي.

فقال مدحت

-الدبابات ت34والطائرات ميج(21,17)هذه أسلحة الحرب العالمية الثانية وما قلته لكم عن المصانع هو ما يحدُث في التسليح أيضًا.

قالت سوزان بضيق

-مدحت,غيّر الموضوع.

****

قام مدحت ومنير بزيارة لأهرام الجيزة ووقفت سوزان مذهولة أمام أبوالهول والهرم الأكبر)هرم خوفو(وقالت

-لقد رأيت صورًا لكن الطبيعة شيء آخر, إنه مذهل.

قال مدحت هازًا رأسه

-إنه عمل هندسي رائع.

وكانت الزيارة الثانية للمتحف المصري بميدان التحرير وقد أُعجبت سوزان بمُحتويات المتحف وآثاره وقالت عن ميدان التحرير

-هذا الميدان كبير وجميل للغاية.

وسارت السيارة على كوبري قصر النيل وقال لها مدحت

-هذا الكوبري عُمل منذ ثمانين سنة,وعندما تم إنشاؤه كانوا يقولون عليه) إنه كوبري كبير وواسع أكثر مما ينبغي.(

ومرت أيام وسافر مدحت وزوجته للأقصر وأسوان وعادا لتقول سوزان

-مصر مليئة بالكنوز,الأقصر بها ثُلث آثار العالم وأسوان نيلها واسع والجُزر هناك في غاية الجمال والروعة.

وتبقى يومان من العودة لألمانيا فقال مدحت لشقيقته

-أُريد رؤية الفيلا.

وبالفعل ذهبت هُدى ومعها مدحت وسوزان في زيارة للمدرسة واستقبلتهما سهير وعزت وأشاعوا في المدرسة عن وجود زيارة قادمة من أوروبا للتفتيش على المدرسة ودخل مدحت إلى مكتب أبيه وقال لهُدى

-أتتركين المكتب كما كان.

وجلسوا جميعًا وقال مدحت

-والمدرسة تكسب كمشروع اقتصادي.

قال عزت

-هي حتى الآن تُغطي مصاريفها, لكن إن شاء الله السنة القادمة ستُحقق أرباحًا.

فقال مدحت

-هذه هي الرأسمالية الوطنية التي يقولون عنها.

ولم تُعلق سوزان على شيء سوى أن مدحت قال لها)إن هذا كان بيته وبيت عائلته فيما سبق(

ثم قال مدحت لهُدى

-أُريد زيارة الشركة.

فذهبت به هُدى وقابل المُهندس نبيل الذي كان يعرفه عندما كان في ألمانيا ليدرس المشروع وسأل نبيل نفس السؤال فقال له نبيل بنفس الإجابة تقريبًا وهو متوقع للشركة أن تحقق مكسبًا العام القادم وأطلعه على خطة توسيع الاتصالات والحصول على زبائن جديدة.

ثم جلس مع هُدى بمفرده هو وسوزان وقال لها

-ما حكايتك؟

قالت له هُدى مُتوقعة

-أظن ستقول لي أتزوج؟

أجابها بمنطقية

-طبعًا يا حبيبتي,العمر يمر بكِ وأنا ومُنير الحمدلله تزوجنا ونُريد أن نفرح بكِ ونفرح فيكِ.

هزت هُدى رأسها وقالت

-لم ألتقي حتى الآن بالشخص المُناسب,لست ضد مبدأ الزواج ولكن..

قاطعها أخوها

-ستقولين الحُب,بالفعل الحب من المُمكن أن يأتي بعد الزواج,المُعاملة المُحترمة ومُشاركة الحياة تتحول مع الوقت وتصبح أقوى من الحب,كثيرون من أحبوا بعض قبل الزواج وبعد زواجهم لم ينجحوا.

قالت شقيقته له

-إنت تذكرني بكلام ماما يا أبيه.

كانت سوزان تفهم كل الكلام ولكن لم تشأ التدخُل في موضوع لم تدع للتدخل فيه فسألتها هُدى

-أتعرفين يا سوزان ما الذي يتحدث فيه أخي؟

قالت سوزان مُدافعة عن مبدئها

-لا تنصتي لكلام أحد,وتزوجي وقت ما تُحبين,بالشخص الذي تُحبيه.

قال لها مدحت مغيرًا دفة الحديث

-أُريد الاستماع منك عن أحوالكم.

قالت هُدى

-رغم تغيُر الأمور,وإننا لسنا كسابق ما كُنا,لكن الأحوال تسير ولقد قُمنا بتكييف أنفُسنا على الأوضاع الجديدة,ومشروع المدرسة والشركة الجديدة إن شاء الله يُصبح لهما مُستقبلًا,مُنير يتقدم في عمله باستمرار ,نادية زوجة وأم جيدة,ماما تشعُر أن هناك شيئًا تفتقدُه,و هي بحالة جيدة بوجودك.

قال لها موضحًا

-تعلمين العلاقة القوية بين بابا وماما وطبعًا كلاهُما يفتقد الآخر ولكن ربما ربما لإنه يعمل و..

تدخلت سوزان وقالت

-أُحب والدك جدًا,هو كالأمير.

قال مدحت هازًا رأسه

-هُم يقولون عليه في الفندق الذي يُقيم فيه هذا.

قالت هُدى مُتسائلة

-ألا يفكر أن يأتي لزيارة على الأقل؟

أجابها مدحت

-يقول إذا نزل مصر لن يستطيع أن يتركها مرةً أُخرى,ودائمًا يُردد قول مكرم باشا عبيد)إن مصر ليس وطنًا نعيش فيه بل وطنًا يعيش فينا.(

****

الفصل التاسع والخمسون اجتماع الوداع

كان مدحت وسوزان سيعودان في الفجر إلى ألمانيا وجلسوا جميعًا في صالون شقة المنيل.

وقال مدحت

-أنا أشكركم كثيرًا على الحفاوة التي استقبلتونا بها وكانت بالنسبة لي أيام سعيدة وذكريات جميلة.

وقالت زوجته

-أنا سعيدة للغاية بهذه الزيارة وأي شخص أهلًا وسهلًا به في ألمانيا.

وفجأة غيّر مُنير الموضوع وقال لمدحت

-أُريد منك أن تخبرني برأيك بأحوال مصر التي رأيتُها بعينيك وخاصةً وأنت في بلد مُتقدمة كألمانيا الغربية ولك مُدة ولم تحضر لمصر؟

ضحك مدحت وقال

-هذا سؤال صعب ولكن سوف أُحاول الإجابة عليه.

ثم واصل

-الناس روحها المعنوية مُرتفعة وكإنها تنتظر قادم أفضل والطعام هنا ألذ وأروع من هناك,قُمت بزيارة السد العالي وهو مشروع هائل مُفيد جدًا لمصر في مجالات كثيرة والناس هُناك تعمل بهمة عالية,والخُطة الخمسية للصناعة معقولة رغم بعض التحفظات لكن عدم وجود عملة صعبة ودخول مصر في حرب اليمن مُشكلة حقيقية.

فقال محمود مُهونًا

-قوات بسيطة التي ذهبت لليمن.

فقال مدحت مُعارضًا

-لا يا عمي,هذا مصير بلد,وحرب استنزاف ويعلم الله سُبحانه وتعالى متى تنتهي.

قالت سُعاد مُستنكرة

-وهل هذا معقول؟!ولماذا نُحارب في اليمن؟!

فقال مدحت

-ظن الرئيس أن المملكة العربية السُعودية هي السبب في فك الوحدة بيننا وبين سوريا,فأراد أن يرُد ذلك في اليمن التي هي الفناء الخلفي للمملكة.

قالت سُعاد بضيق

-لا ولستُ أُريد فهم شيء.

أردف مدحت

-سوف تنعكس هذه الظروف على الجبهة الداخلية في المواصلات والسكن والصحة والتعليم وخلافه.

فقال محمود

-ولكن الاتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية سيُساعدونا.

فقال مدحت

-نحن حالُنا الاقتصادي أفضل منهم,هُم متقدمون علميا لكن مُساعدتُهم سوف تكون مُحددة جدًا.

قال مُنير

-نتعامل معًا بنظام المُقايضة,بضائع ببضائع.

قالت هُدى

-سمعتهم يقولون عنا إننا أصدقاء فقط.

فقال مُنير

-فعلًا الرئيس دائمًا يقول نحن أصدقاء

فقال مدحت

-وهُم يقولون أن الصداقة تختلفُ عن التبعية,وأن للصداقة حدود.

قالت ليلى راغبة في تغيير الموضوع

-ومالنا ومال هذا الصخب,نُريد الجلوس مع محت قليلًا قبل ما يسافر.

ودخلت سُهير فنادية وعزت وقد بدا عليهم الإرهاق والتعب فقامتا هُدى وسوزان ليُحضرا لهما الطعام وقال مدحت لمحمد

-ماذا ترغب أن تكون عندما تكبر؟

فرد محمد بخبث

-حذر فزر؟

قال مدحت

-ضابط جيش؟

-لا.

قال مدحت

-طبيب إذاً.

فقالت نادية بهدوء

-محمد يُريد أن يكون مهندس كحضرتك,وبالتحديد مُهندس كهرباء من كثرة ما حدثته طنط سُعاد عنك,أصبح يُريد أن يكون مثلك ويُشجعه مُنير على ذلك.

فقال مدحت

-يجب إذاً أن تُحب الرياضة والفيزياء واللغة الإنجليزية لأن الهندسة في مصر تُدرس بالإنجليزية.

فقالت نادية

-هذا الأمر علي,أنا الذي أُذاكر له.

قالت سُعاد

-نادية-رغم مشاغلها- الكثيرة لكن تُذاكر لمحمد.

قال محمود

-أنا أرى أن نترك مدحت وسوزان يرتاحان ويجهزان حقائبهما.

فقال مدحت

-أنا نزلت مع مُنير خان الخليلي وأحضرت لكل واحدة هدية ونظر إلى سوزان التي أحضرت حقيبة وأخرجت لليلى وسهير ونادية وهُدى هدايا,كُن هُدى ونادية هديتهن علب بها ذهب,ثم أعطت لسُعاد علبة ذهبية بها مُصحف,وقام مدحت بإعطاء محمود علبة بها صد ف مليئة بالسيجار الفاخر وأعطى لمُنير علبة بها طقم أقلام باركر أما محمد فأعطاه لعبة قطار كهربائي يعمل بالبطارية حتى الخدم كان لهن هدايا, وأعطى نقودًا لسهير وقال لها

-أعطيهم للدادات ولفراشي المدرسة و لسُعاد هذا شيك من بابا للكِ يا أمي بمصروفات السنة القادمة.

كان الوداع صعبًا على جميع الأطراف وقالت سُعاد

-من يدري هل سأراك مرةً أُخرى؟ومتى؟

فقال لها مدحت بحنان

-بالتأكيد سأراكِ,أراكِ على خير.

أما سوزان فقالت

-أنا أُحبكم كلكم لكن أُحبك أكثر يا ماما لإنك أم مدحت زوجة عبدالقادر.

****

الفصل الستون ثُريا ومُنير

قابل مُنير ثُريا وأخبرها عن زيارة أخيه وروى لها بعض الأحاديث التي دارت وقالت ثُريا

-هذه معلومات مُفيدة جدًا رغم إنها معروفة

سألها مُنير

-هل ستسقُط مصر في حرب طويلة في اليمن؟

قالت ثُريا باقتضاب

-احتمال كبير.

قال مُنير

-الجميع يظن إنها مُهمة سريعة

قالت له موضحة

-توجد قوة مُعادية تُريد استنزاف مصر وجيش مصر بالتحديد,وسوف تدور هناك حرب أشبه بحرب عصابات وهي حروب مُختلفة عن حروب الجيوش التقليدية,كما أن طبيعة اليمن الجُغرافية مُكونة من جبال وأراضي غيرُ مُمهدة لا تصلح للمدرعات.

قال مُنير بأسف

-إذاً ما قاله أخي صحيح,سيتم استنزاف ثرواتنا في هذه الحرب,والتي لن يقبل أحد بأن تخرج مصر منها دون تحقيق أهداف ملموسة من وجهة نظرهم.

قال له ثُريا مُبشرة

-ستأتي لك ترقية قريبًا وربما تُصبح عضو مجلس إدارة.

قال متبسمًا

-ربنا يبشرك بكل خير ولكن اسمحي لي أسألك سؤالًا؟

فقالت على طريقة راقية إبراهيم مع محمد عبدالوهاب

"-أوي".

قال بتساؤل حذر

-أنتِ تعرفين معلومات أكثر من أن تكوني صحفية.

قالت مُريحة إياه

-اطمئن,أنا صحفية وسياسية وأشياء كثيرة أُخرى,ولكنني وطنية جدًا.

قال لها

-سؤال آخر أُريد أن أسأله لكِ.

قالت مبتسمة

-أهناك يا تُرى شخص يهمك مشغول به قُلبك؟

فضحك مُنير وقال

-يكاد يكون كذلك.

سألته

-الزواج؟

قال بدهشة

-أتعجب منكِ أنتِ وشقيقتي هُدى.

قالت له ببساطة هازة كتفيها

-ربما نكون مرتبطتين بعملنا.

قال هازًا رأسه

-لا يُمكن أن تكون هُناك أسرار لا أعلمُها.

قالت بهدوء بسيط

-القصة إنه لم يظهر الشخص المُناسب والأيام تمر بسرعة ولستُ أُريد الارتباط بشخص يُقيد حُريتي.

****

الفصل الحادي والستون اتصالات تليفونية

هُدى:ألو..نعم يا عزت.

عزت:كيف حالك يا هُدى؟مُنذ مُدة ولم تأتِ للمدرسة.

هُدى مُعتذرة:معذرة,مشغولة في الشركة قليلًا هذه الأيام,إن شاء الله سوف أحضر الأُسبوع القادم.

عزت:هُناك موضوع هام أُريد التحدث إليكِ فيه.

هُدى:أعطيني فكرة عنه.

عزت:أنتِ تعلمين أن أبناءنا في الصف السادس الابتدائي أي شهادة وسينهوا العام ويذهبون إلى مدرسة أُخرى,كنت أُفكر في إنشاء فصل إعدادي العام القادم,أو فصول إعدادية,أي نقوم بتوسيع نشاطُنا.

قالت بهدوء:أنا كنت فكرت في هذا الموضوع.

عزت:سهير مُعترضة لعدة أسباب,أولًا لإنه لا يوجد مال فائض في المدرسة,ثانيًا نُريد مكان ومُدرسين لأن مُدرّس السنة الابتدائية غير مُدرّس السنة الإعدادية,وخوفها الأكبر أن المشروع ولم يُكمل إنها تخشى أن توضع المدرسة تحت الحراسة أو تؤمم.

قالت هُدى باقتضاب

-فاهمة.

قال عزت موضحًا

-أخبرتها إنه لا خوف من هذا الأمر,مدارس الحكومة أصبح الفصل بها فيه أربعون طالبًا بعد أن كان عشرون وخمسة وعشرون,وهم بحاجة إلى مُساعدة,ثم أن مشروعُنا مازال صغيرًا.

قالت هُدى

-نحن نقوم بعمل الشيء الصحيح وما يُريده ربنا"سبحانه وتعالى"سيكون,بالنسبة للأموال لا تحمل همًا,أبيه مدحت ترك معي مبلغًا ليس سيئًا وبالنسبة للمكان,سطح الفيلا يكون دورًا جديدًا للصف الإعدادي هذا العام,والصف الثانوي– إن شاء الله-في أقرب فُرصة,ثم أن يجب أن يكون هذا اتجاهُنا وتفكيرُنا.

قال عزت

-نحن بانتظارك.

قالت له

-أُنهي العمل الذي في يدي وأمر عليكما في المنزل إن شاء الله.

****

الفصل الثاني والستون اجتماع المقهى

قال محمود مُتعجبًا

-من يُصدق إننا نُحارب في اليمن منذ أربع سنوات ولا تظهر نهاية حتى الآن!

قال مصطفى بضيق

-ونحن هُنا في مصر تزدادُ الخدمات سوءً,أتعلم لقد قدّمت على الهاتف مُنذُ أربع سنوات وكلما سألت قالوا لي انتظر قليلًا .

وعلى درب مُصطفى سار عُمر فقال

-وكل مؤسسة وشركة وهيئة حُكومية يتم تعيين عليها لواءً و عميدًا ويقولون لنا هذا للضبط والربط حتى النوادي الرياضية وكُرة القدم.

قال عبداللطيف بعد صمت

-حرب اليمن توقُعاتي فيها اننا لن نخرُج من هُناك إلا مُنتصرين بإذن الله,لقد حررنا شعبًا بأكمله,وقُمنا بتغيير حياته من العصور الوسطى إلى العصر الحديث,ثم إنه ليس الجيش فقط من ذهب لليمن,بل أطباء ومُدرّسون ومُهندسون,أي هناك حركة تنوير كبرى تُجرى.

قال محمود وكإنه يعترض على كلام عبداللطيف

-جاء لنا خطاب من مدحت– نقلًا عن جريدة أجنبية كاتبة مانشتًا ناصر ينزف في اليمن وأكدت أن الغطاء الذهبي للجنيه المصري الذي كان مصدر قوته أصبح يتآكل وأن الاقتصاد المصري في حالة يُرثى لها.

قال عبداللطيف غيرُ مصدقًا

-هؤلاء كاذبون.

قال عُمر منتقدًا

-ألا ترى الطوابير في الجمعيات التعاونية,كل شيء أصبح بطابور!

قال محمود

-أمس بعثنا خادمتين من أجل أن تقفا في الطابور كي تأتي كل واحدة منهما بصابونة,لأنه ممنوع أن توزع البضائع إلا كل شخص بمفرده فقط.

وواصل مصطفى ضيقه فقال

-جودة السلعة لم تعُد كالأول وأصبحنا نعتمد على الاستيراد,حتى اللحوم والدجاج والسماك.

قال عبداللطيف

-فترة وستنتهي,هُناك مشاريع كثيرة تُنجز,وبالتأكيد ناتجها سيُفيد البلد,وستحدُث طفرة كبيرة,نحن نُصنّع سيارات الآن,وأسلحة ومُختلف الصناعات نقوم بها.

زفر محمود وقال

-البركة في الشباب,فزمانُنا انتهى.

وأيده مصطفى

-على رأيك,أسنأخُذ زمننا وزمن غيرُنا.

وقال عُمر بمزيد من الخُبث والمرح

-يا تُرى نحن من أخذُنا زمنُنا أم زمنُنا هو من أخذُنا.

وقال عبداللطيف

-الدومينو الأمريكي والمشروبات على من يُهزم.

****

الفصل الثالث والستون رسالة من ألمانيا

"عزيزي محمد نجيب مُنير,تحية طيبة وبعد

سررت جدًا بطلبك لمجلة العلم الحديث باللغة الإنجليزية وهي مُرفقة مع هذه الرسالة,وسبب سروري اهتمامك بالعلم الذي سيحدث به طفرات سريعة ستُغير الحياة,وأقول لك أن هُناك فرق بين العلم والتكنولوجيا,فالعلم اكتشاف والتكنولوجيا تطبيق العلم, وتوجد صلة وثيقة بين التكنولوجيا والهندسة والمُهندسين,ومن يربح أي معركة الآن يربحها في المعمل أولًا,سلامي لأبيك مُنير أخي ولوالدتك الجميلة بنت خالتي وسلام سوزان وجد وسلام كبير إلى أخيك الصغير جمال.

عمك مدحت

ملحوظة-:سوف أُرسل لك هذه المجلة كل شهر".

****

الفصل الرابع والستون مُشكلة ليلى

جلست ليلى مع سُعاد ومحمود وقالت

-أُدير مصروف المنزل ولكن لست أدري كيف أقوم بتدبيره,وكل شهر أطلب من هُدى استكماله وأنا في أشدُ الخجل من هذا الأمر.

قالت سُعاد

-وما بيدك أن تفعليه؟الأشياء في غلاء كل يوم والحمدلله عبدالقادر يُرسل لي ما يكفي ويزيد فلا تقلقي.

قال محمود

-أقول لليلى أن نسكن في شقة بمفردنا وتكون قريبة منكِ لأجل المصروفات,والمعاش يكفينا.

قالت سُعاد

-لا تقُل هذا,وجودكما معي يُهون عليّ غياب عبدالقادر ومدحت.

قال محمود

-ربنا يجيب عبدالقادر بالسلامة وعندما يأتي,اسمحي لنا بالذهاب.

قالت سُعاد بأسف

-لا تظهر بوادر,غيابه طال.

قالت ليلى

-تمر الأيام,وربنا يُغير الأحوال للأحسن.

هزت سُعاد رأسها وقالت

-من يُصدّق إنه هُناك مُنذُ عشر سنوات,وحتى مدحت,ثلاث سنوات ولم يأتِ.

قال محمود مُهدئًا أسفها

-هما مشغولان وعبدالقادر يخشى المجيء بالطبع.

قالت سُعاد

-من يُصدّق أن سوزان تُنجب ابنتها سوزي ولا أراها حتى الآن.

هوّنت عليها ليلى

-مسير الحي يتلاقى,طول العمر يبلُغ الأمل.

قالت سُعاد هازة رأسها

-لست أدري لماذا لا تُريد هُدى الزواج,كلما يأتي شخص ترفض,الطبيب الذي جاء الأُسبوع الماضي يُرفض!!

قال محمود بهدوء

-هو يُريد أخذُها ويُسافر إلى المملكة العربية السعودية وهُدى لديها عمل هنا ولا تستطيع أن تترُكه.

قالت ليلى

-مصر زمان,كان يأتي لها الناس من كل مكان,الآن أصبح أهلُها يُسافرون بالخارج من أجل الرزق.

قال محمود

-في السفر فوائد كثيرة مثلما يقولون.

قالت سُعاد

-يا ليلى خُذي المال الذي تريدينه للمنزل مُنذً الآن,ماذا سأفعل بالمال؟

نهض محمود وقال

-سأذهب للقهوة,ألا تُريدان شيئًا؟

أجابته زوجته

-وأنت عائد اشتري خيارًا وفاكهة وعيش وجبنة.

قال موضحًا

-أخشى التأخير,أرسلي شخصًا آخر,سلام عليكم

****

الفصل الخامس والستون أصدقاء المقهى

سأل محمود صديقه عبداللطيف

-مالك يا عبداللطيف؟شكلك متضايق؟

بهم قال عبداللطيف

-نعم متضايق من أمريكا.

ضحك محمود وسأله

-وماذا فعلت أمريكا؟

قال عبداللطيف بضيق

-ألا تقرأ جرائد؟,إتدُك فيتنام كل يوم,هُناك حرب عصابات يشُنها الفيتناميون فتقوم أمريكا بضربهم بالطيران ضرب إبادة,تُمحي المكان بالكامل,يموت أطفال ونساء وشيوخ,ولا يُهمهم,حرب قذرة.

تساءل محمود

-وما السبب الذي يجعل أمريكا تذهب لتُحارب في آسيا بهذه الطريقة؟

أجابه مصطفى هذه المرة

-أمريكا تُحارب الشيوعية في كل مكان,وهي الدولة العظمى الغربية في العالم,ولديهم قناعة بأن من يُحارب خارج أفضل من أن تمتد الحرب لعُقر داره,لديهم حساسية من أيام ضرب أسطولهم في بيرل هاربر,لقد ضربتها اليابان في عُقر دارها وأغرقت الأسطول الأمريكي وهو في الميناء,وكانت هذه الكارثة البحرية هي التي أجبرت أمريكا على الدخول في الحرب الأخيرة.

قال عُمر

-أنا أعرف بلدًا تُحارب بالخارج ولكن دون أن ينوي طرفًا مُحاربتها وهذه البلد ليست بلدًا من البلاد العظمى.

قال عبداللطيف مُعترضًا

-تحتاج لدرس في الاستراتيجية,نحن دولة إقليمية كُبرى,لنا تأثير في حولُنا من الدول الُمجاورة,اليمن تطُل على مدخل البحر الأحمر, وهو جزء من الأمن القومي المصري.

قال محمود لعُمر

-ألا تُنصت لأم كلثوم وهي تقول"أنا إن قدّر الإله مماتي,لا ترى الشرق يرفعُ الرأس بعدي".

قال عبداللطيف

-نحن نُحارب بشرف,وللعروبة.

قال مصطفى

"-أردب ما هو لك لا تُحضّر كيله تتعفر هدومك وتتعب في شيلة," بلد تأكل بالعافية ونقوم بتوزيع ذهبًا على قبائل اليمن!!

قال عبداللطيف

-أتُصدق هذا الهُراء؟

قال عُمر ساخرًا

-سنذهب أيضًا لنُدافع عن سوريا!

قال محمود

-وهل هذا معقول؟,!كيف؟!

قال عبداللطيف

-هذه حركات تكتيكية من أجل تخويف إسرائيل.

ونظر إلى محمود وأكمل

-يقولون أن إسرائيل قامت بوضع حشودًا عسكرية على الحدود السورية,وتُريد شن حرب على سوريا لأنها تسمح بمرور فلسطنيين فدائيين يقومون بعمليات فدائية في إسرائيل,أي حرب وقائية كحرب أمريكا في فيتنام,ونحن وسوريا بيننا اتفاقية دفاع مُشترك.

قال محمود

-ربنا يستر,والمشروبات عليّ أنا هذه الليلة.

****

الفصل السادس والستون ليلى

ليلى بتعجب

-لماذا عُدت من القهوة مبكرًا يا محمود؟!

محمود يُجيبُها موضحًا

-هُناك مسرحية فكاهية في التلفزيون اليوم ستبدأ في تمام التاسعة والنصف,وأنا أُريد أن أضحك,اجمعي سُعاد وهُدى و نادية أيضًا كي نُشاهدُها معًا حتى تكون المُشاهدة أفضل.

قال محمد بوجه مشرق

-وأنا يا جدي أول واحد.

قالت ليلى لمحمد

-حسنًا,اذهب يا محمد قُل لماما و اطلب منها أن تأتي,فهذه الليلة ليلة جمعة ولا يوجد شيء يُعطلُها.

تساءل محمود

-أين مُنير؟

أجابته زوجته

-مُنير أحضر نادية وقال إنه سيذهب لمقابلة مجموعة أصدقائه مثل كل أسبوع.

وجاءت هدى ومعها سهير وقالت ليلى

-ابقِ معنا الليلة يا سهير بعد أن تستأذني زوجك.

هزت سهير رأسها وقالت

-هو عزت بالفعل قادم الآن,مسرحية من هي؟

أجابها محمود

-مسرحية لفؤاد المُهندس.

قالت ليلى مُنصرفة

-سآتي بالعشاء والشاي.

وقالت هُدى ذاهبة

-وأنا سآتي باللب والفول السوداني.

****

الفصل السابع والستون النكسة

في المقهى قال محمود

-الأوضاع أصبحت ساخنة للغاية وقوات الأمم المُتحدة تنسحب من خط الحدود بُناءً على طلبُنا,والاستقرار الذي كان موجودًا ذهب مع الريح,وسيصبح وجهُنا في وجه إسرائيل مُباشرةً.

قال مصطفى

-يا ليت الأمر اقتصر على ذلك,قواتُ الأمم المُتحدة لو لم تنسحب من شرم الشيخ,تُصبح الملاحة في ميناء إيلات الإسرائيلي مُعطلة,وهذا لن تسمح به إسرائيل أبدًا.

قال عُمر بتعجب

-معقول ندخل حربًا مع إسرائيل وجزء كبير من جيشُنا في اليمن!

سأل محمود عبداللطيف مُلتفتًا إليه

-مالك يا عبداللطيف؟لماذا تصمت؟

قال عبداللطيف بعد برهة صمت

-الحربُ قادمة قادمة,بعد كل ما حدث,والضربة الأولى يجبُ أن تقوم بها إسرائيل في الوقت الذي ستُحدده,لأن كل الدول حذرتنا من أن نبدأُ الحرب,وفي هذه الحالة ستُعاملنا مُعاملة دولة مُعتدية.

تساءل محمود

-وما الفارق بين من يضرب من أولًا؟

بلهجة خبير أجابه عبداللطيف

-الفرق كبير,خاصةً لو الضربة جاءت ونحن لسنا مُستعدين لها,الضربة الأولى ستكون بالطيران,والذي سوف يقوم بضرب كل مطاراتُنا, وطائراتُنا إذا كانت على الأرض ستُضرب وهي واقفة,وبالطبع سيتم ضرب ممرات الطائرات كي يتم منع الطائرات السليمة من التحليق,وبعدما يقوم بشل وتدمير سلاحُنا الجوي,تتحول المعركة لمعركة مُدرعات في الصحراء,ومن يمتلك الطائرات هو من يربح,والفكراللى مطزوح- حسب مقال محمد حسنين هيكل-هو أن نأخذ الضربة الأولى ونقوم بامتصاصِها واستيعابُها,ثم نبدأ في الرد.

سأله محمود بعد هذه المعلومات الوافية

-ولماذا يعتريك القلق إذاً؟

قال عبداللطيف

-الضربة الأولى ربما تكون ضربة إجهاض,لاسيما إذ لم نكُن مُستعدين لها تكتيكيًا.

تساءل مصطفى ثم أجاب

-ألا يوجد ردارات تُظهر وجود طائرات قادمة,وفي هذه الحالة نستطيع الرد عليهم.

أوضح عبداللطيف

-ربما حدث تشويش على الرادار إذا علموا بموجة بثُّه,ومن المُمكن أن يقلعوا على ارتفاع مُنخفض خارج دائرة رصد الرادار,لست مرتاحًا لقصة الضربة الأولى هذه,أشبه بأن تقول لشخص أعطني لكمة في فكي بكل قوتك ثم أرُدُ عليك ولنفترض أن اللكمة جاءت قوية وفقدت الوعي على إثرِها,وقبل أن تستعيد وعيك كان الكف الثاني والثالث,أو كانت ضربة قاضية من البداية.

تساءل محمود

-على من المشروبات الليلة؟

قالوا في نفس واحد

-كل واحد يدفع لنفسه!!

****

قال محمد بسذاجة طُفولية

-يا رب تقوم الحرب طالما سنُلقي بإسرائيل في البحر خلال 48 ساعة وفلسطين تُرجع لنا.

قالت نادية لابنها

-الحرب ليست جيدة يا محمد,وهُناك ناس تموت وبيوت تُهدم,وأشياء كثيرة أُخرى ليست جيدة إطلاقًا.

قالت سُعاد باقتضاب

-ربنا يستر.

قالت ليلى

-ولكن الرئيس مُطمئن بأننا سنكسر إسرائيل والإذاعة ليل ونهار تقوم بشحن الناس.

قال محمود

-قالوا أن الأسطول السادس الأمريكي إذا دخل الحرب سنقوم بضربه بطائرات التوبوليف القاذفة والتي نملُك منها سرب كامل.

سأل محمد أُمه

-لماذا أنتِ خائفة يا ماما؟ألم ننتصر على ثلاث دول في سنة,56وليست دولة واحدة فقط؟

أجابه أبوه هذه المرة

-يا محمد,لقد تغيرتُ الدُنيا كثيرًا عن الآن,لكن جيشُنا قوي ولديه أسلحة كثيرة,والمشير عبدالحكيم عامر قال للرئيس برقبتي يا ريس .

****

سألت ثُريا مُنير

-كيف الأحوال يا مُنير؟

فأجابها

- الروح المعنوية للناس مرتفعة ويُريدون الحرب الآن قبل الغد,الإذاعة والجرائد والأخبار قامت بشحن الناس وجعلتهم ينتظرون تحرير فلسطين بفارغ الصبر ووقوف سوريا والأردن معنا جعل موقفنا قوي جدًا حتى إنني لست أدري كيف ستجرؤ إسرائيل على مُحاربتنا؟!الأفضل لها أن تصمُت.

قالت له ثُريا

-الحرب قادمة قادمة,لن تصمُت إسرائيل على إغلاق خليج العقبة في وجهها,لاسيما أن بترول إيران يأتي لإسرائيل عن طريقه عبر ميناء إيلات.

قال مُنير بعدم رضا

-الشيء الذي لا أرتاح له أن الأمر جاء دون حسابات سابقة,سوريا ممكن أن تُهاجم– حسب كلام الروس - فنطالب برحيل قوات الأُمم المُتحدة ونقوم بحشد قوات الجيش في سيناء ونُفاجيء بموضوع خليج العقبة ويُصبح الأمر واقعًا.

قالت ثُريا وكإنها تُطمئنة

-ربما كل هذا محسوب ولا يوجد أي مُفاجأة.

عارضها مُنير قائلًا

-أشُكُ كثيرًا في هذا لثلاثة أسباب,الأول: كان يُمكننا الدفاع عن سوريا بإرسال قوات لهُناك,الثاني:إن جزءً كبير من الجيش في اليمن والسبب الثالث والأخير:أن أمريكا والغرب لن يسمحوا أبدًا بهزيمة إسرائيل بعد كل ما فعلوه, وروسيا صديقة فقط,أي أن وقوفها معنا محدود.

قالت ثُريا

-كل هذه الأسباب ليست غائبة عن القيادة السياسية,المُهم الشعب بأكمله وراء قيادته,والحمدلله الروح المعنوية مرتفعة.

خاطب مدحت عائلته من ألمانيا الغربية وقال

"بعد التحيات,لست أدري ما يحدُث عندكم,نحن متوترون للغاية,نُفكر أن نأتي لكم أنا وبابا,اعتنوا بأنفُسكُم,ربنا يستر عليكم ويحفظ البلد,استعينوا بالله.....مدحت".

رد مُنير بتلغراف لمدحت يقول فيه

"الأمور بخير والبلد في أحسن حال,ولا يوجد داعي للقلق.....مُنير."

مذكرات عزت

كان عزت منذ أن أصبح ناظرًا لمدرسة الروضة يكتب ما تم في اليوم وما يُريد أن يعمله في اليوم الذي يليه وخطرت له فكرة تسجيل أيام الحرب في آخر كل يوم..

وكما كانت تأتي الأخبار والتي ربما يكون بعضها غير دقيق أو غير سليم أو غير صحيح بدأ في تسجيل ما يرد إليه

5يونيو1967

-أسقطنا عدد كبير من الطائرات حسب بيانات القيادتين السياسية والعسكرية.

-لا يوجد أي ذكر للمعارك البرية على الجبهة في سيناء

-استمعت إلى إذاعتي لندن ومونت كارلو ويقولان أخبار لا أُريد تصديقها ومنها على سبيل المثال الهجوم الإسرائيلي على جميع الطائرات في وقت واحد,وكانت الطائرات المصرية على الأرض,وأن سلاح الطيران المصري تكبد خسائر فادحة وخرج من المعركة مُبكرًا,والجيش في سيناء لن يصمد دون دعم جوي) بدون طيران,(وأتمنى أن يكون كل ذلك كذبًا أو مُبالغ فيه.

-لم تدوِ صافرات الإنذار بوقوع غارة في القاهرة إلا مرة واحدة صباحًا ولمُدة ليست طويلة.

-الجميع ينتظر دخول قواتُنا لتحرير فلسطين.

-ذهبت للدفاع المدني للتطوع ولكنهم قالوا أن لديهم ما يزيد عن الحاجة وسيتصلون بي إذا احتاجوا أي شيء.

-نادية وهُدى وسهير تطوعن في الهلال الأحمر.

-الشوارع هادئة تمامًا والكل في المنازل يترقب.

6يونيو1967

-مازالت الأوضاع على ما هي عليه ولكن الطيران الإسرائيلي دمّر مطارات الأردن وسوريا وأخرج سلاحهما الجويين من المعركة وحسب بيانات الإذاعات الخارجية استولى الجيش الإسرائيلي على الممرات الهامة بسيناء ولكن الإذاعة لدينا تقول إننا نخوض معارك ضارية في جميع الأماكن بسيناء ولم تحدث أي غارات على المدن.

7يونيو1967

-أعلنت القيادة انسحابنا إلى خط الدفاع الثاني انسحابًا تكتيكيًا لإعادة تنظيم القوات.

-بيانات الإذاعات الخارجية تُعلن وصول إسرائيل إلى شط القناة والجيش المصري انسحب بلا خطة انسحاب وقد تركوا كميات ضخمة من الأسلحة والذخائر.

-إسرائيل تُقاتل في الأردن والمعارك في صالحُها.

-أصبح الناس في حيرة ولكن مازلوا يتمسكون بالأمل.

8يونيو1967

-حاولت القوات المصرية عمل هجوم مضاد بواسطة الفرقة الرابعة المدرعة أفضل فرق الجيش ولكن النتائج كانت صادمة وانسحبت إلى الضفة الغربية للقناة مُتكبدة خسائر فادحة.

-تُحارب إسرائيل في الجبهة السورية لاحتلال مرتفعات الجولان الاستراتيجية والتي تكشف إسرائيل بالكامل وتحقق تقدمًا واستولت على الضفة الغربية لنهر الأردن والقدس.

9يونيو1967

-ذهبنا إلى صلاة الجمعة وكان الدعاء بالنصر وكشف الغُمة

-الشائعات كثيرة وقصص مُخيفة تُروى على سبيل المثال أن إسرائيل كان يمكنُها دخول القاهرة لو أرادت ولكنها خشيت من الكثافة السكانية وتوقفت عند الضفة الغربية لقناة السويس.

-القوات المصرية تعود سيرًا على الأقدام وبدون أي أسلحة

-القوات في الضفة الغربية ضعيفة وغير مُسلحة جيدًا

-أكدت الإذاعة إننا انسحبنا للضفة الغربية للقناة

-الرئيس سُيلقي خطابًا للأمة.

10يونيو1967

التقت العائلة بكامل أفرادُها أمام التلفزيون في انتظار خطاب الرئيس وقد خلت الشوارعُ تقريبًا من المارة وظهر الرئيس عبدالناصر وفي عينيه حزن وانكسار لم يُرَ عليه من قبل,وأكد إنه يتحمل مسئولية الهزيمة كاملة بمفرده وأنه يتنحى ليُصبح مواطنًا عاديًا كأيٍ من أفراد الشعب وكان زكريا مُحيي الدين برئاسة الجمهورية وما أن انتهى الرئيس من خطابه حتى سُمع جلبة في الشوارع ورغم الظلام فقد نزلت جماهير كثيرة للتوجه لبيت الرئيس لإقناعه بالتراجع عن قرار التنحي وقد نزل معهم إلى الشارع مُنير ونادية وعزت وهُدى وسهير والتقى الناس في كل مكان حتى في المحافظات ومنها حضر الكثيرون بالمواصلات إلى العاصمة رافضين التنحي,كانت لحظة فارقة وتم ذلك لا شعوريًا وبدون تفكير,كان تصرفًا عفويًا سليمًا100% وقد كان لهم ما أرادوا وتراجع الرئيس عن التنحي وعاد للرئاسة.

****

الفص الثامن والستون أحاديث

جلس الأصدقاء بالمقهى صامتين كأن على رءوسهم الطير قبل أن يوجه محمود كلامه إلى عبداللطيف ويقول له

-أنت رجل عسكري وربما تفهم فيما حدث أكثر منا,أتعشم أن تُخبرنا بسبب الانهيار الذي حدث لجيشُنا مرة واحدة هكذا؟!

تدخل مصطفى ليقول لعبداللطيف

-وأتمنى ألا تُكرر كلام الصحفي الكبير الذي قال نحن انتظرنا أن تأتي الطائرات من الشرق ولكنها أتت من الغرب لأن هذا كذب ولم يحدُث.

وبضيق وحسرة قال عُمر

-ويقولون أن السفينة الأمريكية التي أغرقتها إسرائيل كانت تقوم بالتشويش على رادارتِنا,وهذا أيضًا كذب.

قال عبداللطيف موضحًا

-ما حدث أن الرئيس أبلغ المشير أن الهجوم سيكون يوم الاثنين الخامس من يونيو وسيبدأ بضرب المطارات المصرية ,وعلى الرغم من هذا,وأصبح الأمر مُفاجئًا,وبالفعل ضُربت كل المطارات الساعة الثامنة صباحًا,وكانت الخسائر أكبر من أن يتصورُها أحد,أفقدت الضربة القيادة التوزان وحُسن التدبير,وتحتاج حروب الصحراء إلى غطاء جوي)طيران(وإلا تعرضت القوات للهلاك,والحقيقة إنه يوجد دائمًا خطة انسحاب,قوات تحمي وقوات أخرى تقوم بالانسحاب خلفُها وهكذا,والممرات في سيناء خطوط دفاع طبيعية بين جبال ضيقة وسهل الدفاع عنها,ومن الممكن تلغيمُها فلا يستطيع العدو التقدم,ولكن القيادة تسرعت وأصدرت أوامرها للجيش بالانسحاب العشوائي الفردي,وترك السلاح دون حتى تدميره,واستُشهد الآلآف في هذا الانسحاب,ولو صمدوا أو قاتلوا لما وصلت الخسائر إلى هذا الحد.

سأله محمود

-وما الوضع الآن في رأيك؟

تدخل مصطفى ليُجيب هذه المرة

-الوضع في أسوأُ ما يكون,لكن الدول العربية التي كنا دائمًا في خلاف معها,الآن واقفة معنا وتُعوضنا عن دخل قناة السويس.

وأوضح عُمر

-الجزائر مُمثلة في رئيسها بومدين قام بزيارة الاتحاد السوفيتي وقال لهم)أي سلاح تطلبه مصر سوف نقوم بدفع ثمنه .

هز عبداللطيف رأسه وقال

-دول كثيرة حدث لها هذا وأكثر ولكن وقوف الشعوب ينصُرها في الآخر, ومعركة رأس العش أوقفت مدرعات إسرائيل بفصيلة مشاة ومنعتها من احتلال مدينة بورفؤاد وضربة سلاح الطيران أيام14 و 15يوليو في عمق سيناء أحدثت خسائر كبيرة للعدو, كل هذا يدعونا إلى الأمل بإذن الله والآن قيادات الجيش كلها قيادات عسكرية,والتدريب والتسليح على قدمٍ وساق,وكل يوم في تحسن واضح.

قال مصطفى

-ولكن هُناك خلافًا كبيرًا بين الرئيس والمُشير الذي يُريد العودة لقيادة الجيش ويساعده رجاله,وكأن شيئًا لم يحدُث.

قال عُمر

-المصائب لا تأتي فُرادى كما يقولون.

بأسى قال محمود

-ما حزين عليه كسيناء هي القدس,ولا أعتقد إنني سأعيش حتى أراها عادت مرة أُخرى,من يصدق أن إسرائيل تهزم ثلاث دول عربية بمفردها,منهم مصر؟

قال صديقه مصطفى

-يا محمود ليست هزيمة,شيء أكبر من الهزيمة بكثير,حتى الآن الخسائر الحقيقة لم تُعرف أو تُعلن,والبعض يسميها نكسة,وهي وكسة وكارثة.

قال عُمر بحزن

-الناس في حالة ذهول,ولا يدرون ماذا يفعلون.

قال عبداللطيف في جلد

-لا فائدة من البُكاء على اللبن المسكوب,مصر قوية بشعبها ورجالها,وهي هزيمة معركة والحرب لم تنتهِ بعد.

قال محمود

-آعتقد إنه لا أحد يُريد لعب دومينو,طاولة أو أي لعبة أخرى,سأشرب قهوة سادة واطلبوا ما تُريدون.

****

الفصل التاسع و الستون نقاش بين منير ومنير

-ما الأخبار في المصنع عندك يا منير؟

أجابها مُنير الذي انتظر منها هذا السؤال

-المصنع يكاد يكون معطل تقريبًا,وفيه انقسام في الآراء,ناس تقول أن الرئيس هو السبب فيما حدث وإنه لم يكن هناك داعي للدخول في حرب,وآخرون يؤكدون أن حاشية الرئيس هي السبب وعلى رأسهم المشير,وتنوعت بعض الآراء فقال البعض إنه عقاب وقال بعض ثاني إن الديكتاتورية والانفراد بالرأي وعدم وجود حياة سياسية فاعلة هي السبب,وقال آخرون أن الروس هم الذين ورطونا في هذه الحرب وعارضهم ناس فقالوا أن أمريكا هي من فعلت هذا,تنوعت الآراء فقال البعض أن ما حدث إهمال يصل لحد الخيانة.

قالت ثُريا

-الرئيس يقوم بعمل مجهود كبير جدًا لبناء الجيش من جديد,وطالما لم يكسروا إرادتنا ويفرضوا علينا إرادتهم فنحن خسرنا جولة في معركة ولم نخسر الحرب.

****

الفصل السبعون العودة للمذكرات

أكتوبر 1967

-دارت معركة بحرية بين لنشات صواريخ مصرية ومدمرة إسرائيلية كبيرة اسمها إيلات وقد أغرقت اللنشات المدمرة وقُتل الكثيرون وجرح الكثير من العدو وقد طلبوا مُهلة لإخلاء جرحاهم, وهذا انتصار كبير رفع الروح المعنوية لنا جميعًا وللجيش بصفة خاصة.ولكن العدو رد بقصف مدفعي مركز على السويس ومحطة تكرير البترول وقد أصدرت القيادة تعليمات بتهجير سكان مدن القناة إلا من يحتاجه المجهود الحربي, بالفعل جاري تهجير سكان السويس والإسماعيلية وبورسعيد.

-أوضح الرئيس أن المرحلة التي تمرُ بها البلاد هي مرحلة صمود ثم تأتي مرحلة الردع فمرحلة التحرير.

****

الفصل الحادي والسبعون خطاب من هدى لأبيها

"أبي العزيز..اشتقت إليك كثيرًا ونفتقدك جميعًا, لا تقلق علينا فالأمور بخير والحياة اليومية تسير حتى إننا نذهب للسينما ولشراء ما نحتاج من وسط البلد,فالقاهرة تعيش وكإنه لا يوجد حرب والجميع يعمل حسب المُعتاد,والتجنيد يتم لخريجي الجامعات لأن الأسلحة أصبحت معقدة وتحتاجُ لمتعلمين,كما أن من يدخُل الجيش الآن لا يخرج إلا بعد إزالة آثار العدوان كما قال الرئيس,ولقد قامت بعض المظاهرات في الجامعات تُطالبُ بمحاسبة المسئولين عن النكسة ولكن لا صوت يعلو فوق صوت المعركة,أما بالنسبة للعمل فالأمور تسيرُ على ما يُرام والشركة لديها طلبات لا بأس بها,والحقيقة أن المهندس نبيل يعمل بكل إخلاص وكذلك المدرسة ,فعزت وسهير ونادية يقومون بمجهودٍ كبير وقد تطورت المدرسة وأصبح بها جميع مراحل التعليم,مازلتُ مُحافظة على مكتبك كما تركته,وأجلسُ فيه دائمًا عندما يكون لدي عمل,مازلتُ أذهب إلى النادي مع سهير كل أُسبوع,وأحيانًا أجلس في كازينو الجزيرة على النيل.سوف نُسافر إلى الإسكندرية في الصيف لمُدة تستغرقُ أُسبوعين إن شاء الله.أرجو أن يكون مدحت وسوزان وسوزي في أحسن حال.ماما بخير والحمدلله وكذلك مُنير وطنط ليلى وعم محمود,أما محمد فهو محورُ اهتمامِ العائلة وقد كبر وأصبح يُناقش في كل شيء.جمال جالسُ مع ماما وطنط ليلى دائمًا لأن نادية مشغولة والمشاكل بينها وبين مُنير أصبحت قليلة وكلاهُما يسير في طريقه...ابنتك المخلصة..هدى"

****

الفصل الثانى والسبعون في المقهى

قال محمود

-الحمدلله,كل أُسبوع يمرُ نزداد قوة وقوتُنا في القناة كل يوم يشتبكون مع العدو,إما بضرب المدفعية أو العبور للضفة الشرقية ليلًا,حتى يعودون بأسرى في بعض الأحيان أو قناصة إسرائيليين,ورغم عمل العدو في سيناء واستغلالها ولكنها قلقة وتؤكد أن ما يحدُث لها استنزاف.

بهدوء قال مصطفى

-هو استنزاف لهم ولنا, ولكن بالتأكيد هذا أفضل لإنه يمثل حركة دائمة.

قال عُمر مُنبهًا

-ما نقوم بعمله جيد جدًا,ولكن الجبهة الداخلية لا تشعر بشيء.

التفت مصطفى إليه وقال

-هذا أفضل,الموضوع سيطول ولا يوجد حل قريب,العدو يُريد فرض شروطه بالكامل على أساس إنه مُنتصر في الحرب ونحن مُنهزمون.

بحماسة قال محمود

-ولكن على من..عقلنا يزن بلدًا,وفي وقتُ الشدة نعمل أفضل ما يكون,مالك يا عبداللطيف لم الصمت؟

قال عبداللطيف بحيرة

-ماذا أقول وكل الناس أصبحت تفهم في السياسة والحرب والجيوش والمعارك,ونحن خلاص انتهى زمنُنا.

داعبه محمود قائلًا

-أنت الخبير,قُل لنا ما رأيك؟

قال عبداللطيف

-أعلم جيدًا انضباط الجيش أكثرُ من أي وقتٍ مضى,والتدريب أصبح على أعلى مستوى,والرئيس جمال وافق إن الروس يقودون الطائرات للدفاع عن المدنيين, ويوجد خُبراء روس كُثر للتدريب على السلاح وتكتيك الحرب,ولكن الأمور صعبة,لو أردنا عبور مانع مائي كبير متمثل في قناة السويس ثم نُحارب في سيناء ضد عدو متفوق في نوعية السلاح وخاصة الطيران,فالموضوع صعب ومُعقّد.

أوضح مصطفى

-والحل السياسي أيضًا صعب ومُعقّد,الروس يعتبروننا أصدقاء فقط والأمريكان يظنوننا أعداء ودول العالم الثالث مشاكلها الداخلية كثيرة,والدول العربية تُساعد بقدر استطاعتها,والأمم المُتحدة أصدرت قرارًا بعودة إسرائيل إلى حدود الرابع من يونيو,67 ولكن العدو نفّذ قرار واحد فقط من قرارات الأممُ المُتحدة .هو قرار انشاءها مايو الف وتسعمائة وثمانية واربعون

قال عُمر

-لا يوجد سوى الاتكال على الله سبحانه وتعالى وعلى أنفُسُنا.

قال محمود بإيجاز

-المشروبات عليّ هذه المرة.

****

الفصل الثالث والسبعون عزت,سهير وهُدى

في الساعة الثامنة مساءً دق جرس الباب عند عزت ولم يكن يتوقع زيارة أحد وفوجيء بهُدى فرحّب ونادى على سهير التي سعدت كثيرًا بزيارة هُدى لها في المنزل وقال عزت بعد تناول الشاي

-يبدو إنه موضوع بينكما.

ثم ذهب إلى مكتبه وبدأ يواصل كتابة مذكراته..

-يبدو أن الاشتباكات شبه اليومية على ضفتي القناة قد أقلقت إسرائيل التي أعلنت عن عزمها إنشاء خط دفاعي لا يُقهر وسمته باسم رئيس الأركان حاييم بارليف والخط عبارة عن ساتر تُرابي,عشرون مترًا ارتفاعه ودشم مُحصنة وخنادق ومواسير تقذف نابلم بحيث يستحيل عبور القناة دون خسارة رهيبة,أما سهير فقالت مُتسائلة

-ما الموضوع,أيوجد شيء ما كما يقول عزت؟

فأجابتُها هُدى

-وأنا أجلس في النادي بمفردي أستمع إلى الترانزيستور تقدّم مني رجل وقال لي تسمحي لي من وقتك بعشر دقائق وكان شكله محترم فقلت ربما يُريدني في عمل يتبع الشركة,أو عنده ابن في المدرسة وبعد فترة صمت قال لي لقد رأيت حضرتك في الشركة عندما كنت أقوم بزيارة المهندس نبيل صديقي منذ الطفولة في حي شبرا وقد سألت عنكِ وعرفت إنك ابنة الرجل المحترم عبدالقادر بك,والحقيقة أنا نسيت أقدم نفسي,أنا ضابط في سلاح الطيران واسمي محمد عبدالمقصود ووالدي الباشا كان صديق والدك,وكانوا معًا قي شلة النادي,والدي توفى رحمه الله من ثلاث سنوات وأنا كنت متزوج ولدي ابن اسمه حسام ولكن زوجتي أصرت على الطلاق وقد سافرت أو بمعنى آخر هربت هي وابني وأفراد عائلتُها إلى أمريكا

صمتت لتلتقط أنفاسُها قبل أن تواصل

-ثم قال بعد تردُد أنا أبحث عن زوجة ولن أجد أفضل منكِ,وظروفي صعبة من حيث الوقت,فكما تعلمين نحن في حالة حرب,أرجوكِ لا تعتبريني متهورًا أو لدي جرأة زيادة عن اللزوم,المُشكلة إنني في أجازة لمُدة 48ساعة,وغدًا أعود للقاعدة وليس لدي وقت آخر,طلباتي بسيطة وأغلب الوقت في العمل.لست أُريد ردًا منكِ الآن,بالطبع أرجو أن أُقابلك عندما أنزل الأجازة القادمة وأجلس معك أطول وقت ونتحدث ثم تقررين,آسف على تقدمي لكِ بهذه الطريقة وكنت أود آتي بالطريق الرسمي ولكنها الظروف , قام واستأذن ولما عُدت إلى المنزل تحدثت مع المُهندس نبيل الذي شكر فيه جدًا وأكد إنه لم يكن على وفاقٍ من زوجته منذ ارتباطهما وانفصلا منذ مُدة طويلة وإنه على خُلق وعائلته ذات أصل ولديهم فيلا في شُبرا.

كانت سهير تبتسم وهي تسمع كلام هُدى ولم تُقاطعُها ولكن ابتسامتُها كانت تتسع مع كل كلمة تقولُها هُدى ثم قالت

-مُبارك يا هُدى,أخيرًا.

قالت هُدى موضحة

-أنا لم أُوافق بعد.

قالت سهير مع اتساع ابتسامتُها

-رأيت عينيكِ وأنتِ تتحدثين وكانت موافقة.

ثم نهضت واحتضنتها وهي تُكرر

-مُبارك يا هُدى,ألف مُبارك يا حبيبتي.

وجاء عزت وسألهما بأسلوب مرح

-هل أستطيع أن آتي الآن؟

قالت له هُدى

-أنت كأخي ولن أُخفي عليك شيئًا.

قالت زوجته له

-عزت,عليك مُهمة عاجلة,أُريدك أن تسأل عن المدعو محمد عبدالمقصود ضابط في سلاح الطيران ولقد تقدم لهُدى.

فقال عزت مُهنئًا وقد أشرق وجهه

-ألف مُبارك يا هُدى,إن شاء الله من الغد سأقوم بعمل اللازم.

****

الفصل الرابع والسبعون اللقاء الثاني

علمت العائلة بموضوع هُدى ومحمد عبدالمقصود وتحركت في السؤال عنه وتأكيد المعلومات حتى أن محمود طلب من عبداللطيف الاستعلام عنه.ومرت الأيام طويلة على هُدى في انتظار لقائه الثاني حتى إنها كانت تقول في نفسها هل ما حدث كان حقيقيًا؟وأتى في اللقاء الثاني في أجازة لمُدة48 ساعة وقابلها في نفس المكان وكان اللقاء به الكثير من الطمأنينة والراحة وقال لها

-أرجو أن تكونوا قد سألتم عني وتحريتم أحوالي.

فابتسمت هُدى وقالت

-هُناك موضوعان أُ ريد أن أعرفهم منك.

قال لها

-اذكري الأمرين مرة واحدة وأُجيبك عليهما معًا.

فقالت

-الأمر الأول أسباب طلاقك.

سألها

-والثاني؟

قالت

-علمنا أن عليك جزاء في العمل,أي مغضوب عليك.

فقال لها

-سأبدأ بالموضوع الثاني.

ثم أخذ نفسًا عميقًا وقال

-أثناء خدمتي في اليمن طُلب من السرب الذي قمت بقيادة إحدى طئراته بضرب وقصف المملكة العربية السعودية,وقتُها تعجبت لماذا أقوم بقصف الأراضي السعودية والحقيقة لم أجد جوابًا لسؤالي فسألت قائد السرب فأكد لي إنها تعليمات وأوامر واجبة التنفيذ دون سؤال أو نقاش,فكرت في التمارض أو قصف الحمولة في أي مكانٍ خالي ولكنني فشلت في ذلك فقررت الاعتراض وقد تم تحويلي إلى القائد الأعلى الذي وبخني بشدة وكان يمكنُه تقديمي إلى مُحاكمة عسكرية وسجني,ولكنه اكتفى بنقلي من اليمن مع توصية مشددة بألا أعمل إلا عملًا إداريًا وذلك حتى لا يكبر الموضوع,قام بمعاقبتي بعيدًا عن القوانين وبطريقة ودية وبعد الحرب الماضية أعادوني للعمل القتالي وأقوم حاليًا بتدريب الطيارين.

صمت ليرى رد فعلها على ما قاله فصمتت برهة ثم سألته

-وموضوع الطلاق؟

أجابها

-كنا صغيرين– نسبيًا-في السن, تزوجتُها وأنا في الثالثة والعشرين عامًا وكانت الحياة سعيدة ولكنها طلبت أن أستقيل وأن أُهاجر مع عائلتها إلى أمريكا,رفضت ذلك رفضًا قاطعًا فقالت وأنا لا أستطيع ترك عائلتي وأعيش بعيدًا عن أهلي وكانوا جميعًا يضغطون عليها للسفر معهم فطلبت مني إما موافقتُها أو الطلاق فطلقتُها دون تردُد.

سألته هُدى مُستفهمة

-أكنت تُحبُها؟

أجابها

-تزوجنا عن حب وتعارف.

عادت للصمت قبل أن تقول

-وهل مازلت تُحبُها؟

أجابها مبتسمًا

-بعدما فعلته معي من خلافات شديدة تُذهب الحب, ومن يبيعني لا يمكن شراؤه.

سألته للمرة الرابعة

-ماذا سيكون رد فعلك لو عادت وطلبت منك استئناف حياتُها,مع العلم إنها أمُ ابنك؟

أجابها

-لقد أغلقتُ صفحتُها تمامًا,ولا توجد صلة بيني وبين ابني اللهم إلا الخطابات في المُناسبات,وهذا الموضوع لن يحدُث أبدًا فهي تعمل مُدرسة هُناك وابني في نفس المدرسة,والأمور تسير,أرجوكِ لا تُشغلي بالك بهذا الأمر.

ثم ساد الصمت المُريح بينهما لفترة وهما ينظران إلى بعضهما البعض ثم قال

-معذرة, سأفترض مسبقًا موافقتك,وسيكون لدي طلبًا.

سألته باقتضاب هادىء

-وما هو؟

أجابها على الفور

-أمي.

قالت هي هذه الأمرة

-لا تشغل بالك بهذا الأمر.

قال موضحًا

-أبي مُتوفي وأختي و زوجُها في الكويت,وتعلمين أن شقتي تحت شقة أمي مباشرةً بمصر الجديدة,ولديها خادمة ولكن قد تحتاج ل..

قاطعته قائلة بإيجاز

-لا تقلق.

سألها

-أأنتِ موافقة؟

أجباته

-سأُرسل إلى أبي في ألمانيا أطلب موافقته.

قال لها ضاحكًا

-والدك عبدالقادر بك فهمي يعرف كل شيء.

تطلعت إليه بدهشة ثم سألته

-نبيل؟

فهز رأسه بالإيجاب فقالت

-لو وافق فليس لدي مانع.

هز رأسه مرة أُخرى وقال

-سيقوم عبدالقادر بك بالاتصال بكِ اليوم بالهاتف وسأُقابلك غدًا بإذن الله وأقولك لكِ ألف مُبارك

****

الفصل الخامس والسبعون استشهاد بطل

استُشهد رئيس أركان حرب الجيش المصري الفريق عبدالمنعم رياض وكان في الخط الأمامي على ضفة قنا السويس, ويبدو أن الإسرائليين قد شعروا به وقاموا بالتركيز على قصف مواقع تواجده رحمه الله رحمة واسعة وقد قام الجيش المصري بقصف الموقع الذي أُطلقت منه القذيفة الغادرة.

الاشتباكات لا تنقطع على الجبهة قصف مدفعي وعبور لقوات الصاعقة والمشاه وقصف بالطائرات من إسرائيل,واضح إننا انتقلنا من مرحلة الصمود إلى مرحلة الردع كما قال السيد الرئيس,جنازة الفريق رياض كانت جنازة عسكرية وشعبية مُهيبة.

****

الفصل السادس والسبعون نقاش

قال مصطفى

-يقولون أن خط بارليف لا يُقهر ويحتاج إلى قنبلة ذرية للتعامل معه.

قال عُمر متنهدًا

-يبدو أن الوضع سيظلُ هكذا لمُدة طويلة وحرب الاستنزاف حرب مُجهدة للطرفين.

بارتياح قال محمود

-لقد استعدنا ثقتُنا في أنفُسنا والأشقاء العرب واقفون معنا جيدًا.

بحكمة قال عبداللطيف

-الجيش يتدرب ليلًا نهارًا ودخول طُلابُنا الجامعيين فرق كثير والقيادات تتفهم الحرب بشكل جيد.

بتعجب قال محمود

-نحن في حيرة من أمر الجبهة الداخلية,الحياة تسير كإنه لا يوجد حرب أو أي شيء.

قال عبداللطيف مُنوهًا

-هذا أفضل شيء لأن الوضع سيطول ولا بد أن تستمر الحياة.
قال مصطفى

-طالما لم يكسروا إرادتُنا فنحن لم ننهزم.

قال عبداللطيف برزانة

-خسرنا معركة ولم نخسر الحرب بعد.

بأسف هز عُمر رأسه

-النكسة كبيرة وآثارُها لسنين قادمة.

قال محمود بتفاؤل

-الشعب يتغير في الشدائد وترتفع روحُه المعنوية,طاولة ولا دومينو؟

قال مصطفى ملوحًا بيده

-لتكن طاولة,كله يسير بالحظ.

****

الفصل السابع والسبعون اللقاء الثالث

قال محمد عبدالمقصود لهُدى

-أمن المُمكن أن أسألك سؤالًا,ولكن لا تغضبي إذا كان محرجًا قليلًا.

قالت هُدى متوقعة سؤاله

-لماذا لم تتزوجي حتى الآن.

قال لها بابتسامة هادئة

-يبدو أن عُمرك أطول من عُمري,أنتِ من عائلة وعقلك وروحك وشكلك كل حاجة حلوة

لماذا بالفعل..

قاطعته هُدى قائلة

-لقد تقدم لطلبي الكثيرون,لست أدري,ربما كُنتُ أُريد العمل وأُثبت نفسي,ربما ظروف العائلة أو ظروف البلد,ربما الحظ والنصيب والقدر.

قال مبتسمًا

-ربما حظي أنا الجيد,وافقي أرجوكِ أن يكون الفرح الشهر القادم.

قالت هُدى باقتضاب مُبتسمة

-موافقة.

قال بحذر

-طبعًا نظرًا للظروف سيكون شهر العسل ثلاثة أيام فقط,لدينا رئيس صارم للغاية اسمه محمد حسني مُبارك ,يعمل طول النهار والليل تقريبًا ومانع الأجازات إلا في حالات الضرورة القُصوى,والتدريبُ مستمر للطيارين والمُهندسين رغم ضعف إمكانية طائراتُنا بالمُقارنة بطائرات العدو.

قالت هُدى

-ولكنني سمعت أن لدينا طائرات روسية بطائريها.

قال محمد برفعة

-ليسوا أفضل منا في أي شيء,ولكنه قرار سياسي للدفاع عن الجبهة الداخلية,وسأُخبرك بسر خطير ولكن يكون في بئر.

قالت مبتسمة بإيجاز

-قُل.

قال على الفور

-اشتبكوا مع الطائرات الإسرائيلية وصنعت لهم كمينًا وأسقطتهم وكانت مفاجأة للجميع.

****

الفصل الثامن والسبعون هُدي وسهير

جلست هُدى بمفردها في غرفتُها وهي تُفكر هل قرار زوجها من محمد مُناسب أم لا؟وهي تتعجب,لقد وافقت عليه فلم إعادة التفكير الآن؟ثم إنها كبرت وربما لا تأتي لها فرصة أفضل من هذه في المستقبل,فمحمد وسيم ويُشبه رُشدي أباظة ويعمل في وظيفة جيدة بدخل مُناسب ومركزه لا بأس به وعائلته ذات أصل وطول بعرض,فلم الخوف والقلق إذاً؟أتخشى الفشل في الزواج؟أتخشى التغيير الذي سيطرأ على حياتُها وحياة أُسرتُها؟..

سمعت صوت سهير بالخارج وهي قادمة إليها ودخلت إليها قائلة

-ألف مُبارك يا حبيبتي,علمت الآن أن زواجك سيكون الشهر القادم إن شاء الله.

قالت هُدى

-أنتِ بنت حلال,كنت أُفكر فيكِ الآن,أنتِ الوحيدة التي أستطيع التحدُث معها بحُرية.

فسألتها سهير

-ما الأمر؟

قالت هُدى بقلق

-لستُ مُترددة لكن خائفة؟

قالت لها سهير مُطمئنة

-هذه أشياء تحدُث عندما يقوم الشخص بتغيير حياتُه,أشعر بارتياحك له,وربما سعيدة أيضًا,

قالت هُدى

-لست أرى فيه عيبًا,حتى دمه خفيف,ولكنني قلقه أيضًا.

قالت سهير مُريحة إياها

-لقد سألنا عليه والكل يشكُر فيه,ومُعاملتك الطيبة له إن شاء الله ستوفق الزواج,ولكني لم أراه,متى تنوين أن نراه؟

سألتُها هُدى

-ألا تعلمين أنه سيأتي اليوم و والدته وإنكِ يجب أن تتواجدي؟

أشرق وجه سهير وقالت بحماس

-طبعًا.

كان لقاءً وديًا للغاية,وارتاحت جميع الأطراف له,وامتد حتى ساعة مُتأخرة وبعد انتهائه قالت سهير لهُدى مُداعبة

-رشدي أباظة ولا محمد عبدالمقصود,ألف مُبارك يا حبيبتي,يا رب يتمم بخير.

أما سُعاد فكانت في قمة سعادتُها و التي لم تمر بها منذ رحيل عبدالقادر وقالت بحماس

-الفرح عليّ وسيكون في فندق كبير ويجب أن تُحييه الراقصة سهير زكي,ومغنى وزفة وفرقة.

قالت هُدى

-لماذا كل هذه التكاليف يا ماما؟

قالت سُعاد بسعادة

-فرحتي الكبيرة,كان نفسي يكون عبدالقادر موجود هو أيضًا.

قالت ليلى مبتسمة

-مين يدري,ربما يأتي, ربنا يجمعكم إن شاء الله.

وقالت سُعاد غيرُ مصدقة

-وهل هذا معقول؟!

****

الفصل التاسع والسبعون أصدقاء مُنير

كانت مجموعة ثُريا ومُنير مجتمعة كعادتُها ليلة الجمعة في مقهى بوسط البلد وقد اشتد النقاش السياسي وكان مُنير لا يُحب الإدلاء بآرائه إلا عندما ينفردُ بثُريا بعد انتهاء الجلسة ولكنه قال

-ممكن هدنة من السياسة,أنا فرح أختي الأُسبوع القادم,وأنتم كلكم مدعوون في قاعة ألف ليلة وليلة بفندق هيلتون,وأرجوكم لا يتخلف احد عن الحضور,وبالطبع ستكون الملابس الرسمية,وأرجو أن توفروا كلامكم ولا تقولوا إنني من عائلة أرستوقراطية ونقوم بعمل أفراحنا في أكبر فنادق في البلد, أو تتساءلوا) أيقوم شخص بعمل أفراح والحربُ قائمة,والجبهة الداخلية والجبهة على خط القناة.

وما أن انتهى من كلامه حتى فوجيء بعاصفة من الاعتراضات فسألهم

-أستأتون وأعمل حسابكم أم لن تأتوا؟

فقالوا جميعًا

-نحن قادمون بإذن الله وألف مُبارك.

ولما انفرد بثُريا قال لها
-أُريد أن أطمئن عليكِ مثل هُدى.

فابتسمت وقالت له

-ثانيةً؟

قال لها موضحًا

-هُدى كانت مثلك,وكانت مصدر قلق لنا, تخيلي مدى سعادة أمي خاصةً أن مدحت تزوج منذ سنوات,وبزواج هدى تكون أمي قد اطمأنت علينا جميعًا,يجب أن تأتي الفرح.

قالت ثُريا

-بالطبع,وسأستعد من الغد.

ثم سألته

-ما الأخبار؟

أجابها

-الأوضاع مُشتعلة كالنار,والثقة في أي كلام يُقال مهزوزة للغاية,ويتحدثون عن استحالة عبور خط بارليف,دائمًا تسأليني وأُجيبك وكإني أُحدث نفسي,ولكني أُريد معرفة رأيك؟

أجابته هازة رأسها

-ليس مسموحًا لي أن أقول رأيًا,بالمُناسبة الرجل يتمنى يُقابلك ويتعرف عليك شخصيًا.

سألها

-من وأين ولماذا؟

أجابته هازة كتفيها

-هو يقول إنك تُجيد تحليل الموضوعات بشكل جيد,ولست مجرد ناقل حديث.

قال لها

-أنا أتحدث معكِ فقط,وليس لي علاقة بأي أحد آخر.

قالت له

-ألم أُخبرك منذ زمن إنك لا تفهم شيئًا.

ثم استغرقت في الضحك.

سألها

-أتعلمين..

ولكنها قاطعتُه

-الرجل الذي ستُقابله صاحب مركز كبير وسيفيدك في أشياء كثيرة.

قال لها

-أثق فيكِ جدًا ولكن..

قاطعتُه مرةً أُخرى

-سوف أُحدد موعدًا معه خلال أُسبوعين.

****

الفصل الثمانون محمود ومجموعته

قال محمود

-اليوم أجازة من السياسة,هُدى بنت أخت المدام فرحُها الأسبوعُ القادم في قاعة ألف ليلة وليلة في الهيلتون , وأنتم مدعوون والحضور-بالطبع-بملابس رسمية,كل واحد منكم يقوم بشراء بدلة جديدة أو يقوم بكي بدلته ويحضر رباط عنق شيك,ومن لا يستطيع يقول لي وأنا أتصرف له ضاحكًا

قال مصطفى

-منذ مُدة لم نحضر أفراحًا,لاسيما أفراح فاخرة كهذه.

قال عُمر

-خلاص يا مصطفى,اذهب للمكوجي,اجعله يقوم باختيار طقم مستعمل لك للإيجار لمُدة ليلة واحدة.

قال مصطفى

-لدي بدلة قديمة,سأقوم بكيها وأكون جاهزًا مبكرًا.

سأل عُمر صديقهم

-وما البرنامج يا محمود؟

أجابه محمود بابتسامة مرحة

-سيكون البرنامج مفاجأة.

قال عبداللطيف

-قُل,أينقُصُنا مفاجآت!

هز محمود رأسه وقال

-لا,ستكون مفاجأة حلوة إن شاء الله.

قال مصطفى بلهجة مازحة

-أهم شيء البوفيه,أم شاي فقط؟

طمأنه محمود

-أي طعام تُفكر فيه,ستجدُه هُناك.

قال عُمر بمرح

-أنذهب صائمين؟!

****

الفصل الواحد والثمانون استعدادات الفرح

كان الوقت صيفًا,كرست نادية وسهير وهُدى وقتهن في سباق مع الزمن لتجهيز احتياجات هُدى وكانت تساعدهن ليلى وسعاد,في شراء الملابس اللازمة لتجهيز فستان الفرح,ولشراء مُستلزمات المنزل حتى الأثاث الذي تم الاستقرار على شرائه كان جاهزًا لضيق الوقت,أما عزت فقد تم تكليفه بطلاء شقة هُدى وأعمال السباكة والكهرباء وعاونه في ذلك المُهندس نبيل,وقامت سُعاد بحجز قاعة الفرح والاتفاق على البرنامج الذي سيبدأ بأكثر من نوع للزفة التي سوف تستغرق ساعة تقريبًا إلى المغنى والراقصة,تم تخصيص ساعة كاملة للراقصة سهير زكي ثم البوفيه الذي يتحوي على جميع أنواع الأطعمة إلى المصورين الذين سيقومون بتصوير حفل الزفاف,إلى الورود التي ستملأُ القاعة الكبيرة,التي سوف تتسع لخمسمائة فرد وسوف يتم دعوة العائلة,عائلة محمد وجيران الروضة والمنيل وأطقم التدريس بالمدرسة بعائلاتهم وطقم العاملين بعائلاتهم وعلى رأسهم المُهندس نبيل وعائلته بالإضافة لشلة مُنير ومجموعتي هُدى وسهير,فأصدقاء عبدالقادر القدامى وصديقات سُعاد وليلى و مجموعة محمود زملاء محمد في السلاح بعائلاتهم واستئجار سيارات.

كان هناك خلاف حول تسجيل الحفل على شريط فيلم أم لا وانتصرت سُعاد التي أصبحت صديقة لسنية هانم والده محمد وأكدت إنها ليس لها سوى ابنة واحدة وهي لم تفرح منذُ سفر زوجها وقد شارف غيابه على خمسة عشر عامًا.

كانت هُدى وسهير تذهبان إلى نادية في العاشرة صباحًا ويظللن بالبلد حتى الساعة التاسعة مساءً,أما محمد فكان دائم الحديث مع هُدى يوميًا ليطمئن على الأحوال وتقدم له تقريرًا ما حدث في اليوم وتأخذُ رأيه في بعض الموضوعات,كان الجميع يبذل أقصى جهد,فزواج هُدى بعد طول انتظار كان حدثًا مهمًا في العائلة.

****

الفصل الثاني والثمانون مفاجأة

في الصباح كان الجميع قد خرج ولم يكن في البيت سوى ليلى وسُعاد ومحمود والخادمة ودق جرس الباب فنادت ليلى على الخادمة التي تأخرت فقامت وفتحت الباب وتسمّرت في مكانها وظلت صامتة فأقبلت سُعاد وقالت ليلى مُتسائلة

-من؟ما الأمر؟

ثم تبينت الأمر فكادت تفقد وعيها فأمسكها قبل أن تسقط وحضنها بشدة وجاء محمود الذي سمع هذه الجلبة وتوقف ثم قال في دهشة

-عبدالقادر!

انهمرت الدموع من عينيّ سُعاد كالنهر ولكنها دموع الفرح,لقد عاد...عاد الحبيب الغائب,الزوج الحنون ,السقف الذي تستظل به, الرجل الذي تعتمد عليه, شريك الحياه, أبو الأولاد وصديق العُمر أما محمود فقد تمالك نفسه سريعًا وأخذ عبدالقادر محتضنًا وهو يقول

-الحمدلله على السلامة,,أوحشتنا ,افتقدناك يا رجل.

حتى ليلى اندفعت إلى عبدالقادر تقول بحماس

-نورت مصر.

وأطلقت الخادمة زغرودة طويلة ووقفوا جميعًا مذهولين فترة زمنية غير مصدقين أن الأيام جمعتهم مرةً أُخرى وقد قال الزوج لزوجته

-الحمدلله إنني عشت كي أراكِ ثانيةً.

وقال لليلى

-وأنتِ أيضًا.

ثم التفت إلى صديقه وزوجُها وقال

-وحشني الجلوس معك.

شعر عبدالقادر وقتها بتوهانه,كالطائرة التي تطير بدون بوصلة أو هُدى,ثم هبطت في مطارها ومُستقرها,أو كالسفينة التي ضلت طريق سيرها ثم دخلت إلى الميناء.شعور قوي اكتنفه بعودته غلى موطنه وأهله وعائلته التي افتقدها كثيرًا والتي شاءت الظروف أن يتركها ولكنه عاد إليها.

وفي المساء عادتا هُدى وسهير وقد بلغ بهما التعب مبلغه وقد استلقت هُدى على أول مقعد صادفها فجاءت سُعاد إليها مُسرعة وقالت

-فية واحد يُريد أن يُسلم عليكِ.

ظنت هُدى في البداية إنه محمد فسألتُها

-أأخذ إذنًا من القائد؟

وظهر عبدالقادر وما أن رأته هُدى حتى ركضت نحوه وطوقت رقبته بذراعيها وهي تصرخ هاتفة مذهولة غير مصدقة

-ليس معقولًا,لا يمكن,مستحيل!

وتبعتها سهير وكانت سُعاد قد اتصلت بمُنير وطلبت منه الحضور الفوري مع امرأته وابنيه دون أن تقول له سبب المجيء,وقد أعدت وليمة للعشاء وأحضرت كباب وكفتة من أبو شقرة الكبابجي المشهور بشارع القصر العيني.

بعد العشاء اجتمعت العائلة حول عبدالقادر الذي أولى اهتمامًا كبيرًا لحفيده محمد أول أحفاده والذي قال له

-يا جدي كنت موجودًا معنا دائمًا.

فأسعدت هذه الكلمات عبدالقادر كثيرًا وبدأ الجميع يمطرونه بالأسئلة وقال عبدالقادر

-منذ فترة طويلة وأنا أُفكر في العودة,ولا تتعجبوا,والحياة هُناك جميلة وكل شيء مُنظم ومُيسر وقد سافرت لفرنسا وسويسرا والنمسا وإيطاليا وكان مركز إقامتي في فندق صغير بألمانيا,ولكن هُناك شيء خفي يربط الرجل بوطنه,لعلها الذكريات وأيام شبابه, وثقافته أو لغته والأهم من ذلك دينه,افتقدت هُناك الآذان وقرآن الساعة الثامنة في الإذاعة وصلاة يوم الجمعة جماعة مع أحبابي و حفلات أم كلثوم والأفلام العربية,أما الطعام فالطعام المصري أفضل بكثير في النوع والمذاق والكم, وأنت في الغربة تُتابع أخبار بلدك بشغف,وعند حدوث أي مُشكلة تجد نفسك تُريد أن تطير عائدًا,لقد مرت أحداث كثيرة جدًا خلال الفترة السابقة جعلت الإقامة هُناك مُضطربة وأنا متأكد إنني لو نزلت إلى هُنا ولو لمرة واحدة فلن أعود إلى هُناك مرة أُخرى.

سأله محمود مستفهمًا

-أأنت قادم لزيارة أم..

قاطعه عبدالقادر

-كما قلت لك,طالما قدمت إذاً فلن أعود,لقد ضبطت الأوضاع هُناك وسوف أمكث بمصر معكم إن شاء الله حتى يأتي الأجل.

قالوا جميعًا في آنٍ واحد

-ربنا يعطيك طول العُمر.

ثم توجه إلى هُدى وقال

-لم يكن مُمكنًا أن تتزوجي ولا أحضر فرحك.

ضحكت وقالت مُداعبة

-لو كنت أعرف,لتزوجت من زمان.

اعتذر قائلًا

-أنا آسف,ربما سببت لكم بعضُ الإزعاج بمجيئي المفاجىء,لكن حتى آخر وقت لم أكن على علم بموعد عودتي على وجه الدقة,وبالمُناسبة مدحت وزوجته والعائلة قادمين لحضور الفرح معنا خلال يومين إن شاء الله,ربنا يتمم بخير,اشتقت إليكم للغاية وأُريد سماع أخباركم وأحوالكم بالتفصيل,وربما تحدُث بعضُ التغييرات في نظام حياتنا لأن لدي أفكار أُريد أن أخبركم بها.

قالت زوجته بحنان وعطف

-أنت قادم من السفر تعبان,ولم تسترح حتى الآن,والأيام قادمة,وعندما يتم فرح هُدى على خير إن شاء الله تعالى وتكون تعرفت على الأحوال يحدُث ما تُريد,ولكن الآن الكل يستأذن وتذهب لتستريح وتنام والصباح رباح.

****

الفصل الثالث والثمانون عبدالقادر وسُعاد

جلست سُعاد مع زوجها وقالت له مُداعبة

-ما أخبار الألمانيات؟

ابتسم عبدالقادر وأجابها

-فات الوقت يا سُعاد,كبرنا,تصوري أن عمري الآن سبعة وستون عامًا.

قالت له

-أنت الذي كبرت,أما أنا فلا.

قال بحب

-أنا سعيد جدًا بعودتي إليكِ وإلى مصر,وإن كنت أشعر ببعض التغيُر وأُريد رأيك,ما رأيك في شراء فيلا؟

أجابته سُعاد

-الفيلا تحتاج إلى خدمات كثيرة,ولا يوجد شيء الآن مثل أيام الماضي.

قال لها بحنان

-لستُ أُريدك أن تتعبي,كفاية عليكِ هذا,على الأقل نأتي بطاهي أو طاهية.

قالت له بهدوء

-لا مانع,ولكن نقوم بعمل الإفطار والعشاء.

قال لها

-لقد قُمتُ بشراء سيارة مرسيدس وسيأتي سائق غدًا إن شاء الله.

قالت باقتضاب

-جيد جدًا.

سألها

-ما أحوال البلد وأخبارها؟

قالت له

-تعلم بالطبع أخبار مدحت أكثر مني,مُنير حاله جيد في عمله وزوجته تعمل في المدرسة والمنزل مع الأولاد وأصرت على إدخال محمد مدرسة لغات وحياتهما مُستقرة,هُناك بعض المشاكل الصغيرة ولكنها تُحل,هُدى أقرب في شخصيتها لك, تعمل في صمت كل شيء وتساعد أي محتاج وتقوم بحل المشاكل والحمدلله محمد خطيبها رجل كالسكر ومشغول دائمًا.

صمتت للحظات قبل أن تواصل

-محمود رجل هادىء بسيط ولديه مجموعة جيدة من الأصدقاء,ليلى أكثر الله خيرها تتحمل أعباء المنزل وتمسك المصروف الذي تُعطيه لها هُدى,عزت رجل جيد جدًا وسهير ابنتي ومعزتها من معزة هُدى وهي وعزت لم يرزُقا بأطفال حتى الآن,حفيدك محمد ذكي جدًا ويحب العلم كعمه مدحت,جمال مازال صغير طبعًا ولا تظهر اتجاهاته,تسير البلد ولكن هُناك تراجع في كل شيء.تصور الشقق أصبح يُطلب لها خلو رجل,هُناك أزمة سكن نتيجة لتخفيض أسعار الإيجار ثلاث مرات من قبل الدولة والناس عزفت عن البناء وحدث تهجير لسكان مدن القنال فازدادت الطلبات على الشقق ومن يبني جديد تأتي له لجنة من الوزارة وتخفض الإيجار الذي كان متفقًا عليه,يعني المالك مُحاصر من جميع الاتجاهات وطبعًا لم تعُد هُناك صيانة للعمارات,المصعد عندما يعطل يقومون بجمع أموال من السكان من أجل إصلاحه,كذلك أي شيء في العمارة والمشكلة موجودة

في التعليم,الطلبة في ازدياد ولا يوجد مدارس جديدة تُبنى,كذلك المُستشفيات والمواصلات, البعض بدأ يُهاجر ليعمل في الدول العربية كالكويت والمملكة العربية السعودية,تحسنت أحوال بعض الأمور كالجامعات, يقومون بإنشاء جامعة في كل مُحافظة وبالطبع تعرف أن السد العالي بحمد الله تم على خير وهُناك مصانع تعمل ولكن مشاكل الزراعة كثيرة.

سألها عبدالقادر

-وما أخبار العُمدة؟

أجابته

-يُرسل الإيجار كُل سنة.

قال

-أتمنى رؤيته والجلوس معه.

سمعا طرقًا على باب الغرفة وصوت ليلى وهي تقول

-الإفطار جاهز يا جماعة.

جلس الزوجان ومعهما الزوجان الآخرين وليلى تقول

-هُدى وسهير خرجا مبكرًا,لديهما تركيب ستائر في بيت هُدى ومُنير ونادية سيأتيان على الغذاء.

قال عبدالقادر مُغيرًا الحديث

-ما أخبار الأرض يا محمود؟

قال محمود

-الحقيقة منذ فترة لم أذهب,ولكنني أتصل بالعُمدة كل أُسبوع أطمئن على الأحوال.

قال عبدالقادر مقترحًا

-ما رأيك نذهب بعد فرح هُدى نسلم على العُمدة.

قال محمود باقتضاب

-يا ريت.

قال عبدالقادر ملتفتًا إلى زوجته وليلى

-وأنتِ يا سعُاد وليلى تأتيان معنا كالأيام الماضية.

قالت ليلى هازلة

-أم كلثوم تقول عايزنا نرجع زي زمان قول للزمان ارجع يا زمان

ضحك عبدالقادر وقال بمرح

-وأم كلثوم تقول أيضًا أهو ده اللي مش مُمكن أبدًا ولا أُفكر فيه أبدًا

قالت سُعاد

-أنا معك في أي مكان.

قال محمود لصديقه

-فية موضوع أُريد أن أُحدثك فيه,كُنا جالسين مع سُعاد لأنك كنت بالخارج,أما الآن فلا نُريد أن نكون عبئًا عليكما,منذ فترة قُمنا بتأجير شقة في أول شارع الأخشيد, في الطابق الأرضي على الشارع,شقة صغيرة ,أستأذنك أن نذهب هُناك وأقوم بفرشها وأُجهزها ونترككما على راحتكما,ونتقابل كل يوم, فنحن بجوار بعضنا ,خمس دقائق على أقصي تقدير.

قالت سُعاد مُتعجبة

-أيُعقل هذا؟!

وقال عبدالقادر برصانة

-اترك هذه الترتيبات لبعد فرح هُدى.

قال محمود

-أتعلم,دفعت فيها500 جنيه خلو رجل.

قالت سُعاد لزوجها

-هذا ما كنت أخبرتك به.

****

الفصل الرابع والثمانون عزت وكتاباته

مازالت الاشتباكات تتجدد على جبهة القنال بصفة شبه يومية,ويحاول ُ العدو التأثير على المعنويات بغارات الطيران المُستمرة واعتقادُنا بأنه سيتم عقد صفقات سلاح جديدة, ولقد اقتنعت القيادة بأنها لن تستطيع تكوين سلاح طيران يضاهي سلاح طيران العدو الصهيوني,ونلجأ إلى نظرية جديدة خاصة بالنظام الدفاعي المُتكامل ضد سلاح الجو الصهيوني ونُحاولُ بناء قواعد صواريخ مضادة للطائرات بطول جبهة قناة السويس ولكن طائرات العدو تُغير عليها وتُدمّر بعضها جاري تدريب منظومة الدفاع الجوي, مدافع مضادة للطيران المُنخفض وصواريخ سام2 للارتفاع المُنخفضة نسبيًا وصواريخ سام3 للارتفاعات العالية,فإذا دخلت طائرة على ارتفاع مُنخفض تشتبك معها المدافع وتشتبك معها صواريخ سام2 وإذا ارتفعت أكثر اشتبكت معها صواريخ سام 3 ولكن مُشكلة هذا النظام إنه يُغطي مناطق مُعينة ولا يستطيع أن يغطي مصر بالكامل كما إنه يعمل كنظام مُتكامل إذا اختلّ منه جزء يصبح النظام عرضة للاختراق وطبعًا لا يُمكن الاستغناء عن سلاح الطيران في الدفاع أو في الهجوم وتفوق العدو في هذا السلاح يجعلُه قادرعلى حسم أي معارك وهذه معضلة أُخرى تُضاف إلى خط بارليف المنيع الذي يقول عنه البعض إنه لا يُمكن اختراقه إلا بقنبلة ذرية ويبدو أن حرب الاستنزاف هي الأفضل ولكن للأسف الاستنزاف يتم للجانبين.

****

الفصل الخامس والثمانون فرح هُدى

كان فرح هُدى رائعًا ونشر السعادة على العائلة بعد فترة طويلة من الركود في الأحوال والانتظار فلأول مرة تجتمع العائلة كُلها في مكان واحد منذ فترة طويلة.

كان مدحت وصل وعائلته من ألمانيا ونزل في فندق وقال

-الشقة لا تكفي و خاصة أن معه حماه وحماته.

كان فستان هُدى جميلًا وظهرت كإنها أميرة من العصر السابق وكانت الزفة ثلاث مراحل زفة شعبية ثم زفة بالشموع ثم بالراقصة حتى وصلت إلى الكوشة التي كانت حولها كمية كبيرة من الورود من كل الأصناف والألوان. ثم عُزفت موسيقى هادئة وتحت إلحاح كبير رقصت هُدى مع محمد رقصة هادئة وكان حولهما من الشباب والشابات الكثير وجلس المدعوون وهم يرتدون أفخر ثيابهم وكانت كل فرقة تتجمع حول طاولة ودارت أحاديث جانبية كثيرة.كان مدحت يقف بمفرده عند مدخل القاعة عندما لمست كتفه يد سلوى التي بادرته قائلة

-مدحت,كيف حالك وأحوالك؟

فالتفت إليها مُتعجبًا في أول الأمر ثم ابتسم وقال لها

-مدام سلوى,أهلًا وسهلًا.

قالت

-أنا سمعت إنك عالم كبير وعندك بنت أمورة.

فقال لها

-تعالي سلمي على سوزان وسوزي زوجتي.

وتقدمها وهي تسير وراءه ثم التفت إليها وقال

-وأنتِ,ألديكِ أولاد؟

قالت وقد تغير شكلها

-ثلاثة.

ولاحظ أن وزنها زاد نتيجة العمل في المنزل والولادة وقال

-تفضلي.

فقامت سوزان لتُسلم عليها ومعها سوزي وقال مدحت

-سوزان زوجتي وسوزي ابنتي,سلوى جارتنا وأخت عزت زوج سهير ابنة خالة العروس.

فقالت لها سوزان بلغة عربية

-تفضلي اجلسي معنا.

فقالت سلوى

-لاأعلم أين زوجي,أنا سعيدة بمعرفتك.

والتفت لمدحت وقالت

-ألن نراك ثانيةً؟

فقال

-نحن سنُسافر على الفور لأن لدينا عمل هُناك.

فقالت مُتسائلة

-أتحب التعرف على زوجي؟

فأجابها

-لا داعي لإزعاجك وإزعاجه,اجعليها حسب الظروف.

فقالت بجُرأة

-أتعتقد لو ارتبطنا أكُنت ستُسافر ألمانيا وتصبح عالمًا كبيرًا.

أجابها مُبتسمًا

-غالبًا لا,يعني أنتِ صاحبة فضل عليّ.

وظهر زوجها فقامت بتعريفة على مدحت وعائلته وانصرفت معه ثم قابل سهير التي سألته

-أكانت سلوى تُريد شيئًا.

أجابها باقتضاب

-تُسلم فقط,ممكن أسألك سؤالًا,أأنتِ وعزت لا تنويان أن تأتيا ببنت حلوة تكون صديقة لسوزي مثلما أنتِ صديقة لهُدى؟

فابتسمت سهير وقالت

-قريبًا جدًا إن شاء الله (تعالى) ولكن هذا سر أنا لم أقل لأحد عليه حتى الآن,حتى هُدى لا تعرف.

فاتسعت حدقتيّ مدحت وقال في سرور

-أحقًا؟

هزت سهير رأسها وقالت

-واللهِ نعم,ربنا" سبحانه وتعالى"فرجها علينا, بعد سنوات طويلة من الزواج.

قال مدحت

-الأولاد يُغيرون حياة الشخص تمامًا,وما أخبار المدرسة؟

أجابته

-مدرستان وليست مدرسة واحدة,نعمل في مدرسة أُخرى والأمور جيدة والحمدلله"تعالى"مشروع المدرسة كان مشروعًا رائعًا.

سألها مدحت

-أكل هذا من مصاريف الدراسة فقط؟

أجابته

-مصاريف الدراسة والكتب والملابس والرحلات والحفلات والمجاميع الإضافية والباصات والكانتين كلها أشياء مُربحة.

وجاء محمود وقال لمدحت

-مصر منورة بك.

فرد مدحت

-أنتم الخير والبركة,والأرض احوالها اية ؟

أجابه محمود

-تغيرت الأحوال كثيرًا,ويا ليتك تزورها.

قال مدحت

-نحن مُسافرون والوقت ضيق إن شاء الله تعالى أنزل أجازة سنوية طويلة وأذهب مع حضرتك.

قال محمود

-فلنذهب لرؤية العُمدة.

سأله مدحت

-أهو معزوم في الفرح؟

أجابه

-والدك أصر على عزومته هو وبعض أفراد عائلته,هم جالسون إلى المنضدة هُناك.

فاعتذر مدحت واستأذن محمود وذهب إلى مجموعته وقال لهم

-لا كلام في السياسة الليلة.

تساءل صديقه عبداللطيف

-أين سهير زكي؟

أجابه محمود

-اصبر على رِزقك.

وكانت إحدى الراقصات ترقص وأحد الشباب يُغني أغاني الأفراح وقابل مُنير مدحت على مدخل القاعة فقالت له مدحت

-مُنير أُريد أن أطلب منك طلبًا,ممكن؟

أجاب مُنير على الفور

-طبعًا,تفضل.

فقال مدحت

-أنت تعلم أن بابا كبر وأنا مُسافر وهُدى تزوجت وكانت تحمل عبئًا كبيرًا فأرجوك الاهتمام ببابا وماما.

قال مُنير

-تعلم أني الصبح بالعمل وبعد الظهر في الحزب ومع المجموعة أو مع نادية والأولاد لكن سوف أُحاول بقدر استطاعتي.

قال مدحت

-بابا ليس كما كان في الماضي,بالإضافة لغيابه عن هُنا مُدة وتغير الأحوال.

في هذه اللحظة ظهرت ثُريا مع أحد الرجال الذي بدت عليه مظاهر المهابة والاعتزاز بالنفس,وفي الحقيقة كان مُنير بانتظارها والرجل الكبير الذي يُصاحبها وقد رحّب بهما بحفاوة بالغة وقدمهما لمدحت قائلًا

-ثُريا زميلتي في الحزب وصداقة أعوام طويلة منذ الدراسة,السيد هاني منصور رئيسها في العمل.

ثم قام باصطحابهما إلى أحد الموائد التي حجزها خصيصًا لهما وقال له هاني

-أين عبدالقادر بك؟أُريد مقابلته؟

فتعجب مُنير قبل أن يقول باقتضاب

-حالًا.

ولما جاء عبدالقادر استقبله هاني منصور بالأحضان والقبلات وتعجب مُنير بشدة فنظر عبدالقادر له وقال

-أنا والسيد هاني معرفة قديمة.

فقدّم له مُنير ثُريا واستأذن والده وجلس مُنير معها ومع هاني الذي قال

-عبدالقادر بك رجل وطني,وقد تبرع بثروة ضخمة للمجهود الحربي بعد الحرب الأخيرة,وتعاون معنا في عمليات كثيرة وكنت ألتقي به كثيرًا بألمانيا.

فقال مُنير لنفسه لا شك أن هاني رجل مخابرات وقدّمته ثُريا لصديقها بشكل أوضح

-العميد هاني منصور ضابط بالمُخابرات العامة وهو الذي حدّثتك عنه سابقًا.

استغرقوا في حديث طويل لا يقطعه بين الحين والآخر سوى الانتقال من أغنية لثانية من أغاني العندليب الأسمر)مطرب الثورة(عبدالحليم حافظ والفنانة الكبيرة شادية بالإضافة إلى المطربتين الكبيرتين نجاة وفايزة أحمد..

أما محمد فقد وجد عمه واقفًا بمفرده فذهب إليه وقال له الأخير مداعبًا

-عقبى لك يا أبوحميد.

فضحك محمد وقال

-أنت مثلي الأعلى يا عمي, أحلم أن أكون مُهندسًا مثلك.

فقال مدحت هازًا رأسه

-ستكون أفضل مني إن شاء الله تعالى ولكن عليك بالاجتهاد في المُذاكرة والتركيز والدقة في كل ما تفعل.

قال محمد

-ما رأي حضرتك في أخذ لغة ثانية؟

سأله عمه

-أتقصد ألماني أم فرنساوي؟

ثم استدرك في سرعة

-الأفضل تعرف الاثنين,أنت في مرحلة كلما تعلمت شيئًا جديدًا يكون أفضل,ولا تبخل على نفسك بالعلم والعمل الشاقين والجادين.

قال محمد هازًا رأسه مُتسائلًا

-والأفضل إني أُفيد بلدي عندما أعمل فيها أم أُسافر بالخارج؟

قال مدحت

-هذا سؤال جيد يا محمد,إذا وجدت مكانًا لك هُنا وأحسست إنك مفيد فيه فلتبق هُنا فيه.أما إذا وجدت أن الظروف غيرُ مُناسبة فالأفضل بلا شك السفر إلى الخارج ولكن لا تنسى أن مصر وطن يعيش فينا ودائمًا تُفكر في كيف تُفيدها سواءً بالمال أو العلم أو النصح وبالمُناسبة أنا أُفيد مصر لكن بطريقتي.

جاءت سعاد وهي في قمة سعادتها واحتضنت مدحت وهي تقول

-ما رأيك,مبسوط؟

فأجابها

-فرح جميل وليلة سعيدة.

فسألته

-لماذا تترك زوجتك؟

أجابها ببساطة

-هي مبسوطة من الفرح وسهير جالسة معها.

تساءلت سُعاد

-وأين ليلى؟

فأجابها محمد

-تُراجع البوفيه وتتأكد من أن ما طلبناه يُنفذ.

قالت سُعاد لابنها

-أتعلم يا مدحت,لست أدري ماذا كنت أفعل بدون ليلى,معي دائما في كل شيء.

فقال

-أبقاكما الله لنا ولبعض.

عادت سُعاد تتساءل

-أين نادية؟

أجابها محمد باقتضاب

-معها.

وأعلن مقدم الحفل عن مجيء الراقصة سهير زكي التي كانت ترتدي بدلة رقص ذهبية اللون ونهض الرجال واقتربوا من الست وكانت ترقُص على أنغام أغنية أم كلثوم "أنت عمري"وظهر السرور على الجميع حتى محمد أمسك الكاميرا وأخذ يلتقط صورا من كل الاتجاهات ومرت الساعة في سرور وهدأت القاعة نسبيًا وذهبت سهير ومعها نادية للترحيب بثُريا وجلس عبدالقادر ومحمود والعمدة وشلة القهوة والمهندس نبيل ووالده صديق عبدالقادر في طاولة, وباقي عائلة المهندس نبيل وزملاء العمل في الشركة في طاولة أُخرى مُجاورة.

وجاء أصددقاء محمد وأنشدوا له أُغنية"كان بدري عليك عليك بدري"في أجواء من الضحك والسرور وجاءت سُعاد وليلى لتحية العُمدة وأصدقاء محمود وعاد محدت وجلس بجوار زوجته التي قالت "فرح رائع وكل شيء فيه جميلًا".ثم جاء دور العروسين لافتتاح البوفيه ويحتوي على جميع أنواع اللحوم والطيور المطهوة بطُرق مُختلفة وأصناف كثيرة من السلطات والمشهيات وأنواع من الفواكة والحلويات الشرقية والغربية وبعض المدعووين من كبار السن لم يستطيع القيام للبوفيه فتم إحضار أطباق من نوعيات مُختلفة له.وتم توزيع تورته الفرح المكونة من خمسة طوابق على المناضد,الكل انهمك في تناول الطعام وبعد البوفيه بدأ المدعوون في الاستئذان وأخذ صور تذكارية مع العروس والعريس,كانت الليلة سعيدة وقام العروسان بالصعود إلى غُرفتهما بالفندق حيث سيبيتان الليلة ويذهبان إلى منزلهما بمصر الجديدة في الصباح وقد صحبهما أفراد العائلتين وقال مدحت لهُدى ومحمد

-أراكما على خير,أنا مسافر غدًا.

وقالت سوزان بالعربية

-ألف مُبارك,فرح جميل وليلة سعيدة.

وقالت لمحمد

-أنت محظوظ.

ثم وجهت كلامها لكلاهما

-لو تسمحان لي,أول ما تستطيعان زيارتُنا في ألمانيا افعلا,تقومان بتشريفنا على الفور.

وقامتا سُعاد وألفت والدة محمد باحتضان بعضهما وألقت الأولى نظرة طويلة عليهما وهي لا تدري أتفرح لزواج ابنتها أخيرًا أم تحزن لفراقها, كان محمد في قمة السعادة التي لم يعرفها منذ زمن طويل,وكذلك هُدى وإن كان يبدو عليها بعض القلق وقالت لأمها

-سأتصل بكِ يا ماما غدًا بإذن الله.

****

الفصل السادس والثمانون سفر مدحت

اجتمعت العائلة بكاملها لتوديع مدحت الذي وصل إلى منزل المنيل على موعد العشاء وكان قد زار و زوجته منطقة الأهرام وبرج الجزيرة وجلسوا جميعًا بعد تناول العشاء وقالت له

-مصر جميلة ومنطقة الهرم ولو يعتنوا بها ويعيدوا تصميم المنطقة التي حولها لن تكون هناك منطقة مثلها في العالم.

سعدت سَّعاد للغاية بعد أن قام فرح هُدى بلم شمل العائلة وقال زوجُها

-أنا كنتُ في الخارج لكن عاونت بلدي قدر استطاعتي وتبرعت للمجهود الحربي بنصف ثروتي تقريبًا,وقالوا لي أنت مرحب في بلدك في أي وقت

صمت الجميع فاستأنف وقال

-لا شك أن العُمر يمرُ بالواحد,والأحوال تغيرت كثيرًا سواء العائلية أو العامة ورغم كل ما حدث إلا إننا مازلنا الحمدلله أفضلُ من غيرنا كثيرًا.

ثم ابتلع ريقه ليضيف

-أُريد إخباركم أن الشركة بألمانيا تُديرُها سوزان– كما تعلمون-وتربح جيدًا ولكن ليست كمشاريع في مصر لأن لديهم ضرائب تصاعُدية, كلما كسبت أكثر تدفعُ ضرائبًاأكثر والقصد أن هذه الشركة تبقى لمدحت وعائلته .أما المدرسة فستكون باسم هُدى كما هي وسأقوم بعمل مشروع جديد في العزبة الصغيرة التي ستكون من نصيب مُنير.

فسأله محمد

-أي مشروع يا جدي؟

أجاب عبدالقادر

-المشاريع الزراعية يستخدمون فيها العلم المدروس والتكنولوجيا والتي لا تعتمد على أفراد-كما هو الحال عندنا-والمشروع الذي أنتوي فعله هو مشروع محطة إنتاج فراخ, كل خطوة فيه مدروسة ومشروع آخر لتربية العجول ولكن بالنظام الأجنبي..تحدثتُ مع سُعاد وهي موافقة أن تكون إقامتُنا هُناك وبالطبع ستكون الزيارات موجودة,كما قمتُ بالتحدث مع محمود وليلى أن يبقيا هُنا من أجل مُساعدة نادية وسهير وستُكتب هذه المشاريع باسم مُنير وعائلته,أما السيولة فسوف تكون لسُعاد حتى لا تحتاج لأحد في المُستقبل.إذا رغب أحد في مُناقشة أي موضوع,فليتفضل.

سأله محمد

-وكيف ستعمل هذه المحطة؟

فضحك عبدالقادر وأجاب

-بالأسلوب العلمي وبعد دراسة وافية,سترى كل شيء بنفسك لأني أُريد أن أراك دائمًا ويا ليتك تأتي في الأجازات وتعمل أيضًا معنا.

قال محمد

-أأنا طالب أم عامل؟

فأجاب مدحت

-في الخارج الكل يعمل حتى الطلبة في الأجازات ويعملون أي شيء حتى غسيل الصحون.

فقال محمد ضاحكًا

-لا يبقى خليني هنا أحسن.

قام عبدالقادر وأشار لمُنير أن يُقابله على انفراد وقال له

-من أين لك بمعرفة هاني أبو منصور يا مُنير؟

فأجابه ابنه

-بالطبع حضرتك تعلم أن ثُريا صديقتي وهي صحفية ومن قيادات الحزب النسائية.

سأله عبدالقادر

-و من أين لها بمعرفة هاني ؟

أجابه مُنير

-الحقيقة لست أدري,إنها أول مرة أراه ولقد قالت لي إنه يُريد التعرف عليّ.

قال عبدالقادر بحذر

-أنت تعمل مع المُخابرات.

قال مُنير

-ليس بصفة رسمية,ولكن بصفتي المدير الإداري للمصنع,أقوم بتقديم تقرير أُسبوعي عن الأحوال فيه فقط , لثُريا التى قالت لي أن هاني منصور معجب للغاية بتقاريري,ويريدني التعامل معه وأيضًا ليس بصفة رسمية,اطمئن يا أبي أنا أعمل لمصلحة البلد وليس لمصلحة أي شخص آخر.

طرق مدحت الباب قبل أن يدخل ويتساءل

-أتتحدثان في أسرار؟

فأجاب مُنير

-لا أسرار ولا حاجة,أبي يسألني إذا كانت القسمة التي قام بها مُناسبة في رأيي أم لا.

فقال مدحت

-أنا أيضًا أُريد سماع رأيك

فقال مُنير

-بابا حُر في التصرف في أمواله كما يشاء,كنتُ فقط أفكر لماذا لا يتم تجميع الأرباح الخاصة بالمشاريع سنويًا ويتم توزيعها علينا بدلًا من أن يكون كل مشروع مستقل عن الآخر,في رأيي أن هذا كان أفضل من ناحية العدل,ثم أن طنط ليلى وعم محمود خارج القسمة رغم ملازمتهُما لماما طوال سفر بابا,كما أن هُدى بعد الزواج قد لا تستطيع القيام بالعمل في المدارس والشركة كما كانت من قبل,هذه كلها مُلاحظات واقتراحات,ربما لا أعلم كل المعلومات التي بناءً عليها بابا قسمها بهذه الطريقة,لكني واثق من حكمته.

فقال مدحت

-لقد اقترحت على بابا أشياء بهذا الشكل لكن..

قاطعه عبدالقادر الذي كان صامتًا طوال الوقت

-لقد راعيت الظروف المُحيطة بكل واحد فيكم.

ثم توجه بحديثه لابنه الآخر

-وبالمُناسبة يا مُنير المشروعات التي قلت عليها قد تكون أرباحها أفضل كثيرًا.

قال مُنير مُتسائلًا

-ألن يحدُث ظلم لمدحت وهُدى؟

وهُنا قال مدحت

-الحقيقة أنا راضي بما أنا فيه وأنت أخي ولا فرق,لو احتجت شيئًا منك فأنا واثق من إعطائك لي والعكس صحيح,فمهما ابتعدنا وتغربنا في الآخر عائلة واحدة.

واحتضن كل واحدٍ منهما الآخر وقال عبدالقادر

-سوف أُجيب على سؤال مُنير,فلستُ أُريد أن يجلس أحدكما مع الآخر ويسأله أين حساب هذا وذاك ؟وفي نفس الوقت كل يعملُ في مجاله فيأخذ القرارات المُناسبة دون الحاجة إلى مُناقشات مع الآخرين.

فقال مُنير مرةً أُخرى

-أنا أثق في عبدالقادر بك فهمي تمام الثقة.

****

الفصل السابع والثمانون هُدى ومحمد

مرت أجازة محمد على هُدى وكإنها ساعة, قضت معه أوقاتًا جميلة وقالت له

-يا ليتني قابلتك منذ زمن.

وقال هو لها بحُب

-لم أمر بلحظات سعادة كاللحظات التي أقضيها معك.

وأوصاها على والدته كثيرًا والتي أصبحت صديقة لأمها وخالتها وقالت هُدى

-سوف أكون معها دائمًا فلا تقلق.

وعاد محمد إلى مُعسكره ولكن حاله تبدل وأصبح كثير الصمت كإنه في عالم آخر, شديد التركيز في عمله حيث يظل يعمل منذ استيقاظه حتى ساعات مُتأخرة من الليل وبعد مواعيد العمل.

وقال له القائد

-لو كُنا نعرف أن الزواج يُغير الشخص بهذه الطريقة لزوجناك منذ زمن.

****

الفصل الثامن والثمانون هُدى وسهير

قالت سهير لهُدى

-كيف الأحوال؟

أجابت هُدى

-أتقصدين محمد,الحمدلله,أشعُر إنه مكافأة لي من عند الله "سبحانُه وتعالى"

سألتها سهير

-أحدث؟

هزت هُدى رأسها وأجابت

-نعم,أنا كل هذا الوقت أُفكر فيه وأنتظر رجوعه بفارغ الصبر كما يقولون.

قالت سهير

-عندي خبر حلو سيُسعدك أكثر,أنا حامل أخيرًا بعد كل هذه السنين وعزت وأنا سعيدان وقلقان في نفس الوقت

قالت هُدى بمرح

-وأنا أيضًا حامل,بصرة.

واحتضنا بعضهما في سعادة بالغة لم يعرفاها منذ وقتٍ طويل.

****

الفصل التاسع والثمانون كتابات عزت

اليوم أُعلنت بداية الهُدنة بين مصر وإسرائيل ووقف إطلاق النار على جبهة القناة, ويُقال أن مصر وافقت على الهُدنة حتى تتمكن من إتمام بناء قواعد حائط الصواريخ المضادة للطائرات على الجبهة,والذي سيقوم بشل ذراع العدو الطويلة المُمثلة في سلاح الطيران ويجعله غيرُ قادر على التحليق فوق منطقة القناة,هذا السلاح الذي أثبت كفاءته في أُسبوع تساقط الطائرات الإسرائيلية الفانتوم تلك الطائرة المُخيفة الأمريكية الصنع,حيثُ استطاعت الصواريخ الروسية المُضادة للطائرات إسقاطها بفاعلية عالية مما جعل العدو يستشيط غضبًا ويقصف المدنيين في مصر بغشامة وأدى ذلك إلى مقتل أطفال في إحدى المدارس وذلك لإحراج السلطات المصرية,وبذلك تُعتبر حرب الاستنزاف التي استمرت ثلاث سنوات قد انتهت وقد كبدت العدو خسائر كبيرة في البر والبحر والجو وتكبدنا أيضًا خسائر كبيرة ولكن أهم شيء عودة الثقة للجيش وقبله للمواطن المصري بصفة عامة والقضاء على أُكذوبة أن الجيش الإسرائيلي لا يُقهر وأن المصريين لا يُجيدون القتال,لقد دكت المدافع على الجبهة قواعدهم بصفة يومية وقوات الصاعقة والمظلات والمشاه تعبُر القناة وتشتبك مع العدو وتعود أحيانًا بأسرى,أما قوات الدفاع الجوي فقد تمرست على مواجهة طائرات العدو التي أصبحت تهابها وتخشاها وتُهرول مُنسحبة أمامها, كما أن السلاح الجوي قصف قواعد للعدو واشتبكت طائراتُنا مع العدو في

القنال, وإذا تحدثنا عن البحرية المصرية فمن يستطيع أن ينسى موقعة إغراق المدمرة إيلات بواسطة لنشات الصواريخ الصغيرة, إنها بطولات وأمجاد وشهداء وأبطال,من ينسى استشهاد رئيس الأركان الفريق عبدالمنعم رياض لقيامه بالاستطلاع بنفسه على شط القناة, ولكن السؤال الآن هل بعد هذه الهُدنة حرب أُخرى أكثر قوة؟وما هي وسائلُها؟لا أعتقد أن أحدًا يُمكنه الإجابة بثقة,بالطبع لا يمكن ترك سيناء أرضنا وفي نفس الوقت هُناك تفوق واضح لجيش العدو في السلاح وخط بارليف وعبور قناة السويس والدعم الأمريكي.

****

الفصل التسعون صالون عبدالقادر

دعى عبدالقادر فهمي شلة المقهى إلى منزل المنيل وقد أتى بسفرجي ليقوم بالخدمة عليهم حتى لا يرهق سُعاد وليلى,والحقيقة أن الطباخ والسُفرجي والسائق عادوا بعودة عبدالقادر ولكنهم ينصرفون في السابعة مساءً,مع التنبيه على السفرجي باستمراره في العمل وقت الضرورة.

وقالت سُعاد

-عاد صالون عبدالقادر من جديد ولكن بوجوه مُختلفة وموضوعات أُخرى.

وافتتح عبداللطيف المُناقشة ووجه سؤالًا لصاحب الصالون

-لقد سافرت مُدة طويلة للخارج وعاشرت الناس هُناك لسنين طويلة, فما الفارق بيننا وبينهم في رأيك؟

ضحك عبدالقادر وقال

-هذا السؤال قد يبدو بسيطًا ولكنه غير ذلك في الواقع,ولا أُنكر عليك إنني فكرت فيه كثيرًا ولا توجد إجابة واحدة سهلة وبسيطة لهذا السؤال.فالاختلاف كبير,فعلى سبيل المثال ما الفارق في طريقة الحُكم؟ما الفارق في عموم الشخصية؟ما الفارق اقتصاديًا؟ما الفارق اجتماعيًا؟ما الفارق بشكل عام؟أو مُحصلة كُل ذلك؟.

ثم صمت قليلًا ليُشعل سيجاره وقال

-لا مؤاخذة.

وقدّم علبة السيجار للضيوف الذين أقبلوا عليها مُتلهفين للتجربة قال أحدهم بمكر

-أو الفرق في أسلوب التدخين.

فضحكوا جميعًا قبل أن أن يقول محمود

-أتهزل دائمًا هكذا يا مصطفى.

وقال عُمر

-الفرق في التدخين نعرفُه جميعًا,هو الفارق بين الشيشة والبايب والسيجار والسيجارة.

فقال عبداللطيف بجدية

-هذا هو الفرق في الشخصية.

واستمر الضحك رغم لهجته الجادة وقال محمود

-نجيب الريحاني كان يتكلم بكل جد والناس تضحك,ولكننا خرجنا من الموضوع,تفضل أكمل يا عبدالقادر.

وقبل مواصلة الحديث دخل عليهم محمد فجأة وقد سره الضحك وصافحهم كرجل وهو مبتسم وقد استقبله عبدالقادر وأجلسه بجواره وقال محمد

-معذرة ولكنني أود الإنصات لحديثكم,جدتي قالت لي الكثير وقصت لي ما كان يحدُث في صالون جدي وكنت أتمنى حضوره بنفسي, ولم أكن أستطيع الحضور مع جدي محمود في القهوة, سعيد جدًا باستماعي لكم ولن أُقاطع الحديث وسأكون مُنصتًا فحسب.

قال محمود

-بالعكس,نُريدك تستمع وتستفيد من المُناقشى, أما صالون جدك عبدالقادر القديم فكان فيه فستق لوز مقشر وعين جمل وبندق وشيكولاتة سويسري مُستوردة وكان المكان أكثرُ اتساعًا.

وقال عُمر

-عرفت الفرق,هو نفسه الفرق بين هذا السيجار وسيجارة الكيلوبترا المصرية,عند الشراء ترى سجائر مُنفسة وأخرى مخرومة أو الفلتر مسدود,او كشاي التموين الذي يحتوي على نشارة خشب وملوخية ناشفة,صحيح اعتدنا على أشياءٍ كهذه,وقمنا باستيعابها وتحملناها وهذه هي عبقرية بلدنا والمصريين,والتي أتمنى أن تدوم ولا يُغيرها شيء,عبقرية مصر التي تأكل الفول المدمس والطعمية وكإنهما كباب وكُفتة وعبقرية المصريين في الرضا والزهد وتقبُّل الواقع والتكيف والتعامل معه.

فقال عبداللطيف

-أخيرًا اتفقنا على شيء,ولكنني أريدكم– وأنا معكم-الإنصات لعبدالقادر بك,نحن نتحدثُ معًا كثيرًا,اتفضل يا بك.

قال عبدالقادر

-لا أُريد أن أُصيبكم بالصُداع وأطيل عليكم وسوف أختصر بقدر الإمكان.

صمت لحظة قبل أن يقول

-أعتقد أن الفرق واضح في الحكم,هم لديهم تعدُد أحزاب وديمقراطية وتداول سلمي للسطة,وقد نتساءل ما فائدة هذه الأشياء التي تؤدي في النهاية إلى وجود حكومة فقط,فالحزب الواحد واستمرار السلطة أيضًا يُشكّل حكومة,وهذا ليس صحيحًا, فاحتكار الحزب الأوحد يؤدي إلى سوء الأداء والإدارة,فهو لا يعتمد في الاستمرار في حُكمه على العمل والخدمات التي يؤديها للشعب,ولكن يعتمد على علاقته بالحاكم وإرضائه,مع طول مُدة الحكم تتحول الدولة كُلها من خدمة الشعب– كما هو مفروض-إلى خدمة الحاكم,نفس الكلام ينطبق على الاقتصاد,فإذا كان هُناك مصنع واحد لإنتاج الثلاجات فهو ضامن لبيع سلعته مهما كانت,ولا يهتم بالتحسين والتطوير,فلا يوجد مُنافسة,وبهذه المُناسبة أعرف صديق اشترى بوتاجاز ووجد به أربعة أنواع من المسامير رغم إنه المفروض أن يكون نوعًا واحدًا,صحيح البوتاجاز يعمل ولكن بدون اهتمام في تشطيبه لعدم وجود مُنافسة ووجود احتكار, كما لديهم يوجد حساب للمُخطىء وعقاب ويوجد مكافأة للمُحسن وثواب,ماديًا ومعنويًا.

وصمت عبدالقادر وأخذ ينظرُ إليهم ليرى تأثير كلامه ووجدهم صامتينم وكإنهم ينتظرون المزيد فأضاف

-أما الفارق في الشخصية فهو الالتزام والتخطيط ودراسة التفاصيل على المستوى الشخصي والجماعي فلا قرار بدون دراسة ولا تنفيذ بدون خطة واقعية.

فقال مصطفى

-نحن هُنا يقولون لنا "افعل خطة"فيضع خطة أقل بكثير مما يمكن تحقيقه حتى يضمن تحقيق الخطة,فمثلًا مصنع ينتج يوميًا الف قطعة, توضع خطة إنتاج تهدف لإنتاج ربعمائة قطعة فقط حتى يضمن تحقيق الخطة,وإذا أنتج خمسمائة قطعة يقول "لقد حققنا الخطة بنسبة,%125ونقوم بصرف حوافز تحقيق الخطة.

فقال عبدالقادر

-الخطة هُناك بعد دراسة تفصيلية لجميع العوامل والمؤثرات ثم بعد وضع الخطة يكون هُناك مُتابعة دورية كل أُسبوع وشهر وهكذا,وإذا حدث خلل يُعالج مُبكرًا.

فقال عُمر

-هُنا نكون سائرين جيدًا في العمل ويحدُثُ خللًا فيتركوه,ثم يُصبحُ خللًا أكبر,فيقولون لك يا عم كبّر دماغك(فيتحولُ الخلل إلى مشكلة مُزمنة فيقولون لك عادي ثم يتحول في النهاية إلى كارثة لا حل لها.

فقال عبدالقادر

-لا يوجد مُتابعة وتصدي للمُشكلة من بدايتها,وقد لاحظتُ ذلك جيدًا في قضية الإسكان,فقد كانت هُناك دائمًا يافطة شقة للإيجار,وجاءت قرارات تخفيض إيجارات المساكن جبريًا ثم لجنة من وزارة الإسكان لتقييم المسكن وتحديد إيجاره,أي أن الدولة دخلت في علاقة بين المالك والمستأجر,والحقيقة إنه لم تكن هُناك علاقة

بين المالك والمستأجر تستدعي تدخلُ الدولة,وسبب ذلك أزمة سكن وأُضيف إلى ذلك تهجير ما يقربُ من مليونين مواطن من مدن قناة السويس بسبب الحرب,وقد تظل هذه الأزمة لفترات طويلة وقد حاولت الدولة أن تبني مساكن شعبية فكانت بها مشاكل كثيرة,ثم ظهرت أيضًا مشكلة صيانة المباني فاقترحوا وجود مجلس إدارة للمباني للقيام بأعمال الصيانة وأصبح الساكن يدفع أموالًا للصيانة بدلًا من الإيجار القديم,عند تحليلك للموضوع تتساءل لماذا حدث هذا؟لا تجد إجابة,وكيف ستحل هذه المشكلة.

صمت لحظة قبل أن يسترسل

-كذلك في موضوع النقل للأفراد لم تجد الدولة الأموال للتوسع والأوتوبيسات القديمة هي التي تعمل وتحتاج إلى تجديد وصيانة فتجد الأوتوبيس يعطل في الشارع,لماذا؟الجواب واحد,سوء القرار, سوء التخطيط,سوء الإدارة وعدم وجود دراسة.

فقال عبداللطيف

-مثلما تكون جالسًا معنا,ولست مُسافرًا بالخارج.

قال عبدالقادر بحكمة

-قالوا أن من ينظر من خارج الصورة,يراها بشكل أوضح.

سأل محمد

-ألا يوجد حل يا جدي؟

أجابه

-تحسين الأداء وكلمتان مهمان وهما الإرادة والإدارة.

ثم استطرد

-الحقيقة أن لدينا وضع به أشياء جيدة أيضًا,لدينا العائلات مازالت مُترابطة والأخلاقيات العامة والعلاقاتُ الاجتماعية والنخوة والرجولة والشهامة والتعاون وفوق كل هذا الدين مُمثلًا في الصلاة والزكاة والصوم والحج.

قال محمود برزانة

-نحن ينقُصُنا الإخلاص في العمل والدين عبادة وعمل .ونحنُ مهُمتون بالعبادة فقط ونترُك العمل.

قال عبدالقادر

-العملُ المُنظم المدروس المُخطط هو من يؤدي إلى التقدم, وأنا أقول لكم من الآن أن هُناك دولًا مثلُنا ستُحقق طفرة كبيرة لن يتصورها أحد كاليابان.

تساءل عبداللطيف

-أيوجد أمل؟

وقال مُصطفى لعُمر

-أنت لديك يا عُمر بنت اسمها أمل,أليس كذلك؟

فضحكوا جميعًا قبل أن يقول عبدالقادر

-عندما يخرجُ المصري يكون أداؤه بالخارج مُختلفًا تمامًا ويكون من أفضل العاملين المُلتزمين.

فقال محمود

-انظروا أين وصل مدحت في العلم,لو لم يُسافر ربما كان موظفًا عاديًا في شركة قطاع عام.

قال عبدالقادر

-نستطيع أن نقول مُعادلة رياضية....نظام+خطة+خبرة+التزام=النجاح المُحقق,ونحن هُنا نعمل– للأسف-بدون نظام.

فقال مُصطفى

-عشوائية,وكل واحد وشطارته.

قال عبدالقادر هازًا رأسه مؤيدًا

-كل واحد وفهلوته.

ودخلت سعاد ومعها ليلى والسُفرجي ومعهم عشاء بسيط عبارة عن ساندوتشات جبنة بيضاء وخيار وأُخرى جبنة رومي وقالوا

-معذرة يا جماعة,عشاء بسيط.

فأجابوا جميعًا

-شكرًا,جعله الله عامرًا.

وساد الصمت وخرجت سُعاد لتقول لليلى

-الله يرحم أيام زمان والعشاء زمان.

قالت ليلى

-الحمدلله,لقمة هنية تكفي مية.

****

الفصل الواحد والتسعون محمود وليلى

قالت ليلى لمحمود

-منذ مجيء عبدالقادر والمزرعة تعمل وأصبح كل أُسبوع يُرسل التموين للبيوت كُلها.

قال محمود

-الأوضاع مُختلفة,عبدالقادر يصرف من الباب الواسع ويتصرف في ماله كما يشاءُ,أما أنا فحارس على المال,تعلمين زوجك يخشى أخذ قرار يؤدي لخسائر.

قالت ليلى

-أم إنه فرق في الشطارة؟

قال محمود

-بالتأكيد تُريدين المقارنة بين خبرة عبدالقادر في إدارة الأعمال وخبرة موظف مثلي,أنا أعترف أن تفكير عبدالقادر كرجُل أعمال يختلفُ تمامًا عن تفكير موظف مثلي,ثم إنه من المُفترض أن تكوني سعيدة بمجيء التموين لكِ كلُ أُسبوع.

قالت مُضيفة

-وأيضًا عاد الطباخ وكذلك السُفرجي,بالإضافة للسائق والبواب والغفير,صحيح ليس كالماضي ولكن الفرق واضح وظاهر.

بحكمة قال زوجُها

-هُناك أُناس يتحول التراب في أيديهم إلى ذهب,وعبدالقادر واحد من هؤلاء الناس.

قالت ليلى مُتفقة معه هازة رأسها

-ووضع نظام حتى في الزيارات يأتي وسعاد كل أُسبوعين مرة ونحن والعائلة نأتي لديهم كل أُسبوعين مرةً أيضًا.

قال محمود

-عبدالقادر مُنظم في كل حياته وهذا ما يُنجّح أي مشروع يقوم به.

ثم سأل

-ما أخبار البنات؟

أجابته

-مُتخبطات آخر تخبط,المرأة التي تُنجب وتعمل لا تدري رأسها من قدميها,تذهب للعمل فتعود لتنظيم المنزل وتعتني بأطفالها وتطبخ,وأنت تعلم أن هُدى تترُك أحمد ابنها عند حماتها وتترُك سهير ابنتها سلوى عندي,ويذهبان ويعودان مُرهقتين بالطبع,وهكذا,بالإضافة أن هُدى حامل للمرة الثانية وسهير حامل أيضًا.

قال محمود هازًا رأسه

-الحمدلله,ربنا يزيد ويُبارك.

قالت بعتاب مُفاجىء

-طبعًا,لست مُتعبًا في شيء.

قال لها

-بدلًا من حدوث شجار,الأفضل أن أذهب للقهوة,أتُريدين شيئًا من الخارج؟

قالت بنبرة استفزازية هازة رأسها

-لا,البركة في عبدالقادر.

وخرج محمود وهو سعيد بهذه المُناقشة,فكانت له طبيعة خاصة وهي انعدام الغيرة التي قد تسببها له ليلى وله فلسفة خاصة وهي الرضا الداخلي.

****

الفصل الثاني والتسعون مُنير

كانت حياة مُنير مُستقرة فهو يتقدم في عمله باستمرار ونادية أم مثالية تعتني بالمنزل وبالأولاد بشدة وإن حدثت مشاكل في الأسرة تنتهي بتدخل الأهل والأصدقاء لحلها, وكان رب الأسرة مازال يخرج مع مجموعته وإن ظلت علاقته بثُريا علاقة مُحيرة فقد أدمنها وأصبح أسعد أوقاته يقضيها معها, كما إنه لا يعرف كيف يرد لها أفضالها عليه,فهي ذات أثر كبير على نفسه,وهو وإن كان يضيق بعلاقته بها في حضور هاني منصور الذي أصبح يُقابله أُسبوعيًا ولكن لا يُفكر أن بفضله قد ساعد العائلة في أشياء كثيرة وتسبب في ترقيته ليُصبح نائب

رئيس مجلس إدارة وهو يُعتبر أصغر نائب رئيس مجلس إدارة على مستوى الشركات المُماثلة,وكان يُفكر أن يكتفي بعلاقته مع ثُريا دون تخطي أكثر من ذلك,وقابلها ذلك المساء وكانت على غيرُ عادتها يبدو عليها الارتباك فقال لها

-أنتِ مُتغيرة,أيوجد شيء؟

استجمعت أمرها وأجابته

-عندما عرفتك بالسيد منصور كان ذلك بسبب سفري إلى باريس,سأسافر هُناك كمُلحق ثقافي للسفارة ولا أعرف متى سأعود.وبالتالي لن أُقابلك وأخشى أن أكتب لك خطابات تُفهم بشكل خاطيء.

قال مبهوتًا

-ما هذا الذي تقولينه؟!

ثم ساد الصمت فترة فقالت بأسف

-أعتقد إن الأمر سيستمر لفترة طويلة لا أعلم مداها.

قال بحزن

-إن ما تقولينه يُعذبني كثيرًا.

قالت له

-ستجد في عائلتك من يواسيك,وإني أنصحك بصداقة ابنك محمد الذي كبر والتحق بكلية الهندسة ليكون كعمه مدحت والاهتمام بوالديك أكثر والتودد إلى زوجتك نادية.

قال لها

-إني أتعجب من كلامك هذا!

قالت له

-طوال عمري أقول لك إنك لا تفهم شيئًا.

ثم ضحكت فقال لها

-بالفعل أنا في حيرة,حيرة شديدة.

فقالت له مُصارحة

-الآن قد وصلنا لآخر الخط كما يقولون,وأعترف لك إنني لم أُحب أحد غيرك,ليس حب تملك,كنت أسعد برؤيتك سعيدًا وبقربي منك دون أي مسئولية أو خطيئة,والحقيقة إنني سوف أقترن بأحد الزملاء وأُسافر معه كما قلت لك,ولا أدري متى سأعود,وحتى إذا عُدت فلا أدري إن كان سيمكن مُقابلتك في المجتمع أم لا,وأغلب الظن إذا رأينا بعضنا سيكون لقاءً عابرًا كأغنية أم كلثوم وتلاقينا لقاء الغرباء ومضى كل إلى غايته لا تقل شئنا فإن الحظ شاء .

كان واضح عليها إنها حزمت أمرها ولن تُجدي أي مُناقشة معها,والعجيب إنه شعر في هذه اللحظة فقط إنه يُحبها بعمق لم يكن يراه من قبل,ومرة أُخرى جاءت أغنية أم كلثوم"فات الميعاد"وتمالك نفسه وقال

-وكيف يُمكن أن أنساكِ؟

أجابته وقد عادت لبعض طبيعتها

-إذا نسيتني تُصبح قليل الأصل,لا تنساني وغالبًا لن أنساك ولكن الطرق تفرقت.

وقامت دون أت تُصافحه وانصرفت..

تلفت إليها وأخذ يُتابعها بعينيه وهو غيرُ مصدق أنه لن يراها مرةً أُخرى.

****

الفصل الثالث والتسعون مصر الجديدة

خرج مُنير مذهولًا وغيرُ مصدّق وخشى بعودته إلى المنزل أن تُلاحظ نادية شيئًا وتُلاحقه بأسئلتها ووجد نفسه تلقائيًا يتوجه إلى منزل شقيقته هُدى بمصر الجديدة وهي تُقيم بمفردها مع ابنها أحمد أو عند حماتها,وبالفعل وجدها عند حماتها فقال لها

-أُريدك في أمر هام.

وتعجبت هُدى,فليس من عادة مُنير أن يأتي لها في مثل هذه الساعة المُتأخرة وخشيت أن يكون حدث بينه وبين نادية خلاف أو أن الوالدين حدث لهما مكروهًا فاستاذنت من حماتها ونزلت إلى شقتها ومعها مُنير الذي قص عليها ما حدث مع ثُريا وقالت له

-ثُريا إنسانة مُحترمة جدًا وكنتُ أعلم إنها تُحبك وأنت تقول إنها صداقة فقط,ولكنها على كل حال لها تأثير كبير في حياتك,أرجوك اقترب من نادية أكثر واخرج معها كما كنت تخرُج مع ثُريا,وأنا واثقة من قدرة نادية إذا أعطيتها فرصة وجعلتها تحتل مساحة أكبر في حياتك.

قال مُنير

-أنا أحب نادية لكن الزواج..

فقاطعته قائلة

-الزواج هو الحاضر والمُستقبل والاستقرار والاستمرار ودونه علاقات عابرة.

ودار المُفتاح بباب الشقة وفجأة دخل محمد وهو يُنادي بأعلى صوته

-هُدى..هُدى..

فأسرعت إليه وطوقته بذراعيها ثم تذكرت وجود أخيها فأشارت له بعينيها فدخل وأخذ مُنير بالأحضان وقال له

-أنت شهم لسؤالك على أختك في غيابي.

قال مُنير هازًا رأسه

-سوف أذهب الآن.

قال محمد

-تناول عشاءك معنا واخذ أجازة24 ساعة.

سأله مُنير

-كيف أحوالكما؟

فأجابه محمد

-قائدنا حُسني مُبارك يُشغلنا كأن الحرب سوف تقوم غدًا,دُشم ومخابىء مُحصنة للطائرات, تدريب نهاري وليلي وتطوير ما لدينا من طائرات,تطوير للطيارين والأطقم المُساعدة بحيث تقوم الطائرة بخمس طلعات يوميًا والمُعدّل العالمي لا يزيد بأي حال عن ثلاث طلعات يوميًا,أستطيع أن أؤكد لك أن ما حدث في يونيو الحرب الماضية من ضرب للطائرات وهي على الأرض لن يتكرر بأي حال من الأحوال.

قال مُنير

-هذه أخبار مطمئنة وبالتوفيق دائمًا.

وعندما غادر مُنير قال محمد لهُدى

-كيف الأحوال؟

فأجابته

-أحمد بأعلى مع ماما وهما الاثنان جيدان.

فوضع يده على بطنها وقال

-وأخبار من هُنا؟

أجابته ضاحكة

-في أحسن حال,اذهب واغتسل وسوف أُحضر لكما العشاء في الحال.

كان الجو حارًا في سبتمبر عام1970 وكذلك كانت الأحداث ساخنة.

****

الفصل الرابع والتسعون"الإسكندرية"

عاد مُنير إلى منزله ووجد الجميع نيام وفكّر في إنه يحتاج إلى الانفراد بنفسه وكان من الأفضل أن يأخذ أجازة ويُسافر إلى الإسكندرية لبضعة أيام يستطيع فيها أن يُعيد دراسة أوضاعه ومواقفه وترتيب أفكاره,وفي الصباح الباكر حضّر حقائبه سريعًا وقال لزوجته

-أنا مُسافر في عمل لثلاثة أيام إلى الإسكندرية وأُفضّل أن تذهبي والأولاد تجلسي مع طنط ليلى وعمي محمود بالمنيل.

قالت نادية

-أنت مشغول هذه الأيام كثيرًا عن المنزل وأحتاج سيارة من أجل الأولاد.

قال لها

-لست أُريد منكِ القيادة,وأي مشوار تُريدينه أقوم به.

قالت له ضاربة مثلًا

-هُدى تقود وهذا يُساعدها ويوفر وقتها.

قال

-وسهير أختك لا تقود.

قالت موضحة

-سهير كل مشاويرها في الروضة والمنيل,وعندما تذهب أبعد من هذا تكون هُدى معها.

قال زافرًا

-سأحدث هُدى إذا احتجتِ لأي مشوار.

قالت له

-ألا تعلم أن هُدى حامل بل في آخر أيام الحمل أيضًا.

قال

-أتحدث عن الأوضاع التقليدية.

قاطعته

-المواصلات أصبحت مُستحيلة بسبب الازدحام ويسألك السائق قبل ذهابك"أين تذهب وكم ستدفع؟"ويجعل آخر يستقل السيارة معك في الطريق,وبالطبع لأنك تمتلك سيارة لا تشعرُ بهذا الأمر.

قال هازًا رأسه متجنبًا شجارًا مُحتملًا
-دعيني أفكر في الأمر.

قالت له

-عند عودتك إن شاء الله تذهب وتشتري سيارة وتبحث عن شخص يقوم بتعليمي القيادة.

قال هازًا رأسه

-ليس لدي أي رغبة في الشجار الآن,أراكِ على خير.

كان في حيرة,أيُقيم في شقتهم بالإسكندرية أم في فندق ولكنه استقر أخيرًا في الإقامة في الفندق حتى لا يُشغلُ باله بأي خدمة يُريدها فهو يُريد الراحة والتفكير والاسترخاء فقط.

في المساء جلس في كازينو على كورنيش الإسكندرية وجاء على خاطره ثُريا,يعرفها قبل أن يعرف نادية ولكنها مع طول الوقت تسللت إلى أفكاره إلى نفسه وهي لها أفضال عليه ورغم اختلافه عنها حدث بينهما توافق وتكامل وأعجب بشخصيتها وتصرفاتها وذكاءها,وهي لم تكن عبئًا عليه في يوم من الأيام ولم تطلب منه شيئًا فكيف كانت تُحبه واستطاعت أن تُخفي ذلك طوال هذه المُدة تحت ستار الصداقة والاهتمام,وحتى عندما اختار نادية وتزوجها لم يظهر عليها غيرة أو رغبة في إفساد الأجواء وقد كانت تستطيع-على الأقل- المُحاولة,وكيف كانت تهتم بولديه وتسأل عنهما دائمًا,ثم من التي تزوجته؟ولماذا الآن؟لماذا تبتعد الآن؟ثم فكّر في نفسه, في أنانيته,ماذا يُريد منها؟أن يظل الوضع هكذا لا زواج ولا فراق كما هو الحال بعد هُدنة حرب الاستنزاف,لا سلم ولا حرب؟لقد فعلت ثُريا الصواب واختارت الطريق المُناسب,ثم يجب عليه أن يحمد الله أن زوجته لم تعرف هذه العلاقة حتى الآن,فلو عرفت لكانت خيّرته بين الاستمرار في صداقة ثُريا أو الطلاق,والحمدلله أن شقيقته وسهير تكتما الموضوع بل وتأكدا أن الموضوع مجرد صداقة قديمة, ولكن كيف

سيتخلص من تأثير ثُريا؟وما هو البديل عنها؟هل كما قالت هُدى أن يرتبط أكثر بنادية وتُصبح صديقته وليست زوجته كما كانا أيام الخطوبة والزواج في البداية؟لديه نظرية تقول أن المرأة المصرية بعد الإنجاب تتحول إلى أم وربة منزل فقط, وهذه الأيام ومع العمل أصبح الزوج رقم4 في حياتها أو رقم10 ويتحول الزوج إلى جيب وليس حبيب ولا شيء بين الزوج وزوجته إلا الالتزامات والأولاد,ويضطر الزوج إلى الذهاب إلى القهوة أو يذهب لأي مكان كي يفسح المجال,ففكرة أن يُصادق زوجته فكرة وهمية,ولكن عزت زوجته سهير صديقان في العمل وكان لا يوجد أولاد حتى وقت قريب وهدى ومحمد لا يُمكن الحُكم على علاقتهما الآن ومدحت وسوزان شيء آخر,وقال لنفسه"لو عُدنا للزمن فأبي وأمي شيء آخر, استطاعا أن يحققا التوازن المطلوب,فأبي مُختلف عني,كان يعمل بلا توقف,حياتُه كُلها عمل ولكن سبحان الله,كيف استطاعت أمي انتظارة كل هذه المُدة بلا اعتراض أو شكوى,وأي امرأة تفعل ذلك الآن؟."

أما محمود وليلى فعلاقتهما مُستقرة مع اختلاف الشخصيات,فربما تُسيطر شخصية على شخصية أُخرى والتوازن قليل,أما عن الأحوال بصفة عامة فعودة والدي قد حسّنت الوضع الاقتصادي للعائلة جدًا,صحيح لم نعُد كالماضي ولكن المزرعة تعمل بكفاءة وسرعة غير متوقعتين,وأصبحت تُدعم جميع بيوت العائلة,وتعجب تفكيره في جيله والجيل الذي قبله ولا يُفكر في محمد الذي أصبح شابًا مُحترمًا في كلية الهندسة,لماذا لا يملأ الفراغ؟

لكن صعب بسبب وجود فجوة دائمًا بين الأجيال تضيق أو تتسع ولكنها موجودة,فلكل جيل اهتماماته ووسائله وطُرقه وأهدافه وآماله.

ووصل إلى نتيجة أن فراغ ثُريا لا يُمكن ملؤه بشخص,وربما بالعمل,فيعمل في مجاله مع عائلته حتى لا يجد وقت للتفكير خاصة في هذه الفترة,وعندما عاد إلى الفندق وجد تليفون من هاني منصور فاتصل به وقال له هاني

-أين أنت؟

أجابه باقتضاب

-في أجازة.

قال له هاني منصور

-لو سمحت,عُد في أقرب وقت.

سأله

-أيوجد شيءٍ ما؟

قال له هاني بحزم

-عُد غدًا صباحًا.

فقال مُنير

-حاضر.

ثم سأل الاستقبال

-أيوجد شيء؟

فأجابه الموظف

-يبدو هذا,المحطات كلها على إذاعة القرآن والبرامج كلها مُتوقفة.

كانت الأحداث ساخنة في تلك الفترة, فلقد حدثت حرب بين الأردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وقد دعى– وقتها-الرئيس جمال عبدالناصر لعقد مؤتمر قمة عربي لحل النزاع وبالفعل تم الصلح وكانت الوفود تتجه إلى بلادها ثم ظهر النائب محمد أنور السادات على شاشة التلفزيون وقد وجم الحاضرون,وكان بيانه عزاء للأمة في فقدان ووفاة الزعيم الرئيس جمال عبدالناصر وقد جلس مُنير مذهولًا هو وجميع النُزلاء,فماذا ستفعل مصر بدونه؟لقد حاول التنحي بعد يونيو قبل ثلاث سنوات ولكن الشعب أعاده, واليوم ذهب ولن يعود,حبيب الملايين وزعيم العروبة وعدو الاستعمار ومُحرر الشعوب,ذهب مبكرًا,فعمره تجاوز الخمسين بقليل ورغم مرضه كان عملاقًا وحوله فريق من الأطباء,فكيف حدث هذا؟هل الوفاة طبيعية أم مؤامرة اغتيال؟ومن الذي سيتولى بعده حكم البلاد,ولا يوجد أحد بقامته أو حتى قريبًا منه,وكيف ستسير الأمور؟شغله الهم العام عن همه الخاص وعزم على السفر في الصباح الباكر واتصل بالقاهرة ليطمئن على العائلة فوجدهم جميعًا يبكون ولا يُريدون الحديث.

****

الفصل الخامس والتسعون جنازة

كانت جنازة الزعيم القائد البطل الرئيس جمال عبدالناصر جنازة مُهيبة,خرجت ملايين الشعب لوداعه الأخير "رحمه الله رحمة واسعة"ومهما اختلفت الآراء حوله ورغم هزيمة1967 القاسية فقد كان لعبدالناصر بصمة,وقد أحدث تغيرًا كبيرًا امتد إلى خارج مصر والدول العربية والإسلامية والعالم الثالث,ولا أعتقد أن أحدًا يُمكن أن يتنبأ بما ستأتي به الأيام القادمة.

كانت هذه كتابات عزت ورؤيته عن الوضع الراهن وعن جنازة القرن.

****

الفصل السادس والتسعون)أمومة(

من الأيام الأولى لشهر أكتوبر بعد وفاة الرئيس وضعت هُدى مولودها الثاني وكان طبيعيًا في هذه الظروف أن يكون اسمه ناصر, وقد لحقتها سهير فوضعت مولودة جميلة وتساءلت) ماذا نُسميها؟(فاقترح عليها مُنير أن يكون اسمها ثُريا فابتسمت وسألت عزت فقال لها

-ثُريا اسم جميل.

ووافق على الاسم.

****

الفصل السابع والتسعون)محمد(

عندما أدار مُنير مُفتاح المنزل كانت زوجته نائمة على الأريكة في انتظاره فاستيقظت فسألها

-ما الأمر؟

أجابته

-اجلس,يجب أن تتعامل مع ابنك,كبر ولم يعد ينصت لكلامي مثلما كان في الماضي,تفكيره مشوش للغاية,يقول)لن أذهب للكلية وسأتطوع في الجيش لأُدافع عن البلد وأُحررها(وأوقات يقول)سأطلب تجنيدي(ويقول في بعض الأحيان)سأترك الكلية وأقوم بأي عمل,ما فائدة التعليم,بالخارج يعملون فنيين(والحقيقة عندما قال ذلك قلت له)أجننت أم ماذا؟,!أتُريد أن تكون سباكًا,ولا نقاش,واللهِ إذا لم تبتعد عن هذا التفكير لأُريك أيامًا تكون وبالًا عليك,لست أتحمل,أين أبوك يأتي يرى ما يفعل بك(ولم أشعر بنفسي إلا والشبشب عليه,دخل غرفته ورفض أن يفتح لي الباب عندما جئت له بالعشاء,لست أدري يُشبه من؟!

هز مُنير رأسه وقال

-ادخلي للنوم وسأتحدث أنا معه.

قالت مُنذرة

-واللهِ إن لم يبتعد عن أفكاره ويستقيم لأترُك لكم المنزل.

قال لها مُنير

-سأبحث الموضوع,هدئي من نفسك.

وجلس يُفكر في حل,لا يُريد أن تنام نادية وهي غاضبة,وفي الصباح لن يكون هُناك وقت للحديث لذهابه للعمل,فالأفضل أن يحاول حل الموضوع الآن,وطرق الباب على محمد الذي فتحه وابتعد فقال له

-لماذا أغضبت أمك؟

فأجابه الابن

-أنا سمعت كل الذي قالته ماما,وأنا أُحب الميكانيكا وإصلاح السيارات,وكان غرضي العمل ميكانيكيًا في أوقات الفراغ ولكن..

قاطعه مُنير

-المثل يقول)صاحب بالين كذاب(وكلية الهندسة كلية صعبة ودراستها تحتاج إلى كل وقتك,وإذا كنت تُحب الميكانيكا فمن المُمكن أن تلتحق بقسم الميكانيكا وتُصبح مُهندسًا ميكانيكيًا,وأنا على الاستعداد بعد الانتهاء من دراستك على خير أن أفتح لك ورشة مُحترمة لإصلاح السيارات,أما موضوع الالتحاق بالجيش فسوف يتم تلقائيًا بعد إنهاء دراستك الجامعية,يا محمد ليس من المعقول أن تكون مُتفوقًا ونجيبًا وتُفكر بهذه الطريقة,وأين مثلك الأعلى عمك مدحت الذي تعلم ودرس.

قال محمد

-ماما لم تحتمل المُناقشة ولم تصبر,ومن مثلي وفي مثل سني لا يُضرب بالشبشب.

وهُنا أقبلت نادية وقالت

-وهل جاء فيك الشبشب,ألم تبتعد عنه؟

فقال محمد

-وماذا يقول عليّ أصدقائي؟

هز مُنير رأسه مطمئنًا

-لن يعرف أحد شيئًا يا محمد,أنت أمل العائلة ومستقبلها,أنت أمل جدك عبدالقادر وجدتك سُعاد وجدك محمود وجدتك ليلى.

فقال محمد خافضًا رأسه

-أنا آسف يا أمي.

قالت نادية

-أنا مُرهقة طوال النهار,ولا أملك صبرًا وأُريد أن أراك أفضل شخص في هذه الدُنيا.

قال مُنير

-البلد تحتاج العاملين والمُنتجين.

قال محمد مُعارضًا

-جدي عبدالقادر ليس مُتعلمًا تعليمًا جامعيًا.

قال مُنير

-ولكن يملُك ثقافة وخبرة وكفاءة وفكر يجعله أستاذ ودكتور أيضًا.

هز محمد رأسه وقال مُتفقًا

-أنا أقصد هذا.

قال مُنير

-انهي الجامعة على خير وافعل ما تُريده.

قال محمد

-إن شاء الله يا بابا.

قالت نادية

-لا تقل لي هذا الكلام ثانيةً.

قال

-حاضر يا ماما..أعدك.

أخذته نادية بين ذراعيها ولما ذهبت هي ومُنير إلى غرفتهما قالت له

-شكرًا.

فنظر إليها بمودة وقال

-أنا قررت شراء السيارة التي تُريدينها.

فظهر السرور على وجهها.

****

الفصل الثامن والتسعون المقهى من جديد

قال محمود

-مصر ولاده,الرئيس السادات يسير بالبلد والكل لا يرتاح ولكنها البداية الجديدة.

قال مصطفى

-الرجل يقول إنه يسير على طريق عبدالناصر ولكن هو يمسح ب"أستيكة" ما فعله المرحوم الخالد.

قال عُمر

-قام بثورة أسماها ثورة تصحيح,يعترف أن فية أشياء كثيرة كانت خطأ,والانقلاب السلمي الذي قام به على الحرس القديم الموالي لعبدالناصر,وإلغاء الحراسات وزوار الفجر وسيادة دولة القانون والعفو عن المُعتقلين السياسيين وفتح المعتقلات.

قال عبداللطيف مُحللًا

-لديه مشاكل كثيرة بالداخل والخارج,الروس لا يقبلونه ولا يثقون به,والشيوعيون لا يُريدونه,ولا ترى فيه الدول العربية زعامة ناصر,وهو يؤكد أن حرب التحرير هذا العام وهذا لن يحدث,من يُريد الحرب لا يقول إنه سيُحارب,وبالطبع الغرب وأمريكا يُتابعون,الحقيقة الموقف شديد التعقيد.

قال مصطفى

-للأسف رغم إيجابيات النظام السابق إلا أن أشد السلبيات التي حدثت عقب الثورة كانت إلغاء الأحزاب,لم تكن هناك حياة سياسية تؤدي إى ظهور القادة أو الزعماء.

قال محمود

-لكن الحركة التي قام بها الرئيس وطرد الخُبراء الروس حركة عجيبة للغاية,لا سيما في هذا التوقيت بالذات.

قال عبداللطيف بهدوء

-هذه أفضل الأعمال التي قام بها إذا كان سيُحارب فعلًا.

قال عُمر

-هو يُحاول يفهّم الغرب إنه مُختلف وإنه ليس على وفاق مع السوفييت,الرافضون للتعاون معه بالفعل.

قال مصطفى

-هو ينحاز للجانب الأمريكي قليلًا,وطرد الخبراء السوفيت كما يقولون رمى بياضه

قال عبداللطيف

-انتقد الكثيرون هذا التصرف وقالوا كان يجب أن يكون فيه مقابل من الغرب

عُمر:

-ربما كان هُناك مقابل بالفعل ولكن غيرُ مُعلن عنه.

بانتقاد قال عبداللطيف

-كل الأمور تؤكد أن السادات يسير عكس عبدالناصر.

لوح محمود بيده وقال

-هذه عادة مصرية من أيام الفراعنة,كل شخص يأتي يمحي أعمال ما قبله,نحن على هذه الحالة منذ آلآف السنين.

قال عبداللطيف

-أين عبدالقادر بك,لماذا لا يأتي إلى القهوة معك يا محمود,والله افتقدناه.

قال محمود زافرًا

-مشغول يا سيدي في المزرعة,وهو يحب الجلوس في المنزل ويكون الاجتماع عنده.

قال مصطفى

-وما المُشكلة في البيت في البيت,حتى الاجتماع هُناك أحسن.

قال محمود

-هو قادم قريبًا,ربنا يسهل.

قال عُمر مُنبهًا

-هذا وعد منك إن شاء الله.

****

الفصل التاسع والتسعون(1973)

في رأس السنة عام1973 اقترحت سعاد على عبدالقادر عمل احتفال بسيط يضم العائلة كُلها واقترح محمود أيضًا أن يحضره أصدقاؤه والذي توطد علاقتهم مع جميع أفراد العائلة وجلس الجميع في شقة المنيل للعشاء الفاخر والمكون من ديك رومي وأرز بالخلطة وتفاح أمريكي وموز مُستورد وتورتة شيكولاتة وأصناف مُختلفة من المشروبات,وكان هذا الاحتفال بمُناسبة نجاح عبدالقادر في مشروعه أيضًا بمُناسبة افتتاح مدرسة جديدة من سلسلة مدارس,عزت وجمعت السهرة الجميع,رجال ونساء وشباب وحتى أطفال,وغاب عنها محمد عبدالمقصود لعدم استطاعته الاستئذان ولكن حضرتها والدته وجلسوا قبل تناول العشاء وقال مُنير لعزت

-ألف مُبارك,أنا زرت المدرسة الجديدة وهي أفضل كثيرًا من المدرسة السابقة,أكبر في الحجم وبها فناء واسع.أنت نجحت تمامًا في مشروع المدارس وكانت فكرة موفقة.

قال عزت

-الفضل لله ولتعاون الجميع معنا,نحن نعمل كأسرة واحدة,وعملُنا جماعي والحقيقة نحن في احتياج حقيقي لإنشاء مدارس جديدة,فالحكومة لا تستطيع بناء مدارس جديدة الآن,وبعض المدارس تعمل ورديتين,وأُتلغت تمامًا حصص الأنشطة والألعاب إلا في مدارس قليلة,وارتفع عدد التلاميذ في الفصل الدراسي فتجاوز الأربعين طالبًا,وهذا على حساب مستوى التدريس.

قالت سهير

-حتى الأساتذة إيمانهم برسالة التعليم تغير,وأصبح همهم إعطاء الدروس الخصوصية والمجموعات التعليمية وهذا بسبب ضعف رواتبهم الرسمية.

فقال عبداللطيف

-هذا موضوع خطير جدًا,التعليم أساس الأُمة ومجانية التعليم إنجاز كبير للثورة.

قال محمود

-المهم الكيف وليس الكم.

قال محمد

-مناهج التعليم ليست جيدة أيضًا وتُركز على الحفظ وليس الفهم.

قال مصطفى مؤيدًا هازًا رأسه

-هذه مُشكلة كبيرة ولكن منسية,من سيفكر الآن في التعليم؟البلد لديها مشاكل كثيرة أُخرى.

قالت سُعاد

-هم يُنسي هم آخر.

قال محمد بغتة

-أُريد أخذ رأيكم في موضوع ولكني مُتردد.

قال محمود مشجعًا

-نحن نُريد سماعك وسماع كلامك.

قال محمد

-هُناك شخص من الزملاء يقول أن سعد زغلول خاين لإنه جلس مع الإنجليز.

فنظر بعضهم إلى بعض قبل أن ينفجروا ضاحكين وقال محمود

-إذاً فكل الناس خائنون,كل الناس أيام الإنجليز جلسوا مع الاحتلال.

قال مصطفى مُتحمسًا

-سعد باشا زغلول زعيم الأُمة المُطالب بجلاء الإنجليز تم اعتقاله هو ورفاقه عندما ذهبوا ليتفاوضوا مع الإنجليز على الجلاء,وقتها سأله الإنجليز من أنت وما الدليل على تمثيلك للمصريين ؟فكانت فكرة جمع التوكيلات فكرة عبقرية,قيام الشعب المصري بجميع أطيافه,مسلمون ومسيحيون,عمال ومثقفون وفلاحون,رجال ونساء,كلهم قاموا بجمع التوكيلات الموثقة لسعد ورفاقه تدعيمًا لموقفهم أمام الإنجليز,واشتعلت البلاد بالثورة التي استمرت أربع سنوات من1919 حتى دستور..1923 كانت الثورة تُطالب بعودة سعد وجلاء الإنجليز,ورُفع الهلال مع الصليب وتخرج المظاهرات تلو الأخرى ويُطلق عليها النار ويسقط الشُهداء وتكوّن حزب الوفد الذي ضم جميع طوائف الشعب من الإسكندرية لأسوان تحت زعامة سعد باشا زغلول وظل حزب الأغلبية الشعبية حتى قامت ثورة يوليو1952وتم إلغاء الأحزاب.

قال عُمر

-ثورة1919ثورة مُلهمة لكل الشعوب,حتى المهاتما غاندي اتخذها مثلًا له في الكفاح الشعبي السلمي الذي انتهى بتحرير الهند من الاستعمار الإنجليزي كما تحررت مصر.

قالت نادية

-سألني محمد عن هذا الموضوع فقلت له انتظر حتى تُقابل جدك وأصدقاءه

قال محمد

-يقولون أن أحمد عرابي باشا كان هو الزعيم؟

قال عبداللطيف

-أحمد باشا عرابي بالتأكيد من زعماء مصر الذين قاوموا ظلم عائلة محمد علي وتفريقها بين الجيش الواحد وتمييز الضباط الأتراك والأرناؤوط على الضباط المصريين.

قال عُمر بخبث

-لكن هوجة عرابي ضد الخديوي توفيق حاكم البلد كانت صراعًا على السلطة أدى إلى استغلال الإنجليز لهذا الصراع واستعمارنا,كانوا يُحاولون منذ زمن ولكن لم يكونوا قادرين.

قال محمود

-الصراع على السلطة يُضعف البلد,وأعداء البلد والطامعين فيها كثيرون.

تساءل محمد

-وأسرة محمد علي؟

قال محمود

-لهم فضل كبير على انتقال وحضارة وتحديث مصر,شقوا الترع وبنوا الكباري والإنشاءات,وأقاموا جيش مصر الحديث,وأرسلوا بعثات تعليمية للخارج وكانت مصر أيامهم قوية اقتصاديًا والناس يأتون للعمل بها من كل مكان.

قالت نادية

-البشمهندس محمد له "شلة" من جماعة الشيوعيين ويتحدثون من وجهة نظرهم.

قالت سهير

-كان يوجد مادة كتاب9يُدرس للطلبة اسمه الميثاق كان صعبًا للغاية على الطلاب وليس لسنهم أبدًا.

قال عبداللطيف مُتعجبًا

-عبدالقادر بك,أنت في منزلك وجالس صامت؟

قال محمود لعبداللطيف موضحًا

-عبدالقادر طبعه هكذا,يحب الاستماع ثم الحديث في النهاية.

ابتسم عبدالقادر وقال

-نحن أصبحنا من جيل سابق,ولكن أُريد أن أخبرك بشيءٍ هام يا محمد.

صمت وأشعل سيجاره وناول علبة السيجار لمن يُريد التدخين حوله ثم قال

-مصر عام1919 كانت على فكر واحد مثّله حزب الوفد,فهو حزب وطني واسع لجميع الفئات والأطياف والطبقات الاجتماعية وحتى الأديان,نابع من البلد له سمات الأحزاب السياسية العريقة,وحتى مع انفصال بعد أعضائه وتكوين أحزاب أُخرى تحت عباءة الوطنية المصرية.أما الشيوعية أو الاشتراكية فهي أيديولوجيا أو عقيدة وافدة من الخارج ويروج لها على إنها فكر عالمي,وستُثبت الأيام القادمة على إنها عبارة عن شعارات غيرُ قابلة للتطبيق,بل يكاد يكون تأثيرُها سلبيًا,وكذلك الإخوان لهم فكر يتعدى حدود الوطن ويصل إلى العالمية,وأنصحك يا محمد بعدم الانضمام لأي فريق منهما,أما حزب الوفد والأحزاب الوطنية الأُخرى فقد انتهت بقيام ثورة يوليو ولا يوجد سوى حزب واحد يحتكر السلطة ويتفذ رغبات الحاكم مع عمل بعض المصالح لأعضائه,ثم الفئة الأخيرة وهي فئة الوطنيين بلا أحزاب ولا عمل سياسي فعلي ظاهر,وهم من يعملون لصالح البلد.

فقال محمد مُتسائلًا

-أليس من المُمكن رجوع حزب الوفد مرةً أُخرى؟

أجابه عبدالقادر

-تحتاج الأحزاب لقادة ومُفكرين ورجال أعمال للصرف عليها,فلا أظنُ إمكانية ذلك والظروف غير مُهيأة.

قال مصطفى هذه المرة

-لا صوت يعلو فوق صوت المعركة.

قال عُمر مُنبهًا حكيم الجلسة

-يا عبدالقادر بك,أنت نسيت الجيش في المُعادلة,وأنا أُراهن على أن الحكم سيظلُ في يد الجيش خمسين سنة أُخرى على الأقل.

قال عبداللطيف

-وماذا في هذا؟..الجيش وطني وقادته وطنيون ومُخلصون لبلادهم.

قال عبدالقادر مُشيرًا بيده

- لكن العبرة بتداولُ السلطة وعدم مكوث القائد في الحكم إلا لمُدة مُحددة,هذا أفضل للبلد,وعندما يكون هُناك نظام سياسي مُستقر هذا أفضل ويُحسّن الاقتصاد كثيرًا وبالتالي يُفيد المجتمع,أما إذا اعتمد الحكم على شخص واحد فيُعتبر حكمًا غيرُ مُستقر.

قال عزت

-الملك رحل بثورة,محمد نجيب رحل بخلاف وإقامة جبرية,عبدالناصر توفى,كُلها تغييرات دراماتيكية.

قال مُنير

-كل واحد يأخذ البلد في اتجاه آخر.

قال محمود مُنبهًا

-يا محمد ابتعد عن السياسة فهي غيرُ مُفيدة,ومن يُريد إفادة وطنه يُفيده بعمله وجُهده واجتهاده.

قالت نادية

-نحن جميعًا نعمل,ولولا هذا لذهبت البلد منذ زمن.

قالت سهير موضحة

-الإخلاص أيضًا في العمل,وليس الذهاب للعمل فقط.

قالت ليلى

-تفضلوا,العشاء جاهز.

وأخيرًا قالت هُدى

-الأيام القادمة ستكون أفضل إن شاء الله.

وانهمك الجميع في تناول الطعام والشراب.

****

الفصل المائة مُظاهرات

دُعي إلى إضراب عام عن الدراسة داخل كلية الهندسة,ووقف الكثيرون عند مدخل الكلية وقام البعض بالخطابة وقالوا إنهم يكذبون علينا,كُل سنة يقولون سنُحارب هذه السنة,لقد حدث ضبابًا,!!والسنة التي تليها الأحوال غير مُناسبة,وأرضنا ضاعت منا وأهلونا مهجرون .

وكانت الأجهزة الأمنية بالطبع على علم بما يحدث وقد تقرر الخروج بالمُظاهرة إلى ميدان التحرير بوسط البلد,وخطر على بال محمد ومعه بعض الأصدقاء أن يُشاركوا في المُظاهرة خاصةً وأنهم أعلنوا أن بعض الزملاء قد تم القبض عليهم واعتقالهم ولم يظهروا حتى الآن.

وفُتحت أبواب الكلية على مصارعيها وخرجت المُظاهرة وبها بعض الطالبات وسارت حوالي مائتي مترًا حتى وُجدت متاريس الأمن المركزي والجنود يحملون الدروع والعصي ويغلقون الطريق تمامًا أمام المُظاهرة وهتف أحد قادة المُظاهرة اجلسوا في أماكنكم على الأرض وجلس الصف الأول بالفعل ولكن فجأة تحركت قوات الأمن المركزي تجاه المُظاهرة وانطلق الجميع في الاتجاه المُعاكس,وحدثت اشتباكات مع بعض الطلبة المُسلحين بالطوب وعساكر الأمن المركزي المُسلحين بالعصي والهراوات,وقد كانوا مدربين جيدًا وأجسامهم قوية وقد جرى أحد الجنود خلف مُتظاهرة بعينها وتصادف مرور أحد الأوتوبيسات فحاولت استقلاله ولكنه جذبها من ساقيها وأسقطها وتماسكت واستدارت وخرشمت وجهه بأظافرها قبل أن يفصل الشباب بينهما,وعادت المُظاهرة إلى الجامعة وأُغلقت الأبواب ولم يدخل الأمن ولكن بدأت قنابل الغاز المُسيل للدموع فبدأ الطلبة يذهبون لأبعد مكان في الكلية لتفاديه وما أن هدأت الأمور قليلًا حتى أسرع محمد بالخروج وسار في عكس اتجاه المُظاهرة إلى الروضة ثم المنيل عند بيت جده الذي استقبله مُتعجبًا فقصّ عليه محمد الأحداث الساخنة فقال له الجد

-دائمًا المُظاهرات هكذا,كان زما ن احد الصيع او البلطجية اثناء

الطابور يصعد الفصول بأعلى ونحن في المدرسة ويهتف) اليوم حرام فيه العلم(وآخرون يقومون بفتح الباب وتخرج الطلبة ثم يندس في المُظاهرة بعض البلطجية والفتُوات ويقومون بتحطيم واجهات المحلات وسرقتها ثم تأتي الشرطة فيتفرق الجميع.

قال محمد

-الجو في الجامعة مُكهرب لأن هُناك طلبة مقبوض عليهم.

وفي المساء أذاع الراديو تعليق الدراسة لأُسبوعين لحين عودة الأمور إلى نصابِها.

****

الفصل المائة وواحد رمضان

أتى رمضان في أواخر شهر سبتمبر وكعادته يتجمع الجميع على موائد الإفطار العامرة كل حسب إمكانيته وكان مُنير يحب الخروج قبل المغرب بساعة ويشتري بعض احتياجات المنزل,فاكهة وحلوى وكان يصحب محمد معه,وفي ذلك اليوم..يوم6 أكتوبر أُذيع بيان بوجود اشتباكات على الجبهة بقناة السويس ثم اتّباعه بيان بأن قوتنا تقصف مواقع العدو على طول الجبهة بعد قيام سلاح الطيران بغارة ب220طائرة على مواقع القيادة والمطارات في عمق سيناء,وكان من الواضح أن حالة الهدوء التي استمرت ثلاث سنوات قد انتهت ثم ببيان أن القوات السورية تقدمت لتحرير القُنيطرة ودخلت وتوغلت داخل الأراضي المُحتلة,وقد تغيرُ سلوك الناس في هذه الأثناء,فالمُعاملات تتم بهدوء والشارع منضبط كما لم يحدُثُ من قبل والتزام كامل في كافة مناحي الحياة وقامت نادية وسلوى وهُدى بالتطوع في الهلال الأحمر وتجمعن في شقة المنيل وأصر مُنير على القيام بجولته المُعتادة فلاحظ أن السلوكيات مُختلفة وقال لمحمد

-نحن مُنتصرون بإذن الله"سبحانه وتعالى"

وكان الجنود قبل الغروب يعبرون بقواربهم المطاطية من الشرق إلى الغرب وصيحة الله أكبر..الله أكبر تهز الآفاق ولكن لاحظ مُنير ومحمد استماع الناس إلى الأخبار بقلقٍ وترقب.

وفي المساء كانت قوات الجيش الثاني والثالث الميدانيين قد عبرت قناة السويس في موجات مُتتابعة وانهار خط بارليف المنيع وعبر القناة ثمانون ألف مُقاتلًا وتم إنشاء كباري تمر عليها المُدرعات وحاول طيران العدو التدخل ولكن قوات الدفاع الجوي أجبرته على التراجع وصُدرت أوامر لطياري العدو بعدم الاقتراب من القناة لمسافة20 كيلو مترًا.

كان العبور عظيمًا بكل المقاييس وأدارت القوات المسلحة المصرية المعركة ببراعة عالية وقدّم الجنود البواسل أروع التضحيات والأمثلة في الشجاعة والإقدام,كان يومًا من أيام مصر استدعت فيه الثقة والروح والأمل.

****

الفصل المائة واثنان عزت ومذكراته

كان الجميع يستمعون إلى المحطات الإذاعية المصرية وأيضًا إلى الإذاعات الخارجية,وكانت الأمور حتى يوم 10أكتوبر تسير في صالح قواتنا بطريقة لا يتوقعها أو يتخيلها أحد,فبعد تحطم خط بارليف وعبوره نجحت القوات المصرية في استعادة ما يقرب من الخمسة عشر كيلومترًا من الأراضي المصرية المسلوبة بطول القناة,أما عن المعارك البرية فقد كان الانتصار حليفُنا,وقد دُمّرت جميع احتياطيات العدو وأُسر جنوده وأصبح الطريق مفتوحًا إلى الممرات الحاكمة بسيناء ولكن القوات لم تتقدم وخرج مصطلح يقول أن القوات المصرية قامت ب "وقفة تعبوية "وكلام آخر يؤكد أن عدم تقدم القوات حتى لا يقصفها سلاح الجو الصهيوني بعد الخروج من مظلة الدفاع الجوي, وأن بعض القوات قامت باستعادة ممر دون أن يصلها إمدادات فعادت,وكانت الخطة الرئيسة هي عبور القناة ثم الاستمساك بالأرض في هذه المنطقة والدفاع عنها وعدم تجاوزها,وفي نفس الوقت كان العدو الصهيوني ركّز على الجبهة السورية واستطاع دفع القوات السورية إلى داخل سوريا والتقدم إلى طريق دمشق حتى تمركزت القوات السورية في خط دفاعي حصين عند قرية سعسع وحشدت عشرات الآلآف من المُقاتلين هُناك وتدخلت القوات العراقية للدفاع عن الجبهة السورية واشترك سلاحها الجوي في المعركة,وفي اليوم الرابع عشر من أكتوبر قامت القوات المصرية منذ الصباح بهجوم بالمدرعات على طول الجبهة بهدف تخفيف الضغط على الجبهة السورية ولم تكن نتائج هذا الهجوم جيدة,فقد خسرت القوات المصرية الكثير من المدرعات ولم تنجح في اختراق مواقع العدو الذي تحصن بها في انتظار هذه الخطوة.ثم تسبب هذا الأمر في سحب القوات التي كانت تؤمن الخطوط الخلفية للجيش الثاني والثالث الميدانيين في غرب منطقة الدفرسوار في الوقت الذي كان فيه الرئيس السادات يُلقي خطابًا في مجلس الشعب ينهيء الشعب بالنصر حدث عبور لبعض قوات العدو عكسيًا لغرب قناة السويس,بدا الأمر بسيطًا في البداية ثم توسع بقوة رغم استبسال القوات لسد الثغرة في الشرق لكن عبرت قوات كبيرة تحت قيادة الجنرال المُتقاعد السابق أرييل شارون وقامت بضرب بعض.

قواعد الصواريخ المصرية وتدميرها مما أدى إلى وجود ثغرة يمكن لطيران العدو النفاذ منها وضرب قواتنا,وحاول العدو قطع الطريق على الجيش الثاني من الغرب ولكن تصدت له كتيبة من الصاعقة المصرية وأجبرته على التراجع,وحاول مرة أخرى في اتجاه الجيش الثالث جنوبًا وقطع بالفعل إمداداته ولكنه لم يستطع احتلال السويس الباسلة والتي صمدت بأهلها وساعدت الجيش برز الشيخ حافظ سلامة في المقاومة الشعبية,كما برز القائد المصري اللواءأحمد بدوي والذيي صمد لحصار العدو صمودًا يضرب له الأمثال,وكانت الموافقة على وقف إطلاق النار والأحوال في جبهات القتال مُتداخلة,ولكن الانتصار الحقيقي لمصر وسوريا هو إحداث أكبر قدر من الخسائر للعدو الإسرائيلي في الأرواح والمُعدات ولولا المساعدات الأمريكية العسكرية للعدو لكان الوضع تغير تمامًا وقد أعلن الرئيس السادات كلمته أنا لا أستطيع مُحاربة أمريكا(وفي نفس الوقت وقف العرب كلهم جميعًا وقفة رجل واحد ويذكر للملك فيصل إنه أوقف ضخ البترول إلى الولايات المتحدة وأوروبا مما أثار جنونهم وارتفعت أسعار البترول إلى أرقامٍ غيرُ مسبوقة.

****

الفصل المائة وثلاثة هُدى

كانت هُدى أثناء الحرب قلقة على زوجها الطيار محمد عبدالمقصود رغم إنها تعلم أنه يعمل في التدريب بالشئون الإدارية,فهي لم تسمع عنه أي أخبار ورغم دعوة العائلة لها للبقاء معهم في المنيل إلا إنها أصرت أن تكون مع حماتها أم محمد في مصر الجديدة,ورن جرس الباب ووجدت أبيها وعزت وسهير ومُنير على الباب وتعجبت في بادىء الأمر خاصة من وجود أبيها ولكن لم لا,فالحرب قد انتهت وقال لها أخوها

-كنا بالقرب من المكان فمررنا بكم.

قالت هُدى

-هُناك شىء,أحدث لماما شىء؟

فقال أبوها وهو يتمالك نفسه بصعوبة

-البقية في حياتك يا بنتي,محمد استُشهد.

فصرخت هُدى صرخة مدوية

-ماذا؟!!

فحضنتها سهير بقوة والدموع تنساب من عينيها وقالت

- إنا لله وإنا إليه راجعون

أما مُنير فقال لها

-رحمة الله عليه رحمة واسعة,عندما حدثت الثغرة أصر على الطيران في سرب لقصف قوات العدو,حاولوا إثناؤه ولكنه أصر وأحدث بالعدو خسائر كبيرة ولكنهم طاردوه وأسقطوا طائرته وقد تم ترقيته استثنائيًا وقد يحضر إليك القائد ليُعزيكِ.

وكان لديهم مهمة أصعب وهي إبلاغ والدة محمد.

سألتهم هُدى بين دموعها بصوت مُنتحب بتسليم

-ومن الذي أبلغكم؟

قالت عزت

-لقد حضر ضابط كبير إلى المنيل.

وقال مُنير

-كنت أعلم من البداية,ولكننا انتظرنا الإعلان الرسمي.

كانت سُعاد من أكثر المتأثرين بالخبر حتى أنها أُغشيت عليها واضطر محمد إلى حملها ونقلها إلى غرفة نومها ولما أفاقت قالت

-مسكينة بنتي هُدى,ماذا ستفعل والأولاد مازالوا صغار والحمل ثقيل؟

قالت ليلى مهونة

-نادية وسهير معها دائمًا إن شاء الله,هذا أمر الله,رحمه الله.

وقال محمود

-البقاء لله شدي حيلك يا سُعاد,هُدى تحتاج إليكِ شديدة.

عادت سُعاد تقول

-وماذا ستفعل أمه؟

قال محمود

-الله يعينها.

أرسل مدحت برقية تفيد بحضوره لتعزية شقيقته وكان لالتفاف العائلة حول هُدى أثر في تخفيف الصدمة ولكن عندما تختلي بنفسها كانت تجهش بالبكاء وتفكر في أطفالها وأم محمد التي تلقت الصدمة بثباتٍ عجيب حتى لأنها كانت تُشجع هُدى على التماسك والاهتمام بالأطفال ووصل مدحت وجلس معهم وهو يقول

-الله يرحم محمد, أنتم لا تدرون تأثير الحرب في الخارج,أخبار مصر تصدرت الصحف ونشرات الأخبار والجميع مذهول من عملية العبور والقتال الذي دار حتى موضوع الثغرة الإسرائيلية كانت عملية دعاية سياسية وليست انتصارًا عسكريًا خاصةً وأن إسرائيل قبل الحرب كانت تروج أن جيشها لا يُقهر وأن الحرب بالنسبة له نزهة لا أكثر وأن مصر إن فكرت في عبور القناة فستتحول القناة لجحيم,وأن الخسائر التي ستعبر ستصل إلى أكثر من,50% الجميع مذهول بالأداء العسكري والسياسي للرئيس السادات الذي استطاع إخفاء توقيت الحرب على جميع الأطراف بخطة خداع مُحكمة,نحن بالخارج نسير مرفوعي الرأس وهذا بفضل محمد عبدالمقصود وأمثاله من الأبطال فلا تحزني يا شقيقتي العزيزة,نحن كُلنا في خدمتك,أنا مسافر غدًا لكن إذا أردتِ أي شيء في أي وقت لا تترددي,فأنا تحت أمرك ورهن إشارتك.

خفف حضور مدحت أجواء الحزن التي مرت بالعائلة ولما جلس مع مُنير قال له

-أنا آسف يا مُنير,كان بودي أكون معك لكن ظروفي.

قال مُنير هازًا رأسه

-لا تقلق,هُدى قوية وسوف تتحمل إن شاء الله ويجب أن تكون قوية لأجل خاطر أولادها.

حضر إلى المنزل المهندس نبيل لمواساة هُدى التي استقبلته أحسن استقبال وقال لها

-لقد استُشهد ابن أخي حنا أيضًا,كان فى لواء مشاة في الجيش الثالث.

فقالت له البقية فى حياتك

-سأنزل العمل بعد أيام الحداد.

قال لها هازًا رأسه

-لا داعي لتعبك.

قالت بصوت واهن به آثار نحيب

-العمل سيكون راحة لي.

قال متنهدًا

-أهلًا وسهلًا,الكل يسعد بوجودك,وأنتِ تعلمين أن محمد كان صديقي رحمه الله.

****

الفصل الرابع والمائة ترتيبات عائلية

حاول الجميع إقناع والدة محمد عبدالمقصود بتغيير السكن والحضور إلى المنيل ليكونوا إلى جوارها وجوار هُدى والأولاد ولكنها رفضت تمامًا وقالت لهُدى

-إذا كنتِ ترغبين..

ولكن هُدى قاطعتها هازة رأسها قائلة

-لن أتركك.

ثم استدركت

-ولكن بشرط أن تكوني معنا في شقة محمد.

قالت

-الشقتان فوق بعضهما لبعض.

قال عبدالقادر

-ربما نستطيع فتح الشقتين على بعض إن شاء الله,سأُحدث المُهندس نبيل في ذلك,وسوف نفعلها بالطريقة السليمة هندسيًا وقانونيًا ولكن المشوار سيكون بعيدًا بيننا وبينكم.

قالت هُدى

-معي السيارة وسوف أحضر شبه يوميًا وأنا ذاهبة للعمل وعائدة منه,سوف أجعل الأولاد في حضانة المدرسة حتى لا أتعب أحدًا.

قالت ليلى هازة رأسها

-لا يوجد أي تعب,نحن في الخدمة.

قالت سُعاد هازة رأسها

-لست أدري ماذا كنت أفعل بدونك يا ليلى.

قال عبدالقادر ناظرًا لصديقه محمود

-ومحمود أيضًا,دورهما كبير للغاية.

ثم أردف لمحمود

-أنا أعتبرك أخي.

فضحك محمود وقال

-الكل للواحد والواحد للكل,أليس هذا شعار الفرسان الثلاثة؟

ثم قالت سُعاد

-لماذا تريدين العمل يا هُدى وترك الأولاد؟

أجابتها هُدى

-لست أحتاج الشغل من أجل المال,ربما كفانا معاش محمد وزاد,ولكنني لستُ أُريد التفكير,لا أُريد أن يكون لدي وقت فراغ.

هز عبدالقادر رأسه وقال لزوجته

-دعيها,هي تدري ماذا تفعل.

قالت سهير

-وأنا سأكون معكِ دائمًا في أوقات الفراغ.

وقال عزت

-معزتك عندي كمعزة سلوى أختي وربما أكثر.

قالت هُدى

-أنا متشكرة لكم جميعًا,الحياة لازم تستمر وإن الله مع الصابرين.

قال محمود مُستشهدًا بآية كريمة

-إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب

****

الفصل الخامس والمئةأحوال عائلية

كانت الساعة العاشرة صباحًا حينما جلس عبدالقادر في الصالون بانتظار ضيوفه ومرت عليه ذكريات السنوات الثلاث الأخيرة تغيرت الحياة بعد حرب أكتوبر,73فقد تم الاتفاق على فصل القوات وانسحاب قوات العدو إلى خط المضايق شرق القناة وتم افتتاح قناة السويس للملاحة في5 يونيو1975بعد ثماني سنوات من إغلاقها,وبدأ تعمير مُدن قناة السويس وعودة الراغبين إليها,ولكن مازالت سيناء غيرُ مُحررة بالكامل وقد توقفت الأمور عند هذا الحد,ويُحاول السادات جاهدًا باستكمال ما بدأه بالسياسة لاستعادة الأرض بديلًا عن الحرب مرة أُخرى والتي وصلت إلى طريق مسدود,وكان عبدالقادر قد اعتزل العمل واكتفى بما كان يسميه بكفاح عبدالقادر كما قال في النهايةآن للمتعب أن يستريح ولم لا وقد تجاوز الخامسة والسبعين وأولاده شقوا طريقهم في الحياة ولم يعودوا باحتياج إلى عمله,وكان أكثر ما يُسعد عبدالقادر رؤية أحفاده,وخاصةً محمد الذي يتبادل معه الأحاديث,وهو مُهندس الآن يعمل في شركة الحديد والصلب وجمال ما شاء الله في كلية الطب وأولاد هُدى أحباء قلبه أما سوزان فهي حبيبته رغم إنه يراها مرة كل عام عندما يأتي مدحت في زيارته السنوية والتي تستغرق عشرة أيام,والذي أسعد عبدالقادر حقًا أن مدحت يوزع أرباح شركة ألمانيا على الجميع,فقد وضع نظام لصرف الفائض والأرباح,فالخمس للإدارة ولزوجته سوزان وبعد ذلك بالتساوي على عليه)على عبدالقادر(وسعاد ومُنير وهُدى وطبعًا هو,وعندما قام بفعل ذلك فعل مُنير مثله بالمزرعة وفعلت هُدى المثل بالمدارس,وعندما يأتي مدحت وعائلته تجتمع العائلة كُلها رغم إنه ينزل دائمًا في فندق حتى لا يكون عبئًا على أحد,وفي الزيارة الأخيرة قال لأبيه

-لقد اعتزلت يا بابا في عز الشغل الحقيقي عندما يبدأ,مصر تنتقل للانفتاح وعودة القطاع الخاص والأعمال الحُرة وهي مجالك وملعبك.

فقال له عبدالقادر

-البركة في هُدى وفيك أنت وأخوك,"أنا كفاية عليّ كده"

أما مُنير فقد زاد التفاهم كثيرًا بينه وبين زوجته وأصبح له دورًا كبيرًا في الاهتمام بعائلته والمزرعة,فقد بات يذهب للمزرعة عصر يوم الخميس ويستمر فيها حتى صباح السبت فيعود مباشرةً إلى عمله,وقد برزت موهبته في الإدارة بمشروع المزرعة إلى جانب إمداده لجميع منازل العائلة بجميع أصناف الطعام ويحقق هامش ربح لا بأس به,أما الشركة فقد زادت أعمالها مع اهتمام هُدى بها وزادت الأصناف التي يتم استيرادها وتسويقها وقد حدث تقارب كبير بين هُدى في مصر وسوزان في ألمانيا,وبالرغم من ارتفاع أسعار المُنتجات الألمانية إلا إنه وُجد من يشتريها لجودتها العالية,وكذلك يزداد مشروع المدارس نجاحًا مع الوقت,وإذا صح كلام مدحت– الصحيح غالبًا-فهو يحتاج إلى تطويرمشروعات جديدة ,ولكن لا بد من اختيار الاتجاه الصحيح,وبينه وبين نفسه ما أحب مشروع قط مثل مصنعه الذي فقده وسمع دقات جرس الباب وقد دخلت المجموعة التي أصبح لقاؤها الأُسبوعي في بيت عبدالقادر صباحًا,فهم جميعًا تقدم بهم السن وبعضهم لا يستطيع السهر ويفضل النوم المبكر,وكان استيقاظ عبدالقادر مبكرًا في السادسة صباحًا فينصت للقرآن ثم يتناول مشروبًا ساخنًا وهو جالس مع سُعاد ثم يقوم بقراءة الجرائد وبتناول الإفطار,ثم يشغل نفسه ببعض القراءة أو مُقابلات أو تليفونات,وفي المساء ينتظر قدوم أحد أولاده ويُشاهد التليفزيون الأبيض وأسود وكان يذهب إلى النادي في

بعض الأحيان,ويذكر أنه عندما ذهب هُناك استقبلته الشلة استقبال الفاتحين وكان يرى بعضهم وهو في ألمانيا ولكنهم جميعًا هرموا وأصبحت الحركة بطيئة ولا يوجد سوى بعض الذكريات تُقال وقد تتكرر.

وجلسوا جميعًا وطلبوا المشروبات الساخنة بالإضافة إلى بعض البسكويت وافتتح عبداللطيف الكلام فقال

-السادات يلعب على كل الحبال من أجل تحرير سيناء,طلع معلم بصحيح,ومصر استفادت كثيرًا في الحرب الماضية,وليس مصر فقط بل جميع الدول العربية ودول البترول ومنها إيران,أكان يتصور أحد أن برميل البترول الذي كان قبل الحرب ب3دولارات ويصبح سعرة 30 دولار اى عشرة اضعاف
عندما قام الملك فيصل "رحمه الله "بقطع البترول عن أوروبا كلها كانت ستجن!!

فقال محمود

-مدحت الله يصبحه بالخير كان في طوابير على المحطات والأسعار زادت لأول مرة شعر العالم بأهمية العرب.

فقال مصطفى

-من أجل هذا دبروا مؤامرة اغتيال الملك فيصل ومِن من,أحد أبناء عمومته,هؤلاء الجماعة" زعلهم وحش!"

قال عُمر لعبداللطيف

-الرئيس السادات عاجبك أليس كذلك,مع إنه يسير عكس خط عبدالناصر الذي كان عاجبك أيضًا!

قال عبداللطيف

-ليست القضية يُعجبني ويُعجبك,ثم إنه من المُمكن لشخص أن يحب اثنين في أدائهم حتى وإن كان عكس بعضهما,عندك محمود يُحبُ الأهلي وكذلك يُحبُ الزمالك!!

ضحكوا وقال محمود

-أنا أُحب ا للعبة الحلوة.

قال عبداللطيف مُحللًا

-الأداء وحسب ظروف كل شخص,السادات أثبت إنه سياسي خطير,ما رأيك يا عبدالقادر بك؟

قال عبدالقادر بحكمة

-أي حاكم يحكم عشر سنوات سيقع في أخطاء كثيرة,عبدالناصر في البداية رغم ظلمه لبعض الناس لكن إنجازاته لا بأس بها,ولكن مع طول المُدة وخاصة مع انفصال سوريا,بدأت أخطاء مُتتالية وطبعًا آخرها كان حرب,67وبقت آثارُها معنا فترة طويلة,وحتى الحرب الأخيرة لن تُزيل كل آثارها ولو نظرنا للمُستقبل لن

نستطيع أن نُحارب إسرائيل مرة أُخرى,على الأقل لثلاثين سنة قادمة,إذاً لا يوجد غيرُ المفاوضات التي سيكون بها شروط قاسية على مصر,السادات ورث تركة ثقيلة من عبدالناصر,أي نستطيع أن نقول) الديّانة كثيرون.(

قال عبداللطيف

-حرب إسرائيل مرة أُخرى صعبة لأن إسرائيل أعلنت-بطريقة مُلتوية-امتلاكها للسلاح النووي وستستخدمه إذا لزم الأمر وكلامك عن التفاوض يا بك– عن طريق الوساطة-سيكون الحلُ الأخير,ولكن سيظل عبدالناصر هو البطل.

فقاطعه عُمر مُعترضًا مُستنكرًا

-عبدالناصر بطل لماذا؟,!أنسيت خروجه ذات مرة ليقول لنا"أنا من علمتكم الكرامة"أيقول حاكم لشعبه هذا الكلام؟!!

قال محمود

-أحسن أيام أيام الملك,عُمرنا فيها ما وقفنا في طوابير على السلع.

قال مصطفى هازًا رأسه

-أنا لا أُحب ظُلم أحد,الظروف والأحوال لهما دور كبير.

قال عبدالقادر مُردفًا

-وطبيعة الشعوب,أكثر شيء أنا أخشى عليها التغييرات الغيرُ إيجابية التي تحدُثُ للشخصية المصرية,كان أجمل ما في مصر الشخصية المصرية المتدينة الراضية الشهمة,أنا أرى أنها تتغير مع الوقت لكن للأسوأ مع الأسف.

وصلت سهير وزوجها عزت"الذي كان يرتدي ملابس رسمية "بدلة كاملة"وقميص مُستورد ورباط عنق أحمر(فقال له محمود

-أهلًا وسهلًا سيادة النائب وصل.

كان عزت قد نجح في انتخابات مجلس الشعب عن دائرة مصر القديمة فئات وقال

-أنا نائب صحيح ولكن معكم ابنكم وفقط.

سأله محمود

-ما أخبار المجلس؟

أجابه عزت

-القادم مُختلف تمامًا عن الذي ذهب,توجه إلى الغرب الرأسمالي,اقتصاد منفتح على العالم,توكيلات تجارية,مصر بلد المصريين فقط وسوف يتقلص الدور الخارجي ولكن بالنسبة لتحرير سيناء بالكامل فالأمور متوقفة وعادت مرة أُخرى لحالة اللا سلم واللا حرب.

قالت ليلى

-تفضلوا,الغذاء جاهز.

قال محمود لها

-ضعي طبق لكل واحد.

فضحك عبدالقادر وقال بمرح

-هذا هو التغيير الذي حدثك عنه.

قال عبداللطيف

-لا يا عم,السُفرة أحسن.

وقامت سهير بإحضار منضدة إضافية ضمتها على السُفرة فاتسع المكان للجميع.

****

الفصل السادس والمائة مُنير وهاني منصور

قابل مُنير هاني منصور في الموعد الأُسبوعي المعتاد وقال له

-السيد مُراد رئيس مجلس الإدارة تغير تمامًا,كان يسير بكل التزام وانضباط لكن الآن أنشأ شركة باسم ابنه واتفق مع مديري المصانع والمُشتريات والمبيعات على أن يتم استيراد احتياجات المصنع من الخارج أو حتى من الداخل عن طريق هذه الشركة,وهذا بالطبع مُخالف لجميع القواعد والأصول المعمول بها

قال هاني منصور

-أنت تعلم يا مُنير أن الأحوال تغيرت وهذا عهد جديد وسوف يختلف هذا الوقت عن السابق في كل شيء.

سأله مُنير

-بمعنى؟

أجابه هاني

-متشكرون على هذه المعلومات التي نعلمُها.

صمت مُنير فترة ثم تحدث

-هاني بك,من فترة وأنا أُريد أعتزل هذا العمل وكفاني ما قدمت والحمدلله,البلد حاربت وانتصرت وأُقدم لك اعتذراي عن الميعاد الأُسبوعي الذي بيننا.

ضحك هاني منصور ضحكة عالية وقال

-يا مُنير,أعلم إنك طيب ونحن لن نهون عليك,من يعمل معنا يظل معنا للأبد.

قال مُنير

-كبر والدي,وتقاعد عن العمل كما تعلم,وأنا أعمل بدلًا منه في جزء من مشروعاته,وكبر ولداي ومشاكلهما زادت معهما,وبالفعل ليس لي رغبة في الاستمرار.

قال هاني منصور

-خذ أجازة ليست طويلة,أنا أُقدر جدًا تحليلك للمواقف,تصور أنا مُتذكر جوابك لثُريا عن الأوضاع في سوريا أثناء الوحدة,رغم بساطة الخطاب ولكن كأنك كنت تقرأ ما سيحدُث,وبالمُناسبة ما رأيك في الأوضاع الآن.

قال مُنير مُحللًا

-الناس غاضبة,وموضوع رفع الأسعار لبعض المواد التموينية لم تكن مُناسبة على الإطلاق في هذا التوقيت.

هز هاني رأسه وقال

-نحن أيضًا أكدنا هذا.

ورن الهاتف فرفع هاني السماعة ثم أغلقها بعد دقيقة وقال لمُنير

-هُناك مُظاهرات وشغب في الشوارع.

قال مُنير

-هذا كان متوقع,ربنا يستر.

قال هاني

-الشرطة لن تكفي وحدها,ولا بد من نزول الجيش للشارع,انتبه وأنت عائد لأنة سيكون هُناك حظر تجول.

****

الفصل المائة يناير 1977

خرج مُنير من مقابلة هاني وهو مهموم وخائف على الجميع,وقام باتصالات للاطمئنان على نادية ومحمد وجمال وهُدى والعائلة برمتها,كان يسير في الشارع بسيارته فخرج عليه بعض المُحتجين ورشقوا سيارته بالحجارة فاستدار سريعًا وعاود أدراجه وقد أخذ قرار بالعودة إلى المنيل حيث ستجتمع العائلة هُناك,وكان المرور رهيبًا فالجميع يُحاول الوصول إلى منزله قبل موعد حظر التجوال وتوقفت الحركة تمامًا بعد كوبري الجامعة فدخل إلى أحد الشوارع الجانبية وأغلق سيارته ووضع عليها غطاءً من القماش وأكمل طريقه سيرًا على الأقدام.

وعندما وصل للمنزل اطمئن على الجميع ولم يكُن محمد قد وصل ولا توجد وسائل للاتصال.

وخرجت سعاد وليلى إلى البلكونة حتى تنتظراه عند عودته,وكانتا تسمعان من حينٍ لآخر أصوات المُظاهرات والاشتباكات مع الأمن,وحلّ الليل وكان موعد حظر التجول قد بدأ منذ أكثر من ساعتين وقالت سهير

-لقد قمت بالاتصال بهُدى في مصر الجديدة ولقد وصلت بالسلامة والحمدلله.

قالت نادية وكانت حالتُها تزداد سوءً

-ماذا حدث لمحمد يا تُرى؟

وطال الانتظار وقال محمود

-سأُحدث عزت لإجراء اتصالات للسؤال عنه في المُستشفيات والأقسام.

وأخيرًا ظهر محمد وهو يسير بخُطى مُتثاقلة وهتفت ليلى

-الحمدلله,وصل.

تهالك الشاب على أول مقعد والجميع من حوله وبعد تماسكه والتقاط أنفاسه قال

-أنا عائد من التبين,سيرا ولايوجد مواصلات وحافلات الشركة أوصلتنا على الكورنيش وعادت,هؤلاء يحرقون الحافلات والسيارات والمحلات,وكُنتُ أسير في الشوارع الجانبية حتى أبتعد.

قالوا له

-حمدًا لله على السلامة.

واستمرت هذه الحالة حتى نزول الجيش وفرض حظر التجوال وأصدر الرئيس السادات قرارًا بعودة الأسعار إلى ما كانت عليه ولكنه تأثر كثيرًا بما حدث ووجه اتهامات إلى الشيوعيين والاشتراكيين بقيامهم بتهييج الشارع وأطلق عليها لقب"انتفاضة الحرامية"أوانتفاضة الحرامية الذين سرقوا الجمعية "حيث نُهبت بعض الجمعيات أثناء الأحداث وبدأ رفع حظر التجوال تدريجيًا وعادت الأمور إلى طبيعتها.

وكان لهذه الانتفاضة أثرًا سياسيًا أدى بعد ذلك إلى قيام الرئيس السادات بقطيعة مع الاتحاد السوفيتي)قطع العلاقات الدبلوماسية وقتها وتم إغلاق سفارتها وهو تحول كبير وتغيير دراماتيكي للعلاقة الرئيس لمصر والتي بدأت بصفقة الأسلحة التشيكية عام 1955 كما عضدت من استعانة السادات بتيارات اليمين الديني لمواجهة الناصريين واليساريين على المستوى الداخلي وكان لهذا أثر كبير وشاهدت مصر ظهور ما يعرف بجماعات التكفير والهجرة.

****

الفصل الثامن والمائة مُراد حسنين

كانت الأمور في الشركة التي يعمل مُنير بها نائب رئيس الإدارة تتغير بشكل كبير,ولم تُعجب هذه التغييرات مُنير فأراد إيقافها وامتنع عن القيام بأي توقيع على الإجراءات كما كان يفعل من قبل ولكن تم تخطيه,وكان رئيس مجلس الإدارة مُراد حسنين يقوم بالتوقيع والموافقة واستقر مُنير على أن يقوم بمواجهته.

في الساعة الثامنة مساءً توجّه مُنير إلى مقر الشركة الجديدة التي تقوم بعمل التوريدات لشركته بالقطاع العام بدلًا من استيرادها غن طريق شركة قطاع عام مُتخصصة في التوريدات ,ورن الجرس فأقبل الساعي فسأله مُنير

-مُراد بك حسنين موجود؟

فاجابة الساغى موجود يا افندم

وأعلن له إنه يطلب مُقابلته فُتح الباب بالفعل)باب المكتب(وظهر مُراد حسنين وهو يبتسم بترحابٍ شديد ويقول

-تفضل يا مُنير,كُنتُ أُريد هذه المقابلة من زمان.

فتعجب مُنير,فمُراد لم يضيق منه وفي نفس الوقت يُقابله بالود وقال له الأخير

قهوة اوشاي.

هز مُنير رأسه وقال

-لا داعي,لن أُعطلك كثيرًا.

فقال مُراد

-على كيفك.

صمت مُنير فترة وجيزة ثم قال

-تعلم سيادتك إننا شركة قطاع عام وهذه الشركة قطاع خاص وهي الآن من تورد أكثر احتياجاتنا من المواد الخام وقطع الغيار وخلافه,وهذا بالطبع مُخالف للوائح المعمول بها منذ مدة طويلة.

فابتسم مُراد وقال

-إذا كنت تتحدث من الناحية القانونية فلا تخف فالإجراءات سليمة مائة بالمائة,فهذه الشركة هي الوكيل للأصناف التي يتم توريدها وذلك مطابق للقوانين واللوائح الجديدة وأنت تعلم ذلك.

ثم سكت قليلًا ونظر إلى مُنير الذي أصبح لديه بعض الحرج ثم أردف مُراد

-أما إذا كنت تُلمّح أن هذه الشركة شركتي فهذا من وجهة نظر القانون غيرُ صحيح فهذه الشركة باسم زوجة ابني وأنا لا أعتمد أو أوقع أي ورقة هُنا.

فقاطعه مُنير قائلًا

-لكنك تُديرُ الشركة.

فقال مُراد

-طبعًا ولكن بطريقة غيرُ رسمية,وما أُريد أن أخبرك به هو إننا في عهد جديد,عهد الانفتاح الاقتصادي,العودة للأوضاع السابقة,وبالمُناسبة هُناك كثيرون مهمون مُشتركون في هذه الشركة,والحال هُنا موجود في شركات قطاع عام أُخرى,ولا أستطيع أن أقدم على عملٍ كهذا إلا إذا كنت مسنودًا,وربما أقولك لك إني مدفوع من قبل بعض القوى السياسية.

فظهر التعجب على وجه مُنير وأصبح في حيرة من أمره,هل يمضي في هجومه أم يتوقف عند هذا الحد,فالموضوع كما يقول مُراد ليس شخصيًا.

اتسعت ابتسامة مُراد وقال

-أُحب التحدث معك في هذا الأمر بصراحة أكثر,لقد شكوتني لمنصور بك أليس كذلك؟وهو أبلغني بما قلته له وقال لي أنك وطني تُحب الوطن,ولكننا لا نفعل شيئًا ضد الوطن,الموضوع-من وجهة نظري-أن الشركة التي تورد الاحتيجات تكسب ويذهب مكسبها للدولة,إذاً ما الفارق,نحن الآن نربح وندفع ضرائب للدولة ولكننا نُديرُ الأمور بطريقة أفضل وشركات القطاع العام لديها مشاكل كثيرة وستزداد مع الوقت.

قال مُنير

-شركات القطاع العام هي من حملت الوطن وأنقذته بعد النكسة.

قال مُراد ماطًا شفتيه

-ربما يكون هذا فيه بعض الصحة,لكن الإدارة في هذه الشركات مع ما يُفرض عليها من تعيين عمالة غير مُنتجة مع عدم مُراعاة التطور الذي يحدُثُ في العالم مع عدم قدرتها على التنافس في جودة المُنتج,كل هذا سيؤدي بها حتمًا إلى عدم الاستمرار.

شعر مُنير أن الحديث دخل في منطقة أُخرى وتعجب كثيرًا أن مُراد حسنين على علاقة بهانى بمنصور بك ورنت في أُذنه صوت ثُريا وهي تقول له أنت لا تفهم شيئًا

وكان يُريد أن يُنهي المُقابلة ولكن مُراد استطرد

-أتعجب منك يا أخي,أتعلم أن والدي كان يملك خمسمائة فدانًا وتوفي وهو لا يملك شيئًا نتيجة حدوث ثورة يوليو,ولقد وُزعت طبقتُنا وقتُها لثلاثة أقسام,قسم استطاع الهروب بأمواله إلى الخارج أو جزء كبير منها وقسم ثاني فُرضت عليه الحراسة وضاعت أمواله التي أخذتها الدولة,وقسم آخر استطاع بطريقة ما أن يتكيف مع الأوضاع الجديدة ويستمر معها ويُسايرُها وكان والدك عبدالقادر بك فهمي من الصنف الأول والأخير معًا,فاستطاع بعبقريته أن يُحافظُ على جزءٍ كبيرٍ من ثروته ويُغير نشاطه وطريقة تعامله.

قال له مُنير

-لقد احترق مصنع والدي وتقلصت عزبته وظل مُهاجرًا سنواتٍ طوال.

فقال مُراد هازًا رأسه

-أنا أعرف كل شيء عن والدك وربما أكثر مما تعرفه,فقد كان صديقًا لوالدي ومن شلة النادي.

فقال مُنير قاضبًا حاجبيه

-لم أكن أعرف ذلك.

فقال مُراد

-بقي هُناك شيء واحد أعرف إنك تقوله بداخلك.

سأله مُنير

-ما هو؟

قال مُراد بابتسامة ماكرة

-ستقول لي الضمير أليس كذلك؟

فتعجب مُنير وصمت فواصل مُراد وهو يُشبك يديه

-وأين كان ضمير الدولة عندما فعلت بنا ما فعلت.

ثم أردف

-لماذا لم تستصلح أراضي وتُقسمها لمن تُريد؟لماذا لم تبني مصانع جديدة بدلًا من أخذ ما في أيدي الناس؟أؤكد لك يا مُنير إننا لم نرتكب أي خطأ في حق الوطن وأن ضميرنا مرتاح لأقصي درجة بل وأنصحك بالتعاون معنا فأستطيع أن أجعلك شريكًا معنا أما إذا رفضت فأنصحك بعدم الوقوف في وجه التيار,فليس أمامك اختيار آخر,أما أن تنضم إلينا أو تطلُب نقلك إلى الوزارة بعيدًا,وأرجو ألا تأخُذُ وقتًا طويلًا في التفكير,وأؤكد لك أن من سيقف في وجه التيار سيتم نسفه نسفًا,وأنا أهتم لأمرك.

فخرج مُنير دون أن ينطق بكلمة وسار هائمًا على وجهه كإنه لا يرى أمامه.

****

الفصل التاسع والمائة اجتماع عائلي

فكّر مُنير فيما يجب فعله ولم يغمض له جفن,جافه النوم وظل مُستيقظًا طوال الليل,وفي الصباح الباكر اتّصل بهُدى وعزت وكاد يتصل بأبيه عبدالقادر ولكنه تردد وطلب منهم الحضور فورًا,وعند اجتماعهم في بيته وكان معهم نادية وسهير أيضًا,أخبرهم بما حدث وشرح لهم بالتفصيل وطلب منهم أن يُشيروا عليه بما يجب أن يفعل علمًا بأن قراره هو عدم انضمامه لهم في عملٍ كهذا مهما كانت النتائج والتضحيات,حتى لو تم نسفه كما قال مُراد.

فقالت هُدى

-أرى أن تتقدم باستقالتك.

فقالت نادية

-نحن بحاجة لدخل الوظيفة ثم أن هذا سيؤثر بالتأكيد على معاشه.

قالت سهير

-بخصوص المعاش من المُمكن أن يستمر في دفع التأمينات فلا يتأثر معاشه ويمكن تدبير المصروفات بالحصول على عملٍ آخر.

قالت هُدى

-الشركة والمدارس تحتاج لمُدير مالي.

قال عزت

-أولًا كل ما قاله مُراد صحيح,ثانيًا ضمير مُنير لا يرتاح للتعامل معهم والأفضل أن تُحاول الحصول على أجازة طويلة حتى نستطيع تدبير الأمور.

قال مُنير

-من المؤكد إنهم سيرفضون أي حل غيرُ الانضمام إليهم.

سألت هُدى أخيها مُلتفتة

-ما رأيك تقول ل بابا؟

قال منير

-لقد أُرهق كثيرًا وهذه مشكلة لا أعتقد أن لديه حل فيها.

سأل عزت مُنير

-ما رأيك في السفر للخليج للعمل هُناك؟

قال مُنير هازًا رأسه

-هذا حل جيد.

قال عزت بحماس

-خلال أُسبوع أكون حضرت لك عقد عمل.

قالت نادية بعدم رضا

-أمعقول يُسافر الآن؟!

قالت سهير لها

-لمُدة سنة أو اثنان ويعود على وظيفة في الوزارة.

قالت هُدى

-أرى أن يعمل معنا أفضل,العائلة تحتاجه هُنا خاصةً إنه الوحيد الذي يُباشر المزرعة حاليًا ويعرف ما بها وليس من المعقول أن يعود بابا ليُتابعها ثانيةً,وأنا لدي العمل والبيت,الحل صعب جدًا,لكن الأمرُ إليك يا مُنير وربنا"سبحانه وتعالى" يرشدك للصواب.

قالت نادية بضيق

-أكان يجب أن تفتعلُ هذه المواجهة يا مُنير؟!

هز مُنير رأسه وقال

-لست نادمًا أبدًا,ولكنني في حيرة.

قالت نادية مُقترحة

-أنا رأيي تُقابل هاني منصور وترى رأيه,ربما لديه حل لهذه المشكلة.

فقال لها مُنير

-ليكن,على العموم لن نخسر شيئًا وخيرُ البرُ عاجله.

****

الفصل العاشر والمائة أزمة مُنير

لم يكن عند مُنير أي شك في أنه لن يستمر في العمل,ولكن كانت الأزمة في كيفية الرحيل,استقالة أم أجازة بدون مرتب لفترة طويلة أم نقل للوزارة,وعند وصوله لمكتب هاني منصور لم يجده ولكنةترك له رسالة فحواها أنتظرك في المساء

وكانت العائلة قد كثفت اتصالاتها فاتصلت هُدى بأبيها مجرد وصولها إلى العمل وأطلعته على ما دار من نقاش وتحدث عبدالقادر مع هاني الذي طمأنه إلى ترتيب مخرج مُناسب لمُنير كما قام عزت بصفته نائب في مجلس الشعب بالاتصال والتواصل مع مسئولين مُهمين ولكن نظرًا لأن مُنير في أعلى السلم الوظيفي فإن الموضوع قد يأخذ بعض الوقت وفي المساء تقابل مُنير أخيرًا مع هاني منصور والذي قابله بابتسامة عريضة ولكن بها بعضُ السخرية وقال له

-أقدمت على خطوة ولم تستشيرني؟

فقال مُنير مُتسائلًا

-وماذا بعد؟

فقال له هازًا رأسه

-أنت أيضًا رجلُنا على أيةِ حال.

صمت للحظة قبل أن يقول

-أتدري,كان سيصدر قرار بمنعك من السفر واتهامك بحوزتك بعض الأوراق تخُصُ الأمن القومي ولكنني أوقفت كل هذه الإجراءات وألغيتُها,والآن خُذ أجازة أسبوعين وسوف يتم تعيينك كملحق تجاري في إحدى سفاراتنا بالخارج,وبالطبع لست بحاجة إلى إخبارك أن تغلق الموضوع ولا تفتحه مع أي شخص أيًا كان.

ثم أردف بحزم

-مفهوم؟

هز مُنير رأسه إيجابيًا متطلعًا إليه بمزيج من عدم الارتياح والحذر وبعض القلق فقال هاني

-أنت حظك جيد بعائلتك,ولكن هُناك حدود لكل شيء.

قال مُنير مُعترضًا

-ولكن ظروفي لا تسمحُ بالسفر حاليًا.

قال هاني بصرامة

-لقد دبرنا كل شيء مع عبدالقادر بك وعزت,وهذا أفضل الحلول حاليًا.

وعند عودة مُنير وجد نادية تقول له

-لقد أدخلت نفسك في عش الدبابير ولكنا الله"سبحانه وتعالى"سلّم والحمدلله.

قال لها

-لم أكن أُريد السفر حاليًا.

فقالت له

-هذا مكتوب ولا تقلق,محمد أصبح رجُلًا وجمال ما شاء الله"تعالى" عليه يسير جيدًا.

قال لها مُشيدًا

-الفضل لكِ.

قالت

-يا سيدي الفضل لله"عز-وجل"

سألها

-والمزرعة؟

أجابته

-اتفق والدانا ومحمد على الذهاب إليها أُسبوعيًا ومُتابعتها.

وعندما علمتا سُعاد وليلى بسفر مُنير تعجبا كثيرًا ولكن مُنير قبّل يد أمه قائلًا لها

-أنا أحيا بدعائك وإن شاء الله"تعالى "سنة وأعود مرةً أُخرى.

قالت سُعاد بصبر الأم

-قدري الفراق والانتظار يا بُني.

وقالت ليلى

-نادية كبرت وتعبت,وفي أشد حاجة لوجود مُنير خاصة وأنه أصبح ملتزمًا ومتفاهمًا معها.

فقال لها محمود

-شغله هكذا,ماذا يفعل؟

****

الفصل الحادي عشر والمائة هُدى وولداها

رغم عمل هُدى والأعباء المُلقاه عليها فإنها نظمت حياة ولديها,فقد كان لكل واحد منهما مُربية تقوم بجميع ما يلزمه,وأحضرت لهما مُدرسين بالمنزل ليكونا قويين في اللغات والرياضة,كما اختارت أفضل المدارس في المنطقة واشتركت لهما في أُتوبيس المدرسة وأحضرت لهما مدرسين في الدين واللغةِ العربية,أما المطبخ فرغم اعتراض حماتها-فقد أحضرت طباخًا يأتي كل جمعة ليتم طبخ الأُسبوع كله ويتم وضعه في الثلاجة حسب جدول الطعام الأُسبوعي وتوجد بعد ذلك العاملة التي تأتي مرتين في الأُسبوع.

كان منزل هُدى المكون من شقتين في العمارة ويعمل بنظام كإنه ساعة وفي المساء تجلس هي وحماتها معهما وكان ذلك أسعد أوقاتها حيث الجلوس لمُدة ساعتين,وكان الجميع ينام ويستيقظ مُبكرًا,وفي الصباح كانت تنتظر حتى يركبان حافلة المدرسة ثم تنطلق هي إلى العمل وتأخذ ساعتين من العمل راحة تمرُ-خلالهما-على والديها أو تُقابل سهير ونادية أو تشتري حاجتها,كما كانت تحرص على الاتصال بالجميع في الصباح للاطمئنان عليهم.

وسألتها خالتها ليلى ذات مرة

-لماذا لا تُفكرين في الزواج,أنتِ مازلتِ صغيرة؟

فأجابتها

-كرست حياتي لولديّ وحماتي.

ورغم مُضي أربع سنوات على استشهاده فهي لم تنساه أبدًا,وقد وضعت مجموعة صور له في غُرفتها بأحجام كبيرة,ودائمًا كانت تحكي لولديها عن بطولات أبيهما وحضهما أن يكونا مثله وتتعجب في داخلها عن الصبر والثقة التي تبدو عتى حماتها ويبدو أن الله)سبحانه وتعالى(ربط على قلبها ولكن بين الحين والآخر نُلاحظُها تبكي بمفردها ولا تُظهر من ذلك شيئا أمام الولدين وكانت سعاد مُعجبة بإدارة هُدى لمنزلها أما ليلى فكانت تنتقدها وتقول)إنها ليست في حاجة إلى العمل(وكان زوجها يُجيبها)من يحب العمل صعب عليه أن يتوقف عنه,وهي تجد فيه سلوى لها عن مصابها وتحتك بالناس وتعرف ما يدور في المجتمع.(

****

الفصل الثاني عشر والمائة ديسمبر1977

في ليلة رأس السنة وكعادة السنوات الأخيرة,قامت الأسرة بعمل حفل صغير بمُناسبة السنة الجديدة وكانت البالونات والزينات تملأ صالة الاستقبال بشكل جميل وقد قامت بذلك سهير ونادية,أما ليلى فقامت بالإشراف على تجهيز ألوان الطعام وأنواعه وعلى رأسها الديك الرومي والأرز بالكركم والخلطة وأنواع أُخرى من اللحوم و المشهيات والفواكه والحلوى وعلى رأسها تورتة كبيرة كُتب عليها"كل عام وأنتم بخير"وتم الاتفاق على بدء الحفلة بعد صلاة العشاء مُباشرة وتنتهي بالنسبة للكبار والصغار في العاشرة مساءً وللشباب ومتوسطي العمر حسب رغبتهم,ولما حضرت الشلة المدعوة واكتمل الحاضرون قالت سُعاد لليلى

-أتذكُرين حفلات الماضي التي كُنا نقوم بها في حديقة الفيلا؟

فابتسمت ليلى وقالت الموجود حاليا

-أفضل من لا شيء.

قالت سُعاد

-كان نفسي حضور مدحت ومُنير.

فقالت ليلى

-البركة في محمد وجمال,وهما إن شاء الله سيحتفلان مثلنا وربما أفضل.

وقال جمال

-نبدأ الحفل بأن يقول كل واحد رأيه في أهم أحداث العام الماضي,ونبدأ بست الكل ماما نادية.

فابتسمت نادية وقالت

-وفاة عبدالحليم حافظ.

فهز محمد رأسه وقال

-أنا كنت متوقع أن تقولي هذا لأنك تُحبينه جدًا.

فقالت سهير

-النساء فقط,وليس كل الرجال كانوا يحبونه.

قالت هُدى هازة رأسها

-كأن زمن الرومانسية انتهى بوفاته.

فقالت سُعاد

-ومن قبله بسنتين أم كلثوم,وفريد الأطرش ولم يعد سوى موسيقار الأجيال محمد عبدالوهاب من الجيل الماضي.

قال جمال بحماس

-كنت أحب محمد فوزي جدًا الله يرحمه,لقد تربينا على أغاني) ذهب الليلُ وطلع الفجرُ,وماما زمانها جاية

وكان الكبار ينظرون إلى بعضهم البعض وهم يُدخنون ويبتسمون ثم نظر جمال إلى محمد الذي كان يقوم بتصوير الحفلة بكاميراته.

ابتسم محمود وقال

-أهم الأحداث هذا العام انتفاضة يناير التي سماها الرئيس انتفاضة حرامية سرقوا الجمعية التعاونية

فقالت ليلى

-خرج الناس بسبب ارتفاع الأسعار,ثم أعادوا الأسعار ثانية لكنهم قاموا بتخفيض الكميات,العبوة الكيلو أصبحت ب900جرام وبنفس السعر وكإنك يا أبوزيد ما غازيت.

فابتسم محمود وقال

-ارتفعت الأسعار هباءً إذن.

هز مصطفى رأسه قائلًا

-لا ليس هباءً,السادات عرف أن الشيوعيين هم من وراء الأحداث فانتهز الفرصة وقطع علاقته بالاتحاد السوفيتي من أجل أن يرى الغرب أن هُناك تغييرًا يحدُثُ وأن هذه نهاية شهر العسل الذي كان بين مصر والكتلة الشرقية والتي بدأت تقريبًا عام,1955 أي22 سنة.

فقال جمال

-هذا تغيير جذري!

قال عُمر

-ليس هكذا فقط,لقد أعطى السادات في الداخل الضوء الأخضر لتيارات اليمين الديني لتعود بكثافة إلى أنشطتِها القديمة وقابل عُمر التلمساني من أجل هذا.

نظر جمال للواء عبداللطيف وسأله

-وأنت يا عمي ما رأيك في الأحداث العام الماضي؟

فأجابه اللواء

-في الحقيقة أعتقد أن أهم حدث هذا العام وكان بمثابة القنبلة والتغيير الجذري هو زيارة الرئيس للقدس ومُقابلته الإسرائيليين وجهًا لوجه ووضع مبدأ السلام مُقابل الأرض هذا الموضوع كان في مُنتهى الأهمية وغير الأوضاع في المنطقة تمامًا,رغم تأييد أغلب المصريين لهذا المبدأ,ولكن أشقاءنا العرب اعتبروا الأمر خيانة ودخلوا في طريق المُقاطعة,ويعتبر الفلسطينيون الرئيس خان القضية,وبالتأكيد بعض القوى في الداخل لها نفس الموقف.

فقال عبدالقادر

-السادات سابق عصره مثلما يقولون,وما يقوم به عمل سياسي مخضرم يُحبُ وطنه,ولا يوجد وسيلة أُخرى لاستعادة سيناء إلا بهذه الطريقة,فواقعيًا ومنطقيًا كي تترك إسرائيل سيناء يجب أن يكون هناك مُقابل.

فقال مصطفى مؤيدًا

-وحرب أُخرى لن نستطيع,لا الإمكانيات ولا الأوضاع على الأرض تسمح بذلك.

فقال محمد

-كانوا أيضًا يقولون هذا في73 لكن بالإرادة والإدارة عبرنا وفعلنا المُستحيل الذي لم يتوقعه أحد.

فقال عبدالقادر

-لا أحد يظل يُحارب دائمًا.

قالت هُدى

-والتضحيات الكبيرة التي قام بها الشعب المصري,كل بيت فيه شهيد,هل هذا سيستمر طول الوقت؟

وهُنا صمت الجميع وتذكروا الشهيد محمد عبدالمقصود فقال محمود

-الفاتحة

فقرءوا جميعًا فاتحة الكتاب ثم أدار جمال المُسجل على أغاني عبدالحليم حافظ مُحاولًا التخلص من الحالة التي وصل إليها النقاش وخرج الأطفال من غرفة اللعب المُخصصة لهم في المنزل وهي عبارة عن غرفة مُتسعة بها فراشان بدورين كان مُتعة لهم في المنزل أن يقوموا بتسلقهما ويقومون باللعب عليهما وتجلس معهم فيها الدادات وبخروجهم انفك الحرج وعادت الفرحة والبهجة.

وأعلنت ليلى للرجال أن الطعام سيبدأ تقديمه في الثامنة وسيتم إطعام الأطفال الآن حتى يدخلون إلى غرفتهم وأعطت نبذة عن قائمة الطعام,وانفرد الرجال فقال محمود لعزت

-لماذا لم تتحدث يا حضرة النائب؟

أجابه عزت

-هذا العام حصل فيه شيئان هامان وهما اغتيال الشيخ الذهبي على يد جماعة التكفير والهجرة وهي جماعة جديدة تدعو إلى تكفير المجتمع وهي تُثير قلاقل الداخلية جدًا لإنها تطور سيء لفكر خاطيء ولسنا ندري كيف سيكون المُستقبل,والشيء الآخر هو التطور الهيكلي في الاقتصاد والتحول عن القطاع العام.

قال عبدالقادر بابتسامة جمعت بين الذكريات والغموض

-كان هُناك صديق لنا زمان نقول عليه الحكيم كان يقول مصر في مُفترق طرق

فقال عبداللطيف مُعقّبًا

-الآن مصر في عنق الزجاجة.

قال عبدالقادر

-السادات ليس أمامه حلول أُخرى,البلد ليس بها أموال لاستثمارات جديدة في القطاع العام,ولا تنسوا أن مصر خرج منها أموال كثيرة مع خروج اليهود والأجانب والعائلة المالكة والباشوات,وكي تعود مرة أُخرى يجب أن يكون هُناك جو من الحُرية الاقتصادية.

قال عزت

-ولكن هكذا نكون سرنا للاشتراكية ثم عائدين إلى رأسمالية,وهذه فترة زمنية قليلة نسبيًا.

فقال محمد مُشاركًا في النقاش

-هذا يُثبت نظرية نيوتن أن لكل فعل رد فعل مساوي له في القيمة ومضاد له في الاتجاه,ولكن من مِن الناس والمُجتمع يلحق يُغير بهذه السرعة؟

قال مصطفى

-كل تغيير في الاتجاه له مشاكله.

عقّب عُمر

-على هذا,العام الماضي كان أخطر ما يُمكن.

قال عزت بضيق

-كانت سنة كبيسة.

قال عبداللطيف برزانة

-أنا أعتبر قرار السلام مع إسرائيل أخطر من قرار الحرب.

قال محمود

-السادات شجاع وجرىء ويسير لهدف تحرير الأرض مهما كانت التكاليف أو العقبات والمعوقات.

ورن جرس الهاتف وكان المُتحدث مدحت من ألمانيا وردت سُعاد وهي في قمة السعادة وتبادلوا التهنئة بالسنة الجديدة وقال مدحت

-الناس هُنا في الغرب يُحبون السادات جدًا وزيارته للقدس كانت مُحترمة جدًا ومحل ترحيب دولي,ورفع رءوسنا جميعًا هُنا,كما أصبحت أخبار مصر من الأخبار التي يتم مُتابعتُها باستمرار.

قال عبدالقادر لأصدقائه

-مدحت يسلم عليكم ومعجب جدًا بالسادات.

فقال عُمر

-العجيب أن الناس مازالت تُحبُ عبدالناصر رغم الهزيمة,وهذه حقيقة,ومن يحبون السادات أقلُ بكثير.

فقال عبدالقادر بحكمة

-عبدالناصر كان يُمثلُ الأمل,أما السادات فيمثلُ الواقع,تستطيع أن تقول أن الفرق بينهما كالفرق بين الأحلام والواقع.

قال محمد مُعلقًا

-ولكن أحيانًا تتحول الأحلام إلى كابوس,لن أنسى أبدًا67 ما حييت.

وأردف جمال

-وأنا لن أنسى73 ما حييت.

دخلت هُدى فصمت الجميع وقالت ليلى

-تفضلوا,كل عام وأنتم بخير.

فقال محمود

-ربنا يجعلها سنة سعيدة علينا إن شاء الله.

واكتملت سعادة سُعاد باتصال مُنير الذي حدّث نادية مُدة طويلة واطمئن منها على أحوال الجميع وقال إنه سيقضي سهرة مع بعض الأصدقاء.

****

الفصل الثالث عشر والمائةعزاء

كانت هُدى تستيقظ مُبكرة فتُراجع جدول أعمالها اليومي وتطمئن على الولدين و على أم زوجها التي كانت تستيقظ مُبكرًا وتسعد برؤية حفيديها.

ولما تأخرت قررت هُدى الذهاب إليها وطرقت الباب ونادت عليها فلم تجد إجابة ففتحت الباب ودخلت فوجدتها نائمة في فراشها ساكنة ووجدت صورة زوجها الشهيد محمد إلى جوارها فظنت إنها مغشى عليها ونادت إحدى الدادات التي كانت تعمل مُمرضة سابقًا ولما نظرت إليها التفتت إلى هُدى وقالت

-البقية في حياتك.

أطلقت هُدى صرخة مدوية وأعادت النظر إلي وجهها فوجدته مضيئًا مع ظل ابتسامة مُريحة وشكل يوحي بالرضا التام وقالت لها الدادة التي شاهدت مثل هذه الأمور من قبل

-تماسكي واصبري سيدتي,هذا وقت عمل,نُريد أن نأتي بطبيب الصحة من أجل تصريح الدفن وشهادة الوفاة,ونُريد حانوتيًا ومغسلة كي نلحق نُصلي الظهر عليها في الجامع.

أفاقت هُدى وقامت إلى الهاتف وخاطبت عزت وسهير أولًا واتفق عزت على قيامُه باللازم ثم هاتفت والدتها التي أُصيبت بإغماء مصدومة,فقد كانت صديقتها وكانتا تتحدثان يوميًا وتحدثها عن الأحفاد و آخر الأخبار.

أما عبدالقادر فقد أسرع وزوجتهبعد إفاقتها إلى مصر الجديدة وطلب عبدالقادر من المُهندس نبيل المساعدة وتحرك الجميع بسرعة وتم كل شيء بسهولة,ولم يتم عمل عزاء بناء على توصية المرحومة والاكتفاء فقط بالصلاة عليها.

ورغم ذلك كان العزاء في منزل هُدى وقد وضعت المقاعد الكثيرة في الدور الأول,وتم إرسال الولدين إلى المنيل حيث ستقومان بالرعاية ليلى ونادية,أما سهير فقد لازمت هُدى لاستقبال المعزين وبالطبع كان موجود عبدالقادر ومحمود وسعاد ومحمد وجمال.

وبعد انتهاء العزاء سأل عبدالقادر ابنته

-ماذا تنوين يا هُدى؟

قالت أمها مُقترحة

-الأفضل أن تقيم معنا.

وقالت سهير

-يا ريت.

وقال عزت

-إذا كانت الشقة لا تكفي فممكن أن تعودوا للعيش في الفيلا السنة القادمة,لأنه من المُمكن نقل المدرسة من هُناك.

فقالت هُدى

-لن أرحل عن هُنا,لقد اعتدنا على المكان ويمكنكم الإقامة معي.

قالت أمها موضحة

-عشت طوال عمري في الروضة والمنيل وصعب أترك هُناك.

هزت هُدى رأسها وقالت

-إذن تأتي للجلوس معي وأنا كذلك وهكذا.

قال أبوها

-ما رأيكم في فكرة عزت؟

قالت زوجته موضحة وجهة نظرها

-الفيلا تحتاج لعمل كثير ولا أحد بقى مثل الأول,ولقد تعودنا على الشقة التي نُقيم فيها.

ثم أردفت وقالت

-أنا حزينة للغاية على المرحومة,كانت صديقتي ومن الصعب أن تجد المرأة صديقة جديدة في هذا العُمر.

قالت هُدى بصوت حزين

-وكإنها كانت تشعر بقرب الأجل,منذ أيام ذهبت معي للبنك وقامت بسحب كل الأموال هُناك وقالت لي)لو حدث شيء تصدقي بها كُلها واذبحي عجلًا وقومي بتوزيعه على الغلابة الفقراء,(وأنا وقتُها تعجبت,لو رأيتهم وجهها المُنير كإنه يوم سعدها وبجوارها صورة من زوجيرحمهما الله

ثم بكت ولم تستطع استكمال الحديث فقال محمود

-سأتحدث مع العُمدة بشأن موضوع الذبح.

قالت سُعاد

-حسنًا,تفضلوا وأنا سأُبيت مع هُدى.

وقالت سهير لزوجها

-بعد إذنك يا عزت أنا أيضًا سأُبيت.

قالتت هُدى لها هازة رأسها

-ليس له لزوم,اذهبي لعائلتك.

قالت سهير مُطمئنة

-البركة في ماما ونادية.

قالت هُدى

-المشكلة الكبيرة في ولديّ,تعودا عليها وعلى وجودِها.

قالت محمود مواسيًا

-الله يرحمها,الفاتحة على روحِها.

وبعد قراءة فاتحة كتاب الله قالت أمها

-كفاكِ عملًا يا هُدى,البركة في المُهندس نبيل واعتني بولديكِ.

قالت هُدى

-العمل أصبح كثيرًا لدينا بعد الانفتاح,وأحتاج لدخل كبير وهذا مُستقبلهما,عندما ينهيان تعليمهما يجدان عمل خاص بهما.

فقال محمد

-هذه الأيام يقولون أن تورث ابنك عملًا أفضل من أي شيء آخر.

فقال جمال موضحًا

-يقولون أن الأيام والسنوات القادمة لن تكون الدولة مسئولة عن تشغيل وتعيين الخريجين من الكليات,وكلام عمتي هُدى عين العقل.

****

الفصل الرابع عشر والمائة عائلة

مر عام كامل على وفاة المرحومة أم الشهيد ولم تحدُثُ تغييرات كثيرة أو كبيرة لأحوال الأسرة سوى أن الحفيدين أصبحا محور اهتمام العائلة.

وكان محمد قد أعلن رغبته في الزواج,فهو مُهندس منذ سنوات,أما الدكتور جمال فقد اقترح على العائلة عمل مستشفى داخل فيلا الأخشيد التي كانت نواة مشروع المدارس سابقًا,وصارح والدته نادية التي أشارت عليه بعرض هذا الموضوع على جده وعمته وزوج خالته وخالته.

وبالفعل وافقوا على افتتاح مستشفى خاص ولكن بشروط وعلى طريقة عبدالقادر في إدارة المشروعات القائمة على تخطيط تفصيلي فتنفيذ فمُتابعة ثم تقييم وتعديل,أما بخصوص التمويل فقد قام عبدالقادر بتمويل الجزء الأكبر وبالاشتراك مع شركة هُدى وعزت ومُنير وحتى مدحت,وقد اختاروا لتنفيذ هذا المشروع المُقدّر له ثلاث سنوات مدير مشروع كفء ذو خبرة سابقة في تجهيز المُستشفيات,وعلى أن يبدأ العمل في أول عام 1980ولمُدة ثلاث سنوات.

أما الأحفاد الصغار أولاد هُدى وسهير فقد كانوا بهجة العائلة وفرحتِها ومحل اهتمام الأمهات نساء العائلة جميعهن.

****

الفصل الخامس عشر والمائة مجموعة المقهى

ألح محمود على عبدالقادر في الذهاب إلى المقهى لمُقابلة الأصدقاء وذلك على سبيل التغيير,ولأن المقهى الآن أصبح إفرنجيًا بمقاعد وثيرة وديكور متطور,وقد تم دعوة المُهندس محمد والدكتور جمال أيضًا,واللذان حضرا متأخرين في سيارة محمد الفيات.131

وقال محمود لعبدالقادر

-ما رأيك؟..أليس أفضل هكذا؟

فابتسم عبدالقادر في صمت وأشعل سيجاره فقال محمود مواصلًا

-هنا يوجد ميزة أن من المُمكن أن يشرب الشخص شيشة بالتفاح.

وبالفعل كان جو القهوة معبئًا بالدخان وجلسوا في ركن خاص أعده لهم خصيصًا مدير القهوة وقد كان محور حديثهم عن اتفاقية السلام في كامب ديفيد بأمريكا تحت رعاية الرئيس الأمريكي كارتر وحضور الرئيس السادات وبيجين رئيس وزراء الدولة العبرية,وهي الاتفاقية التي أثارت جدلًا واسعًا وخاصة أنها حددت طريق مصر لسنوات طويلة قادمة,فضلًا عن تأثيرها في المنطقة بالكامل.

وقال مصطفى

-اتفاقية السلام التي قام بها الرئيس في كامب ديفيد واستعادة الأرض ضربة معلم.

قال محمود مُنبهًا

-ولكنهم يقولون أن بها ملاحق سرية.

قال عُمر

-بالتأكيد,أعرف شخصًا في وزارة الخارجية قليل الحديث كان ضد الاتفاقية لأن بها شروط قاسية للغاية على مصر وبعضها معروف والآخر غيرُ معروف.

سأله جمال

-مثل ماذا؟

أجاب عُمر

-ممنوع دخول الجيش إلى سيناء بقوات عسكرية كبيرة,مع اقتصار الأمن في شبه الجزيرة على حرس الحدود ذات التسليح الخفيف وعدم استخدام مطارات سيناء إلا في الأعمال الإدارية والالتزام بتوريد وضخ البترول إلى إسرائيل وإشراف الولايات المُتحدة على تدريب وتسليح الجيش المصري ودخول الإسرائيليين إلى سيناء

كسائحين دون الحاجة إلى تأشيرة,هذا بالطبع غير الاتفاقيات المُعلنة عن تطبيع العلاقات الثنائية وتبادل السفراء والمرور بخليج العقبة وقناة السويس وإشراف الولايات المُتحدة واعتبارها شريك رئيس في هذه الاتفاقية.

قال محمد

-هذه بالفعل شروط قاسية جدًا,ولكن ألا ترى حضرتك أن الولايات المُتحدة ستُعطي مصر مئات الملايين من الدولارات سنويًا.

قال مصطفى موضحًا

-تُعطي إسرائيل ثلاثة أضعاف ما تُعطيه لنا.

تساءل جمال

-وما مصلحتها في دفع أموال كهذه سنويًا؟

أجابه عبداللطيف بحكمة

-مصالح كثيرة,أولًا تطرد الروس الذين كان لهم دور كبير في مصر والدول العربية والأفريقية,ثم تقوم بضمان أمن حليفتها إسرائيل لأن مصر أقوى جيران إسرائيل,ثم إنها ستستفيد من موقع مصر الجغرافي سواء في التحركات البحرية أو الجوية.

قال عُمر

-أنا في حيرة من الاتفاقية,صحيح إنها ستُعيد سيناء ولكن أين القدس والضفة الغربية ومرتفعات الجولان؟ولأن موقف الدول العربية بعد توحدهم تفرّق واختلف الحكام,وكانت خسارة كبيرة.

قال مصطفى مُعترضًا

-وماذا فعلت لنا الدول العربية من قبل؟ ندخل حربًا يموت فيها أولادنا ويخرب اقتصادنا وتهبط الكوارث على رءوسنا.

قال عبداللطيف

-يا ليت الاختلاف بين الدول العربية وبيننا فقط,هذا خلاف امتدّ للشعب,ناس تؤيد وناس تُعارض وناس لا تفهم,ما رأيكما في هذا يا بشمهندس محمد ويا دكتور جمال؟

قال محمد بهدوء رزين

-عودة سيناء خطوة على الطريق لكن يجب اتّباعها بخطوات أُخرى وإلا نكون واقفين.

وقال جمال مُحللًا الموقف

-أعتقد أن السادات لم يكن له اختيارات أُخرى,المفاوضات كانت صعبة للغاية ورفع العلم المصري في سيناء أهم مكسب.

قال عبداللطيف بعدم ارتياح

-أنا قلق للغاية على المُستقبل.

قال محمود

-واللهِ أنا عاجبني السادات جدًا وواثق فيه إلى أبعد الحدود,رجل فاهم وواعي وسياسي,لقد بدأ في عمل مُدن حول القاهرة كالعاشر من رمضان والسادس من أكتوبر و15مايو والسلام,و في الساحل الشمالي,هذا غير إعادة تعمير مدن القناة السويس والإسماعيلية وبورسعيد

قال مصطفى مُذكرّا

-ويوجد مشروع كبير لزراعة250 ألف فدانًا في الصالحية.

قال محمود مردفًا هازًا رأسه

-أرأيتم عندما وقف مع شاه إيران؟

قال جمال

-أبي وعمي بالخارج يقولان أن شكل مصر في الخارج تغير تمامًا ويحبون سياسة الرئيس السادات جدًا.

قال عبداللطيف

-كل هذا جيد,لكن هناك ناس مختلفون اختلافًا كبيرًا مع الرئيس السادات ويقولون عنه خائنًا!

قال محمود باستنكار

-خائن لماذا ولمن؟!!

قال عُمر

-يقولون خائنًا للقضية الفلسطينية وللوحدة العربية.

قال محمود بعصبية منفعلًا

-لقد رجاهم كلهم كي يقفوا معه ويساندونه ورفضوا,ماذا كان سيفعل لهم؟أيُريدون أن نظل نُحارب دائمًا؟!وما النتيجة؟وبالمُناسبة هُناك دولًا كثيرة معنا ولكن تخشى القول.

قال عبداللطيف ملتفتًا إلى الرجل الهادىء الجالس المُستمع

-سبحان الله,عبدالقادر لم يتحدث حتى الآن,مُنتظر أن يكون آخر شخص يتحدث,وربما ينتظر رأي الجميع أولًا.

ثم سأله

-ما رأيك في هذه الاتفاقية؟

أجاب عبدالقادر بحكمة رزينة

-السياسة فن المُمكن كا يقولون,ومهما كانت التضحيات فالاستقرار الذي ستكون عليه مصر بعد الاتفاقية سيؤدي إلى تحسن كبير في الاقتصاد,وسيعود العرب لحاجتهم إلى مصر,وليس من المُستبعد أن يسيروا في نفس الطريق بعد فترة من الوقت,فدائمًا مصر سبّاقة,ولكنني قلق على السادات نفسه لأن البلد تحتاج إلى شخص مثله الآن,وحرب أكتوبر كان لها أثر مهم جدًا وهو ارتفاع أسعار البترول,وهذا أدى إلى رفع اقتصاديات الدول العربية وزادت التنمية فيها وجاءت لهم أيادي عاملة من كل العالم,واستفادت مصر من هذا في تشغيل أبنائها هناك بأعداد ضخمة,وبالطبع عند عودتهم سيعودون بأموال كثيرة,مع أن السفر للحصول على دخل يؤدي-أحيانًا-إلى تفكك أسري بسبب طول المُدة.

صمت لحظة ليبتلع ريقه قبل أن يردف

-تماسك العائلات المصرية هو الذي أعطى قوى داخلية للبلد,ولو تُريدون رأيي فإن التعامل مع أمريكا أفضل من التعامل مع روسيا في هذه الأيام,لأن أمريكا بلد غنية جدًا وتنتج أكثر من ربع إنتاج العالم وتُعادل ستة أضعاف الإنتاج الروسي,ولكي تُلاحق روسيا أمريكا في السلاح والفضاء تقوم بصرف نصف إنتاجها,أما أمريكا فتصرف السدس فقط,بمعنى أن المواطن الأمريكي دخله في المتوسط ربما يصل إلى اثني عشر ضعفًا من دخل المواطن الروسي وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون.

سأله عبداللطيف

-بمعنى إنك مع الاتفاقية؟

قال عبدالقادر بكياسة

-الاتفاقية بداية مرحلة جديدة,والقادم يتوقف على مجهودنا نحن وتعاملنا مع الأوضاع.

قال عُمر له

-اضرب لنا مثلًا.

اعتدل عبدالقادر في جلسته وقال شارحًا

-مصر تحتاج لأفكار حتى تُحسن استغلال مواردها,مثال الأهرام تحفة,شيء لا مثيل له في العالم,هذه المنطقة لو موجودة بالخارج كانت ستُدخل إيراد عالي جدًا,نحن لا نعرف كيفية استغلالها إلا بنفس الطريقة من مائة سنة,لو تم عمل في هذه المنطقة مطارًا أو فندقًا ورحلات ليوم واحد كامل أو يومين مع عمل مسرح ومدينة ملاهي ويأتي السُياح إلى هنا مباشرةً لمُدة يومين,ولو التمويل هو العائق يُمكن تأجير المنطقة لإحدى الشركات السياحة العالمية وتقوم هي بكل هذه الإنشاءات,وبالطبع الأقصر أسوان كذلك,لكن طريقة إدارتنا للموارد طريقة قديمة ولا يوجد تطوير,وإذا تحدثت حديثًا مثلًا عن تأجير الآثار ستجد الناس ثارت عليك,إذا كانت الآثار تُسرق وتُهرب للخارج,فلا أنت تعرف استغلالها ولا تُحافظ عليها وتصونها,هذه أشياء ملكنا,ولا أحد السبب سوانا!

قال جمال هازًا رأسه

-نحن بحاجة إلى تنوع في الآراء والأفكار.

قال محمد

-هناك طفرة تكنولوجية قوية جدًا ستحدث قريبًا,عصر جديد مثل عصر الميكنة والكهرباء والذرة,ولكن هذه المرة ستكون في مجال الإلكترونيات والاتصالات,يجب أن نبدأ من حيثُ انتهى الآخرون.

قال محمود

-هُناك ناس تُريد عودة البلد للخلف بأفكارها,وآخرون يُشغلون البلد بموضوعات فارغة.

قال عبدالقادر بهدوء

-تحتاج البلد لمفكرين علميين وعمليين وإرادة وإدارة.

وناقش محمد الموضوع فقال

-الصرف على البحث العلمي ضعيف جدًا ومصر أقل دول العالم في مجال الأبحاث,وكلما حدثت مُشكلة يقولون)نأتي بخبير من الخارج,!(ويكون الخبير شخص عادي,ولو فكرنا قليلًا مع بعض الثقة والإرادة نحل المُشكلة.

ابتسم عبداللطيف وقال موجهًا حديثه لحفيديه

-أنتم الشباب والأمل وربنا عز-وجل يجعل أيامكم أفضل.

قال محمود مُتسائلًا

-المشاريب على من اليوم؟

قال عبدالقادر

-عليّ أنا.

قال محمود بتعجب

-أهذا معقول وأنت ضيفنا؟!

فقام محمد وأسرع وحاسب وكانت ترن في أذنيه أغنية أم كلثوم)تعالوا يا أجيال يا رمز الأمل من بعد جيلنا واحملوا ما حمل

****

الفصل السادس عشر والمائة أمواج البحر

قال الطبيب لعبدالقادر

-الحقيقة يا عبدالقادر بك..

بتر عبارته وصمت وبدا عليه الارتباك ونظر إلى عبدالقادر الذي نظر إليه بدوره بثبات قبل أن يقول الأول

-عندك سرطان في الرئة.

لم ينزعج عبدالقادر على الإطلاق وإنما قال بحكمة

-أرجوك يا دكتور لا تُخبر أحدًا الآن,وسوف أخبرهم في الوقت المُناسب,كنت أُريد السؤال هل هناك شيء نستطيع عمله؟

قال الطبيب له

-ممكن نعالج كيماوي في الوقت الذي يُناسبك.

هز عبدالقادر رأسه وقال

-سوف أتصل بك في أقرب وقت.

وعاد إلى غرفته بهدوء بعد انصراف الطبيب ونادى على زوجته وهو يبتسم ابتسامة باهتة ويقول

-يظهر النهاية قربت.

قالت متوترة منزعجة خائفة

-لماذا,أأخبرك الطبيب بشيء؟

هز رأسه إيجابيًا وقال

-منذ فترة وأنا أشعر بذلك,والحمدلله إني قضيت أيامي على خير بفضل الله تعالى ونعمه,خذي هذا المُفتاح لفتح هذه الحقيبة مُشيرًا بيده أنا مجهز كل شيء والرجاء أيضًا عدم عمل عزاء وأن يقتصر الأمر على المدافن فقط.

قالت سُعاد

-لا تخيفني,لا داعي لهذا الكلام,أعطاك الله"تعالى"طول العُمر ووافر الصحة وأدامك لنا.

زفر عبدالقادر وحرك رأسه قائلًا

-الحمدلله,البركة فيكم,أُريد الأولاد,كلمي مدحت ومُنير وأحضريهما.

خرجت زوجته مكتئبة تقاوم البكاء وقابلت محمود فأخبرته فذهب إلى صديقه منزعجًا وسأله

-خير يا عبدالقادر؟

هز عبدالقادر رأسه قائلًا

-خير إن شاء الله.

ثم ظهر على وجهه بعض التأثر وقال لمحمود

-اجلس,أنت صديق حقيقي,أتذكر أيام المنيا عندما كُنا نلعب كرة في الشارع,أتذكر علم مصر الملكي الأخضر بالهلال والنجوم البيضاء,أتذكر الطربوش الأحمر بالزر الأسود,أتذكر الكازينو في المحطة الذي كُنا نجلس فيه ندّخر المصروف من أجل السهر فيه,نسمع الأغاني ونرى الرقص ونتناول العشاء,ونطلب أقل الطلبات بسبب المال قليل,أتذكر قطعة البسبوسة وساندويتش الكُفتة,أتذكر عندما تزوجنا أختين,أتذكر دكان والدي,كإن هذه الذكريات مرت بالأمس,أتذكر ثورة19 ويحيا سعد والوفد حزب الأمة وبيتها,أتذكر الملك فاروق,ومحمد نجيب,وجمال عبدالناصر,فالسادات,خمس عهود ومصر هي مصر وإن شاء الله ستظل مصر.

تأثر محمود جدًا وشعر كأن عبدالقادر يودّع شيئًا وأصبح في حيرة بما يرد وواصل عبدالقادر حديثه

-فاكر كازينو بديعة ومسرحيات الريحاني وأغاني فاطمة رشدي ونجاة على وأم كلثوم وعبدالوهاب وفريد ومحمد فوزي؟

فابتسم محمود واستجمع شجاعته وقال

-الفونوجراف والراديو والسينما.

قال عبدالقادر بابتسامة بسيطة

-زمن ومر,وكما يقولون لن نأخذ زمننا وزمن غيرنا .

قال محمود بحزن

-لست أدري يا أخي,أنت لست على طبيعتك المُتفائلة دائمًا.

واصل عبدالقادر وكإنه لم يسمع عبارة محمود السابقة

-تصور نحن عايشنا الحرب العالمية الأولى وثورة19والحرب العالمية الثانية وحرب48وثورة يوليو52والعدوان الثلاثي56 حرب السويس والوحدة سنة58وحرب اليمن62 ونكسة67وحرب الاستنزاف وحرب أكتوبر واتفاقية السلام,أحداث كثيرة كأمواج البحر العاتي,تصعد لأعلى وتهبط لأسفل.

خرج محمود ولم يستطع المكوث أطول من هذا وقد بدا شديد التأثر وأدرك أن صديق عمره ليس في أحواله الطبيعية وذهب يبحث عن زوجة صديقة التي قالت إنها اتصلت بابنيها مدحت ومُنير واتصلت بليلى التي أكدت اتصالها بهُدى لتمر عليهم بعد العمل,وجلسوا جميعًا وهم يتعجبون,وقبل الغذاء ذهبت سُعاد لتطمئن على زوجِها فوجدته في وضع السجود تجاه القبلة فظنت إنه يُصلي وانتظرت فلم يرفع رأسه ثم نادت عليه فلم يجب وأعادت النداء وأتى محمود وليلى وسهير ونادية واقترب محمود منه وحاول أن يحركه ولكنه كان قد فارق الحياة على هذا الوضع.

****

الفصل السابع عشر والمائة عزاء عبدالقادر

أُقيم عزاء عبدالقادر بجامع عمر مكرم بميدان التحرير ورغم سعة القاعة الكبيرة فقد كانت مُكتظة بالحضور.

لم يتوقع أحد هذه الأعداد الكبيرة,فحضر المُهندس نبيل والعاملون بالشركة,كذلك الأساتذة والمُدرسين من مدارس عزت وأصدقاء وزملاء محمد في العمل والكلية,أصدقاء جمال والعاملين بإنشاء المستشفى.

كما حضر أيضًا السيد هاني منصور مع مجموعة أخرى وشلة القهوة وعمدة البلدة ووفد معه بالإضافة لحضور عاملين من المصنع القديم ومندوب من رئاسة الجمهورية وبعض أصدقاء المرحوم من مجموعة النادي.

وقف في أول طابور العزاء مدحت ومُنير فمحمود ومحمد فجمال حتى اللواء عبداللطيف.

أما عزاء السيدات فكان تقريبًا نفس الشخصيات,العاملات من شركة هدى,المُدرسات مع نادية وسهير وصديقاتهن ومعارفهن وجيرانهن,حتى سلوى وكذلك ثُريا التي قابلوها بالأحضان ولكنها لم تُقابل مُنير.

وبعد العزاء قامت بالاتصال به هاتفيًا لتعزيته وقال لها

-أُريد أن أراكِ.

فأكدت له سفرها,فقد كانت بالقاهرة مُصادفة ثم سألته

-ما أخبارك؟

فأجابها

-بخير,أود كثيرًا المكوث بالقاهرة بعد وفاة والدي,والحقيقة تعبت من الغربة.

فقالت له

-قابل هاني بك منصور وأنا واثقة أنه سيستجيب لطلبك.

سألها

-ألديكِ أطفالًا؟

أجابته

-زوجي لديه أولاد من زوجته الأولى,وكما تعرفني لا أُريد أي مسئولية من هذا النوع,مُنير اعتني بنادية جيدًا,وبولداك.

وفي اليوم التالي ذهب مُنير إلى هاني منصور فاستقبله مُرحبًا وأشاد بوطنية والده كثيرًا وقال له

-أعلم لم أتيت,وليكن,ابق هنا,لقد تم نقلك لوزارة أخرى من وزارات الاقتصاد ولكن سنظل أيضًا على اتصال.

فهز مُنير رأسه بالإيجاب وشكره وانصرف إلى موعد لقاء العائلة لقراءة وصية عبدالقادر الأخيرة.

****

الفصل الثامن عشر والمائة وصية المرحوم

اجتمعت العائلة بجميع أفرادها في شقة المنيل حتى سوزان وسوزي اللتان وصلتا بعد العزاء بقليل ولم يلحقا به,وأحضرت سُعاد الحقيبة وفتحتها وأعطتها لمدحت بصفته أكبر الأولاد وقالت له

-اقرأ

وبدأ في قراءة الوصية بصوت مرتفع.

"أشكر الله "سبحانه وتعالى" كثيرًا وأحمده عز-وجل على نعمه التي أنعمها عليّ فقط أعطاني الزوجة والمال والأولاد وهذا ما أوصيكم به..العائلة,اجتمعوا دائمًا ولا تتفرقوا,وليكن هناك تواصل دائم,ولا تُقدموا على أعمال

لا تعرفوا نهايتها,ولا تكون مُتعارضة مع الشرع أو القانون,وليكن هناك اتصال مع القائمين على سياسات الدولة ولكن بحدود,فقد كنت أستطيع أن أحصل على الباشوية بسهولة ولكن أردت أن تكون هناك مسافة بيني وبين نظام الحكم,كما عُرض عليّ وأنا في ألمانيا أن أدخل في تجارة السلاح وكان مكسبها كبير جدًا ولكني رفضت تمامًا.

لن أتحدث عن أولادي,فقد قطعوا شوطًا طويلًا مع الحياة بنجاح أسعدني كثيرًا,وإنما أتحدث إلى حفيديّ,يا مهندس محمد..تركت لك مبلغًا من المال لتُقيم مصنع في ارض المصنع القديم,ولكن بعد الدراسة,أنصحك بالاستعانة بعمتك هُدى في ذلك,وأنت يا دكتور جمال تركت لك مبلغًا آخر غير المبلغ الذي تركته لبناء المستشفى حتى لا يتوقف العمل وتضطر إلى الاقتراض,وأنت يا محمود يا صديقي العزيز,تركت مبلغًا خاصًا بك وبزوجتك ليلى وأكلفك بمهمة أخيرة وهي ذبح عجل وتفريقه بالكامل.أما أنتِ يا سُعاد فلكِ كل الشكر وساعدي في تربية أحفادنا قدر استطاعتك,خاصة ولدا هُدى,وأنتِ يا هُدى أدعو الله عز-وجل أن يرزقك برفيق,فأنتِ مازلتِ صغيرة في نظري عمريًا,كبيرة في تصرفاتك,مُنير أعطي وقت أكبر للعائلة,مدحت ابني البكر,احرص على الحضور سنويًا قدر استطاعتك ومعك أسرتك,أخيرًا ادعوا لي بالرحمة والمغفرة من الله"سبحانه وتعالى"

وعندما انتهت الوصية الرسالة ملأت الدموع عيونهم جميعًا.

****

الفصل التاسع عشر والمائة فرح محمد

مرت الأيام وخطب محمد عروسة من عائلة مُحترمة تعمل طبيبة,مازالت في سنة الامتياز وتم عمل الفرح في فندق شبرد العتيق المُطل على النيل في القاعة الشرقية.

كانت الزفة رائعة على أنغام الموسيقى والصديقات المُمسكات بالشموع الطويلة,ونزل العريس والعروس من السلم الدائري الواسع وحولهما انطلقت الزغاريد في كل مكان مع قذف النقود الصغيرة على موكبهما,مع وجود مطربة مع الباند تُغني أغاني فيروز وشادية وسعد الأهل وحضر الكثير من المدعوين مع حضور مدحت وعائلته الزفاف,أما مُنير والد العريس فقد وقف عند الباب لاستقبال القادمين,وكان بين الحضور هاني منصور رغم خروجه على المعاش لكنه كان موفور الصحة واسع الابتسامة وتعجب مُنير من ظهور ثُريا رغم عدم دعوتها وقالت له مُداعبة

مازلت لا تفهم شيئًا.

فاتسعت ابتسامته وقال لها

-أهلًا وسهلًا

وأردف في نفسه بالماضي الجميل

واقترب هاني منصور من هُدى وقال لها بأدب جم

-أمن المُمكن أن أتحدث معك قليلًا؟

فقالت هُدى

-طبعًا.

فقال لها

-خرجت على المعاش الشهر الماضي,أولادي متزوجون,زوجتي رحمها الله رحمة واسعة وأود أن أعيش مع عائلة بدلًا من الوحدة.

هزت هُدى رأسها وقالت

-لست أفهم؟!

فقال لها

-يُسعدني ويُشرفني أن تقبليني زوجًا لكِ.

فردت هُدى بثبات رغم المُفاجأة

-بعد وفأة محمد,لا أفكر في الزواج مُطلقًا.

قال لها مُعطيًا كارت صغير

-هذا كارتي بأرقام الهواتف,اتصلي بي في أي وقت على مدار اليوم ويُسعدني اتصالك.

قالت هازة رأسها

-أحتاج وقت للتفكير.

****

الفصل المائة والعشرون الخاتمة

جلس مُنير ونادية وسهير وعزت يُشاهدون التلفزيون يوم السادس من أكتوبر يوم1981 وكان العرض العسكري قد تغير موعده من يوم23 يوليو إلى يوم6 أكتوبر.

كان الرئيس أنور السادات يرتدي بدلة عسكرية وقد بدت عليه علامات السعادة والابتهاج خاصة بعد حصولة على جائزة نوبل للسلام مع مناحم بيجن لتوقيعهما اتفاقية السلام وحوله السيد النائب حسني مبارك

والسيد وزير الدفاع المُشير عبدالحليم أبوغزالة وذهب مُنير لإحضار علبة سجائره ثم سمع في التيلفزيون دوي رصاص والبعض يصرخ "الرئيس..الرئيس"فهرع للصالون ليرى ما حدث على الشاشة لولا انقطاع الإرسال..

حاولوا إنقاذ الرئيس السادات ولكنه أُغتيل رحمه الله وهو وسط الجيش الذي حقق الانتصار والذي كان يحتفل بذكرى يوم نصره,فسبحان الله.

****

تمت بحمدالله وعنايته